ميريت للنشر والمعلومات

ياسوأوكا شووتارووه

ترجمة عن اليابانية: د. أحمد فتحى



البشارة



安岡章太郎



١١٦٨٧٧



البَشَّارة

تجليات أدبية

إشراف: **سيد خميس**

البَشَّارة

المؤلف: **ياسو أوكا شووتاررووه**

ترجمة: **د. أحمد فتحى**

الطبعة الأولى، ٢٠٠٢

(c) ميريت للنشر والمعلومات

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٥٧٥١٥٠٠ (٢٠٢)

merit56 @ hotmail. com

المدير العام: **محمد هاشم**

الغلاف: **أحمد اللباد**

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٦٧٩٦

الترقيم الدولى: **977-5938-96-1**

THE MOTH

البَشَّارة
(دين إين تشووفو)

- GA -

قصة من تأليف الروائى اليابانى
ياسو أوكا شووتاروووه

YASU OKA SHOTARO

ترجمة من اليابانية إلى العربية
د. أحمد فتحى

TRANSLATION
(FORM JAPANESE TO ARABIC)

DR. AHMED FATTHY MOSTAFA

ميريت للنشر والمعلومات
القاهرة ٢٠٠٢

الفهرس



المقدمة



هذه هى المجموعة القصصية الثالثة التى أقوم بترجمتها من اليابانية إلى العربية لنفس الكاتب اليابانى المعاصر "ياسو أوكا شووطارووه" - ٨١ عاماً - وتقديمها للقارئ العربى خلال سنتين.

ولد هذا الروائى اليابانى عام ١٩٢٠م بمحافظة "قووتشي" بجنوب جزيرة "شيقوكو" باليابان، وعائلته من العائلات العريقة ذات النفوذ بنفس المحافظة منذ زمن طويل. ولأن والده كان طبيباً بيطرياً بالجيش وذو رتبة عالية فقد عاش "ياسو أوكا" وحيد أبويه حياةً منعمة رغدةً نسبياً، ولكن "ياسو أوكا" على الجانب الآخر ظل يعاني طوال فترة طفولته وصباه من عدم الاستقرار في حياته حيث كان والده بحكم ظروف عمله العسكرية دائم التنقل من مدينة إلى أخرى حتى إنه عاش وهو طفل لبعض الوقت في شبه الجزيرة الكورية مما أدى ذلك إلى انتقاله المستمر من مدرسة إلى أخرى وبالتالي إلى تقوقعه على نفسه وإلى عدم

رغبته في مصاحبة زملاء جدد حيث إنه لن يلبث أن ينفصل عنهم إن طال الوقت أو قصر.. وقد لخص معاناته تلك وكراهيته للمدرسة في المرحلة الابتدائية في روايته "الواجب المدرسي" (SHUKUDAI) التي نشرت عام ١٩٥٢ وهو في الثانية والثلاثين من عمره.

ومع اشتعال حدة المعارك والصراعات العسكرية بين اليابان والصين بوجه خاص وبين اليابان ومستعمراتها الأخرى بوجه عام ثم مع دخول اليابان في مواجهة شاملة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين في جنوب شرق آسيا.. صار غياب الأب عن البيت وعن اليابان في ساحات القتال بالمستعمرات اليابانية في آسيا مستديماً ولسنوات متواصلة، فصار "ياسو أوكا" يعيش وحيداً مع والدته القوية الشخصية التى اضطرت إلى القيام أيضاً بدور الأب الغائب فزادت من إحكام قبضتها عليه وتحكمها في تحركاته مما جعله بالتالي يصاب بالكبت والحنق، فصار على العكس يحاول الإفلات من قبضة أمه عن طريق مصادقته للفلاتية من رفاق الدراسة.. وبالتالى صار ينظر بعين الحنق إلى تلك الحرب التي أخذت أبوه منه وجعلته غائباً باستمرار عن البيت. وتلك الفترة التي شهدت تخبطه وحيرته ووحشته ورغبته في الفرار من الواقع.. تجسدت في سلسلة من أعماله الأدبية في بداية حياته ككاتب قصصي، ومنها "الواجب المدرسي" و"المرأة البدينة" و"صباح حار رطب" ومنها كذلك "رفاق السوء" و"حين يأتي الربيع" وهما

الروايتان اللتان أضمهما إلى هذه المجموعة الجديدة المكونة من خمسة قصص.

رواية "رفاق السوء" (WARUI NAKAMA) تم إصدارها بتاريخ يونيو ١٩٥٣ وهي واحدة من الروايات التي أدت إلى شهرة "ياسو أوكا" في مجال الأدب الياباني في بداية حياته الأدبية وجعلت الكثيرين من النقاد والباحثين حتى يومنا هذا يتناولونها بالبحث والتحليل. فالرواية أولاً من عنوانها تشير مباشرةً إلى تلك المرحلة التي تحدثت عنها منذ قليل والتي تبدأ بجملة تنوه عن بداية الاضطرابات التي وقعت في الصين ومنشوريا أثناء الاحتلال الياباني لتلك المناطق، وهي بذلك إعلان غير مباشر يشير إلى الخلفية التاريخية والسياسية لأحداث القصة والتى تنتهي أيضاً بجملة تشير إلى أن اليابان بدأت تنزلق في حروب دولية مختلفة.

وهذه البداية مع تلك النهاية من المعتقد أنهما لم يأتيا بطريق المصادفة بل إنه يلزم هنا على القارئ أن يهتدي على ضوء هاتين الجملتين لكي يحاول تجميع تلك الجمل والمواقف التي تتخلل الرواية وتوضح للقارئ لقطات من الخلفية السياسية والاجتماعية والنفسية لليابان ولليابانيين وخاصة الشباب منهم أمثال بطل الرواية في ذلك الوقت وتلك المرحلة من التاريخ.

ويقال إن هذه الرواية حين عرضها الكاتب في البداية على رئيس تحرير مجلة "غونظووه" الأدبية الفنية كانت تحت عنوان "زمن السوء" أي باليابانية (WARUI

JIDAI) ولكن بعد إعادة التفكير تغيرت إلى عنوانها الحالي "رفاق السوء"، أى أن العنوان في البداية كان مباشراً وكان يمكن من خلاله الوصول إلى المعنى الأساسي لتلك الرواية. غير أن الرواية بهذا العنوان على العكس تبعدنا عن ذلك المعنى الخفي أو الخط المستتر لها وتزيد كم التشويق في سبيل السعي نحو فك رموزها.

ورواية "حين يأتي الربيع" والتي نشرت عام ١٩٥٨ على صفحات مجلة "تشووأووه قووررون" الأدبية قبل أن تصدر في كتاب في العام التالي، تعتبر اتصالاً لتلك الفترة وتلك الخلفية التاريخية والاجتماعية لليابان وبالتالي الخلفية الشخصية لبطل القصة وللكاتب نفسه بالتالي.. والتي تعرضت لها رواية "رفاق السوء"، حيث نجد وصفاً دقيقاً من البطل لرفاق السوء الذين أدمنوا الرسوب في اختبارات دخول المرحلة الجامعية وكان واحداً من تلك الأسباب هو تعمدهم ذلك الرسوب هرباً من التجنيد والذهاب إلى الجيش.. وبالتالي كان يصور في هذه الرواية مشاهداً كثيرة للتخبط والضياع والإحباط واللامبالاة التي كانوا جميعاً يعانون منها.

ولا نستطيع أن نغفل أبداً في هاتين الروايتين أيضاً خطاً أساسيا واضحاً وهو علاقة البطل بأمه في وضع غياب الأب ومحاولاته الفكاك من سيطرة الأم عن طريق اختيار رفاق شخصياتهم مختلفة عنه تماماً ويتصفون باللامبالاة والجرأة والرغبة في إثبات الرجولة والفتوة عن طريق غزو قلوب النساء وهي أمور كان يجهلها هو بحكم بيئته المحافظة

التي تربى بها.

معنا في هذه المجموعة القصصية أيضاً رواية "الحذاء الزجاجي" (GARASU NO KUTSU) وهي واحدة من أشهر أعماله الروائية ، وبمعنى أدق فهو العمل الأدبي الذي أفسح له مجالاً ومركزاً مرموقاً في الصالون الأدبي الياباني، وقد نشرت هذه الرواية أولاً ضمن مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٥١ عنوانها "رفاق السوء"

وعن الظروف التي أحاطت بمولد هذه الرواية إلى النور أود أن أسرد عليكم هذه الواقعة حيث كانت المجلة الأدبية "ميتا بوذغاكو" قد توقفت عن الصدور لفترةٍ ما، وبعدها كانت المحاولات قد بدأت لإعادة هذه المجلة للنور، وكان يقود تلك المحاولة الكاتب والناقد الأدبي المعروف وقتها "كيتاهارا تاكيه أو"، وكان من ضمن الأعمال التي أرسلت إليه لكي يتم الحكم على صلاحيتها من عدمه للصدور في ذلك العدد الأول بعد الإحياء روايتنا "الحذاء الزجاجي" التي نحن بصددها الآن، ولكنها في ذلك الوقت كانت بعنوان آخر وهو "هيغوراشي" – وهي حشرة طائرة من حشرات الصيف – وفي ليلةٍ ما كان الأديب "كيتاهارا" يقرأ في ملل وتعب كومة من تلك الأعمال المعروضة عليه حتى وقعت عيناه على هذه الرواية وهو مضطجع في فراشه، فعدل وضعه فجأةً وجلس وأخذ يقرأ باهتمام ونهم سطور هذه الرواية حتى أنهاها.. وبعد ذلك كتب عنها يقول:– "إن هذه الرواية بمثابة الروح الجديدة التي بعثت في

صالون الأدب الياباني".

وقد قام بعد ذلك بإرسال أوراق هذه الرواية إلى الأديب القصصي "ساطوو هارو أووه" لكي يقرأها فأعجب هو الآخر بها، وتم نشرها على صفحات المجلة على الفور.

وكان من المفارقات الغريبة أن تقفز سمعة هذه الرواية إلى القمة لدرجة أنها صارت ضمن الأعمال الروائية المرشحة لجائزة "أكوتاغاوا" للقصة في ذات السنة، وساهمت في تقديم "ياسو أوكا شووطارووه" إلى العالم الأدبي الياباني ككاتب روائي نابغة.

وكان "ياسو أوكا" وقتها في الواحد الثلاثين من عمره، وكان لا يزال يعاني من درن العظام الذي أصاب عاموده الفقري وجعل حركته صعبة للغاية. وقد طلب "كيتاهارا" من "ياسو أوكا" تغيير عنوان القصة من "هيغوراشي" لتصير "الحذاء الزجاجي".

وفكرة القصة تتلخص في تصوير بطلها وهو يقوم بالعمل مساءاً وحتى الصباح بحراسة متجر لبيع أسلحة وبنادق الصيد بينما يذهب بالنهار إلى المدرسة، ويتعرف من خلال عمله على خادمة يابانية تعمل فى منزل أحد الضباط الأمريكيين، وكان ذلك المنزل تحت الحراسة وخاضعاً لتصرف إدارة الاحتلال الأمريكية، ثم تدور بينه وبينها قصة حب قصيرة داخل ذلك البيت في جو أشبه بعالم قصص الأطفال الخيالية.. ولكن تلك العلاقة أو الإجازة القصيرة التي كانت تشبه الحلم لم تلبث أن انفصمت عراها مع عودة

الضابط الأمريكى فجأةً من إجازته الصيفية.

وإن كانت تفاصيل القصة تعتمد على الخيال المفرط إلا أن خطوطها الأساسية كانت من الواقع حيث أن "ياسو أوكا" قد مر في شبابه وبعد الحرب بتجربة العمل في الحراسة للمنازل والعقارات الخاضعة لإشراف إدارة الاحتلال الأمريكية في وقت كان فيه "ياسو أوكا" يعاني من مرض درن العامود الفقري وفي وقت كذلك كانت أسرته تواجه فيه مشاكلاً عصيبه بعد عودة والده الجنرال من الأسر لا حول له ولا وقوة . وهذه الخلفية المأخوذة من تجربته الشخصية كحارس للعقار كانت موضوعاً مشتركاً بين عدة أعمال أخرى له مثل "حارس العقار" (HOUSE GUARD) والتي حصل بها عام ١٩٥٣ على جائزة "أدب الساعة" (JIJIBUNGAKUṢHO) ورواية "عضو بفرقة الخدمات" (SABIS TAITAI YOIN) وغيرها.

أما بالنسبة للقصة القصيرة "رائحة الحي الهادئ – دين اين تشووفو" (D. MACHI NO NIOI) والموجودة أيضاً ضمن هذه المجموعة فقد نشرت أولاً على صفحات مجلة "غونظووه" الأدبية الفنية في شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٧ وهو في السابعة والثلاثين من عمره. وهذه القصة تحمل جزءاً من الواقع في أحداثها حيث أنها أيضاً تعتبر من سيرته الذاتية مع إضافة أحداث خيالية، حيث أنه كان يعيش بالفعل لفترة تربو على العامين في ذلك الحي "دين إين تشوفو" المعنونة به هذه القصة وذلك منذ عام ١٩٥٤ حتى

عام ١٩٥٦ وقد تزوج في هذا البيت الذي استأجره من أحد المعارف وتركه بعد ذلك عام ١٩٥٦ ليسكن ببيت يملكه في حي "تاماغاوا أوياما داي" وهو الذى يعيش به حتى الآن مع زوجته وابنته، أي أن "ياسو أوكا" نشر هذه القصة التي تحمل اسم ذلك الحي بعد خروجه منه بسنة واحدة فقط، وكان في تلك الفترة قد شهد تحولاً كبيراً في حياته حيث كان قد برئ من مرضه العضال تماماً واستقر كذلك في وظيفته وصار متزوجاً.

وهذه القصة القصيرة من الأعمال التى تستحق البحث والقراءة المتمعنة حيث تحمل الكثير من الرموز الاجتماعية لليابان ولطوكيو في فترة ما قبل وأثناء وما بعد الحرب العالمية الثانية.

أما القصة الأخيرة في هذه المجموعة وهي "البشارة" أو (GA) باليابانية فقد نشرت في إحدى المجلات الأدبية أولاً عام ١٩٦٠ عندما كان في الأربعين من عمره وهي تختلف عن القصص الأربعة الموجودة في هذه المجموعة في جزئية اتساع مساحة الخيال فيها وإن كانت في الأساس ترتكز أيضاً على خلفية من حياته الواقعية في وجود أمه وأبيه معه حيث تدور القصة حول دخول نوع من الفراش الصيفي الكبير وهو حشرة "البشارة" إلى داخل أذنه فجأةً وانزلاقها إلى عمق الأذن وتسببها في إحداث ألم وإزعاج كبيرين له لمدة عدة ليالٍ وسعي البطل الدؤوب نحو إخراجها من أذنه بشتى الطرق حتى لجأ في النهاية إلى ذلك الطبيب الذى يسكن بجوارهم والذى كان يشعر بالغرابة فى تصرفاته

وتصرفات من حوله.

لقد كان اختياري لهذه الأعمال الخمسة على أساس اشتراكها جميعاً في جزئية أرضية السيرة الذاتية للكاتب وفي أنه من خلالها قد نستطيع التعرف أكثر على الخلفية الاجتماعية والسياسية لليابان في فترة ما قبل وأثناء وما بعد الحرب وكذلك للخلفية النفسية للشباب اليابانى المتعلم ممثلاً فى الكاتب نفسه.

وهذا الكتاب المترجم هو الثالث في سلسلة ترجمات روايات هذا الكاتب من اللغة اليابانية مباشرةً إلى اللغة العربية، فكان الكتاب الأول كله لرواية واحدة طويلة اسمها "مشهد على شاطئ البحر" والكتاب الثاني كان ترجمة لمجموعة قصصية بعنوان "الواجب المدرسى. وقصص أخرى".. هذا ويلزم قراءة هذين الكتابين مع هذا الكتاب من أجل وضع تصور شامل لمراحل السيرة الذاتية لهذا الكاتب منذ أن كان تلميذاً في المدرسة الابتدائية حتى توفيت والدته عام ١٩٥٧ حيث كان في سن السابعة والثلاثين.

وهذا الكاتب "ياسو أوكا شووطارووه" يصنف ليكون تابعاً لمجموعة من القصصيين اليابانيين الذين بدأوا انطلاقتهم الأدبية في مرحلة العشرينيات من عمرهم بعد الهزيمة في الحرب، وقد تم تسمية هؤلاء الأدباء الشبان وقتها بـ "الجيل الثالث الجديد" أو (DAISAN NO SHINJIN) وكان من المشهورين منهم "يوشي يوكي جون نوسكيه" و"قوجيما نوبوأووه" والكاتبة "صونو أياقو" و"شوونو جو

نظووه" و"شما أو طوشي أوه" وغيرهم.

وما يزال "ياسو أوكا شووطارووه" على قيد الحياة وهو الآن يناهز الواحد والثمانين من العمر، وقد أصدر عام ٢٠٠٠ آخر رواية له بعد انقطاع طويل عن كتابة القصص وهي بعنوان "كاغامي غاوا" أو "نهر كاغامي" التي هي عبارة عن تسجيل مفصل لشجرة عائلته التي ترجع جذورها إلى بعض الأشراف الإقطاعيين بمحافظة "قووتشي" جنوب جزيرة "شيقوكو" غرب اليابان وذلك النهر هو اسم نهر موجود بالفعل في قريته مسقط رأسه.

ولقد التقيت بذلك الكاتب بالفعل أكثر من مرة وأخذت الإذن منه للقيام بهذه المجموعة للترجمات لأعماله الأدبية، وقد اخترت هذا الكاتب بالذات لأن كتابته في السيرة الذاتية بالذات هي التي جذبتني وجعلتني أدرك أنه من خلال ترجمتها سوف يتثنى للقارئ العربي المهتم بمعرفة اليابان أن يتعرف على خلفية مفصلة للظروف الاجتماعية والنفسية والسياسية التي كانت تعيشها اليابان في فترة الحرب وما قبلها وما بعدها.. أي أن هذه القصص تكون بمثابة وثيقة تاريخية تأخذ الشكل الأدبي الروائي.

وأود أن استمر في ترجمة المزيد من أعمال هذا الكاتب كلما أتيحت فرصة توفير الوقت والمجهود حيث اعتبر أنه الشاهد الأخير الباقي على قيد الحياة على هذه الحقبة الهامة من تاريخ اليابان من بين الكتاب القصصيين لجيله ومن بين زملائه أعضاء نادي "الجيل الثالث الجديد" جنبا إلى جنب مع الكاتبة "صونو أياقو".

D. MACHI No NIOI
١ – (رائحة الحي الهادئ)



لا أعرف لذلك سبباً على وجه التحديد ، ولكنى كلما حللت بهذا الحى أصابنى مرض ما !

نعم .. لقد جئت إلى هذا الحى مرات ثلاث ، وفى كل مرة كان يتمكن من جسدى مرض عضال . فى المرة الأولى أصبت بمرض فى الأمعاء الغليظة ، وفى المرة الثانية أصبت بالتهاب حاد فى الشعب الهوائية ، وفى المرة الثالثة أصبت بدرن العظام .

قد لا يصدقنى أحد إذا ذكرت هذا وقد لا يأخذ أحد كلامى هذا على محمل الجد ، ولكن لا يسعنى إلا أن أؤمن بأن هناك لعنة ما تربط أمراضى بهذا الحي.

ومع ذلك فمن المعروف عن هذا الحى اهتمام إدارته إلى حد كبير بالنظافة والمحافظة على الصحة العامة وأن تجمعاتها السكنية قد بنيت مجهزة باستعدادات مختلفة للحفاظ على البيئة ، وعلى سبيل المثال فقد أنشئت عدة مدارس

خاصة لتعليم طرق طهى الطعام وللياقة البدنية وغيرها ، وقد سجلت فى كتيبات التعريف بتلك المدارس العبارة التالية: "هنا أرقى أحياء العاصمة "طوكيو" قاطبة حيث تفخر بأعلى مستويات حماية البيئة" .

وأستطيع أن أقول أن هذه العبارة ليست على الإطلاق خيالية بعيدة عن الواقع فهذه المنطقة بعيدة تماماً عن وسط العاصمة ، ولكن حسب معلوماتى فهى تعتبر من أول المناطق فى اليابان التى تم بها إدخال نظام الصرف الصحى . وأعتقد كذلك أن هذه المنطقة من أشهر مناطق اليابان بانتشار أكبر عدد من الغسالات الكهربائية والمكانس الكهربائية . فقبل الحرب (أى منذ حوالى ٢٠ عاماً) فقد كانت معظم الأسر بهذه المنطقة قد أدخلت الثلاجات الكهربائية بيوتها ، ولذلك فقد اختفت من هذه المنطقة تماماً متاجر بيع الثلج ولم تعد تلك التجارة رائجة بها.

هذا .. وقد أقيمت المحطة الرئيسية للترام فى منتصف المنطقة ، ومن ذلك الميدان تتفرع الطرق وتمتد على شكل مروحة مفتوحة ، وقد تراصت المنازل المتشابهة على جوانب الطرق بمسافات متساوية تماماً .. وهى البيوت التى تم إدخال وسائل الصرف الصحى بها جميعاً ، حتى أنها كانت تبدو فى منظرها ذلك وكأنها نموذج مصغَّر للعب الأطفال من فرط دقة هندستها.

ومن هنا يؤرقنى دائماً هذا التساؤل : "ترى لماذا أصاب دائماً بالمرض هنا على الرغم من توفر تلك التجهيزات الصحية ".

لقد سمعت أنه توجد بعض المناطق فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تنتشر بها الزهور اليانعة المختلفة والتى تكاد روائحها ويكاد عبقها أن يصيب الساكنين بها بصعوبة فى التنفس وقد يخيل للمرء هنا فى هذه المنطقة أيضاً أن هناك روائح من روائح الزهور تملأ الأجواء.

إنك حين تخرج من المحطة الرئيسية لهذا الحى سوف تجد أمامك ميداناً مفتوحاً على شكل نصف دائرة ، وإذا وقفت لتتأمل المنازل المحيطة بنصف الدائرة تلك ستجد أسواراً من القضبان الحديدية المطلية بالدهان الأبيض تحيط بكل تلك المنازل ، وستجد عند مدخل كل منزل يافطة بيضاء مكتوب عليها أسم صاحب العقار ، ولأن كل منزل منها توجد به حديقة صغيرة فسوف يتهيأ لك أن كل منزل بذاته عبارة عن حديقة جميلة للنباتات . كما أنك لن تشعر بأن هناك أناس ما يقطنون بتلك المنازل ولا حتى بأى بأثر لوجود حيوانات أليفة ، وبدلاً من ذلك فسوف يشد انتباهك وجود أشجار البابار والمانجوستين ، وكذلك وجود نباتات أكثر قيمة وندرة وجمالاً بدرجة توحى لك بأن ساكنى تلك المنازل هى تلك النباتات نفسها وليس البشر !

إنك قد تتخيل أنك لو دخلت من بوابة حديقة هذا المنزل المبنى على الطراز الأسبانى أو ذلك المنزل المشيد

علـى الطـراز السـيامى إنـك سـوف تفاجـأ بشـجرة لنبـات الإسباراجاس فى حجم الإنسان البالغ تضطجـع علـى كرسـى هزاز كبير وهى تتصفح جريدة الصباح مثلاً !!

نعم .. قد تستطيع أن تتخيل على الأقل أن وضع نبات جميل من هذه النباتات فى مداخل تلك المنازل هو أمر عادى عن وضع أشخاص ببشرتهم الصفراء وقواطع اسنانهم الأمامية البارزة من اليابانيين!!

على أى حال فسوف تستطيع أن تستشف أن هذه المدينة تفوح بها رائحة منعشة رطبة بمجرد أن تلمح مشهد ذلك الميدان بعد خروجك من بوابة المحطة . ولكن ذلك الإحساس قد يقودك إلى الشعور بأن هواء المكان مصطنع .. أو إذا اخترت تعبيراً أفضل فسوف تشعر بأن ذلك الهواء ينبعث من مكان ما مبالغ فى هندمته وجماله.

وإذا استمر بك الحال هكذا لساعات متصلة وأنت تشتم رائحة هذا الهواء فقد تجد إحساساً بالبرد يهاجم أوصالك ويجعلك فى النهاية تصاب بالحمى! وبالطبع فلا شك أن إصابة شخص ما بمرض من روائح الزهور سيعود فى هذه الحالة إلى طبيعة جسده ودرجة حساسيته.

ومع ذلك فلا أدرك السبب الذى يجعلنى أحل بهذا المكان أكثر من مرة دون التفكير فى العواقب الوخيمة التى ستحل بجسدى . قد يكون ذلك لأننى كلما ابتعدت فترة عن هذا الحى نسيت تماماً مدى الضرر الذى تلحقه بجسدى روائحه تلك . وقد يكون انجذابى إلى ذلك الحى واشتياقى

إليه نابعاً من انبهاري بأناقته الفاخرة. وقتها أنسى تماماً الذكريات الأليمة لمعاناتي الصحية . والحقيقة هنا أنني لازلت لا أصدق أن تلك الروائح هي السبب المباشر في إصابتي بتلك الأمراض ومع ذلك فقد كان واضحاً لدي – بشكل نسبي – السبب المباشر في إصابتي بالمرض حين جئت أول مرة إلى هذا الحي.

وقتها كنت طالباً بالمرحلة الإعدادية ، وأقمت في بيت أحد أقاربي – الذي كان يسكن بهذه المنطقة – بعد انتقال أبي إلى مدينة بعيدة عن طوكيو تبعاً لظروف عمله ، وصرت خلال تلك الفترة أتردد على مدرستي الجديدة من ذلك البيت . كانت هذه الأسرة تتفاخر بالتزامها بعادة النوم والاستيقاظ مبكراً ، ولذلك فكنت أحياناً أتلقى لوماً وعتاباً شديداً إذا سهرت قليلاً أو صحوت متأخراً عن بقية أهل البيت . كما أنني كنت ألحظ مظاهر الدهشة والانزعاج الشديد على وجه أهل البيت وهم ينظرون إليَّ شزراً حين أتأخر عن الجلوس إلى مائدة الطعام في الموعد المحدد أو حين كنت أشرع في الخروج إلى المدرسة دون تناول طعام الإفطار وذلك كما لو أن الثلوج قد سقطت في يوم من أيام الصيف القائظ!

كانت توجد ابنة لرب هذه الأسرة تماثلني في السن، وكان نظرها ضعيفاً للغاية ، وكانت مهمة تلك الفتاة هي التنفيذ المباشر لأوامر الأم في دفعي إلى النوم أو إيقاظي في الصباح أو استعجالي الجلوس إلى منضدة الطعام حسب المواعيد المفروضة.

وحين علمت تلك الفتاة بعادتى فى الاستيقاظ متأخراً فى الصباح ، فقد صارت تقف فى الردهة خلف باب غرفتى كلصباح قبل موعد الاستيقاظ المفروض بربع ساعة لكى تستمر فى الصياح وهى تناديني بأسمى!! .. وقد كانت تصيح بى هاتفة: "يا عزيزى" "شوو" .. لقد حان الوقت هيا أفق من نومك فسوف تتأخر عن موعد المدرسة".

لقد كان جسد قريبتى هذه ضعيفاً وبه علة ما ، ولذلك فلم تستطع الالتحاق بمدرسة البنات ، وربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى لحساسيتها المفرطة وامتعاضها من مجرد سماع كلمة "المدرسة" أو ذكرها على لسانها ، ولكننى حين كنت أسمع صوتها وهى تصيح من خلف الباب بكلمة "المدرسة" كنت أشعر بأن الكلمة ثقيلة على لسانها ولم تكن تمر دقيقة حتى يتحول صياحها ذلك إلى صراخ ثم إلى نحيب متواصل!

لقد كانت تصرخ قائلة:

"لقد مرت دقيقة كاملة وأنا أناديك .. ها هى مرت دقيقة ونصف"

إننى بالرغم من هياجها ذلك فقد كنت أستشعر من صوتها مدى اهتمامها العميق بى وأحياناً كان يخيل لى أنها شغوفة بى ! ولذلك فقد كنت أتعمد التلكؤ فى تغيير ملابسى، وكنت أثناء ذلك أخرج نصف جسدى من الباب الموارب مُوهماً إياها بأننى قد انتهيت من الاستعداد للخروج .. ثم أدخل فجأة إلى الغرفة مرة أخرى لكى تصيح وتصرخ

غاضبة ، وكان تصرفها ذلك فى حد ذاته يجعلنى أشعر بالانتشاء . ولكنى فى تلك الأحوال كنت أفاجأ بأنها غاضبة بالفعل منى غضباً واضحاً من أعماقها.

إننى لم أكن مقتنعاً أبداً بتصرفات هذه الأسر التى تحرص على المواعيد هكذا حرصاً يفوق التصور.

كذلك كانت توجد بتلك الأسرة فتاة تماثلنى فى السن.. وكانت أيضاً ضعيفة البصر إلى حد كبير ! .. لقد كنت أقوم بمهمة إعطائها دروساً فى اللغة اليابانية حيث كانت الفتاة لا تستطيع أن تتفاهم سوى باللغة الفرنسية التى تعلمتها هناك.

لقد كنت طالباً فاشلاً حينما كنت أعلمها الحرف الصينى الذى يعنى كلمة "أبيض" (وهو الحرف الذى يبدو على شكل صندوق صغير بمنتصفه خط مكتوب بالعرض) وحدث أن سألتنى عما إذا كان هناك خط واحد أم خطان مكتوبان بالعرض داخل الصندوق المرسوم وحين أخطأت فهم سؤالها وجدتها تكتب خطين .. فصار الحرف يعنى "أنا"!

كانت المتاعب التى تواجهنى فى تعليمها الكتابة فى تلك الحدود ، ولكن إذا ذهبنا إلى مشكلة المحادثة فقد فوجئت بها بعد شهر من بداية تدريسى لها أنها قد تقدمت للغاية لدرجة أنها تجاوزت المستوى الثانى عشر المحدد من قبل الوزارة .. وصارت تتحدث بلغة سليمة أفضل من لغتى أنا نفسى! .. ولذلك فحرصاً على هيبتى كمعلم لها فقد تعمدت

إدخال بعض التغييرات الصعبة التى ترد فى مسرحيات الكابوكى وغيرها من أشكال الفنون التقليدية المسرحية اليابانية لكى أدارى عجزى أمامها ولكن تصرفى هذا على العكس وضعنى فى موقف حرج للغاية وكشفنى أمامها بشكل مُخجل مُذر! .

ومنذ بداية ترددى عليها فقد سحرنى جمال قوامها الذى ينافى القوام التقليدى العادى للفتيات اليابانيات فى سنها، ومع تقدم مستواها فى المحادثة شيئاً فشيئاً فقد وجدت نفسى أغرق غرقاً فى سحرها حتى أننى كنت أشعر بالارتباك وأنا أجلس أمامها وجهاً لوجه . نعم .. فقد كانت فى البداية تتصرف بحياء كأى تلميذة نجيبة تجلس أمام أستاذها ، ولكن مع تعودها على وجودى وصحبتى فقد صارت تتحرر فى مظهرها وتصرفاتها وكانت أحياناً تكسل عن تغيير زى التنس الذى كانت تمارسه أحياناً فتجلس أمامى بالسروال الأبيض القصير المخصص لتلك الرياضة دون أن تشعر بالحرج وتنغمس فى المذاكرة معى . ولأننى وقتها كنت آخذ أجرى بالشهر من أسرتها فلم يكن هناك مجال كى أعتذر عن تدريسى المحادثة لها فى منتصف الشهر.

لقد كانت عواطفى مضطربة وقتها بشكل غير عادى. لقد وجدتنى أدفع نفسى دفعاً لكى أخاف وأخشى الفتاة التى أحبها .. وأجد نفسى أحاول الهرب من أمامها ، وفى نفس الوقت كنت أشعر باللوعة والحسرة لعدم انتقال مشاعرى الحقيقية إليها. ولكن النقطة التى كانت تشعرنى

باختلاف حالتى عن حالة العشق المعتادة أننى فى كل مرة بعد انتهاء الدرس معها كنت أشعر فى طريق عودتى إلى غرفتى بوحشة تسبب البرودة الشديدة فى أوصالى . لقد كنت أتصور أن حالة العشق العادية من المفترض فيها أن تسبب لى سخونة واشتعالاً من جراء الغيرة أو حتى الحنق فى حالة رفضها مثلاً لحبى إذا صارحتها به.

ولكنى حين كنت أسير فى ذلك الطريق الواسع المؤدى إلى المحطة والذى تصطف على جانبيه الأشجار أحسست لعدة مرات بالرغبة فى أن أموت غرقاً فى حفرة مليئة بالبول والبراز ! لقد خطر لى فى لحظة أننى لم أكن لأعانى مثل هذه المعاناة ولا شعرت بمثل هذه اللوعة إذا كانت تلك الفتاة أجنبية غربية وليست يابانية ! نعم فلقد كانت حقاً قد تدربت جيداً على فن المحادثة ، ولكنها لم تكن قد تمكنت من لغتها اليابانية كما قد يبدو من الظاهر . فهى دائماً كانت تحاول مجتهدة متابعة المحادثة معى وهى تبتسم ابتسامة باردة وهى تخفى حيرتها وعدم استيعابها لبعض المفردات الصعبة ذات المعنى العميق التى أنطق بها وذلك بعد أن تستغرق فترة من التفكير وهى تأخذ نفساً عميقاً طويلاً وهى تنظر إلى من خلف زجاج نظارتها السميكة.

لقد شعرت فى النهاية – وبعد مرور عام كامل من قيامى بتدريبها على المحادثة – بنوع من الوحشة والإحباط .. فوجدت نفس أصاب بحمى شديدة لا أعرف سبباً لها فرقدت فى الفراش.

لقد أخبرنى الطبيب الذى جاء لإجراء الكشف علىَّ بأننى أصبت بنكسة بسبب أنفلونزا شديدة فأدت إلى إصابتى بالتهاب فى الشعب الهوائية . لذلك فقد قررت أن أعتذر لها عن الاستمرار فى هذا الدرس الخصوصى ، ولكننى منذ اليوم التالى لزيارة الطبيب لى أحسست بتحسن ملحوظ وبعودة حرارتى إلى معدلها الطبيعى.

أما المرة الثالثة التى زرت فيها هذا الحى فقد كانت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات تقريباً .

لقد اكتشفت فى تلك المرة أن معظم المنازل الكبيرة الحجم فى هذا الحى قد أصبحت تحت حراسة الجيش الأمريكى ، ولقد حدث بعد ذلك أن عملتُ حارساً لواحد من تلك المنازل.

لقد كنت فى البداية أخطط لتحسين قدرتى فى المحادثة باللغة الإنجليزية وكنت أنوى - إذا أمكن - أن أذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية . نعم لقد كنت مفعماً بهذا الطموح ، ولكننى بعد مرور شهر من قيامى بمهمة الحراسة هذه أحسست بأنى قد أدمنت هذه الحياة التى جعلت منى عبداً يعيش فى رفاهية زائدة .. إن المرء إذا كان يعمل فى منزل ما تحت إمرة سيد ذلك المنزل فقد يعيش فى معاناة وذل أو راحة ورفاهية تبعاً لشخصية ذلك السيد ، ولكن فى حالتى هذه كنت أستمتع بحياة مرفهة مثل الأمريكيين الذين كانوا يعيشون فى اليابان وقتها بينما كنت أحصل على راتب مجز.

لقد كان الساكن الأمريكى لهذا البيت وزوجته لا يعودان إليه إلا لِماماً ، ولذلك فقد كان البيت مملكة خاصة بى فأعيش به كما يحلو لى ولم يكن مطلوباً منى سوى ترتيب البيت وتنظيفه جيداً وإعادته إلى حالته المنمقة قبل عودة الرجل وزوجته بخمس دقائق !

وما كان ينقصنى فى هذه الحياة المنعمة المرفهة التى آكل فيها وأشرب وقتما أشاء هو شيء بديهى واحد لا يختلف عليه اثنان .. ألا وهو وجود امرأة أو بالأحرى "خادمة" ، فوجود الحارس أو الخادم يلازمه وجود خادمة .. ومن يقول غير ذلك فهو كاذب مخادع!

نعم .. فقد كانت تقيم بهذا المنزل خادمة تعانى من ضعف النظر أيضاً .. وكانت موجودة قبل تعيينى حارساً بالمنزل .

لقد كانت تلك الخادمة تصغرنى بثلاث سنوات أو أربع سنوات ، ولكنها كانت تبدو أصغر بكثير من سنها وكانت تبدو من منظرها وتصرفاتها وكأنها مازالت طفلة صغيرة.

إننى لم أكن أعرف السبب الذى جعلها تتعمد إظهار نفسها بذلك المظهر الطفولى .. وقد ظللت لفترة طويلة أحاول السعى لاكتشاف ذلك السبب ، وما جعلنى أشعر بالحيرة أكثر هو أن هذه الخادمة كانت فى وضع الأعلى منى مرتبة والأقدم منى فى هذا البيت بالرغم من مظهرها الطفولى ذلك ! نعم فقد كانت تعرف أكثر منى كيفية تشغيل

الغسالة والمكنسة الكهربائية وطريقة التعامل مع العسكريين الأمريكيين الذين يترددون على هذا المنزل بين وقت آخر ، وكذلك كانت تعرف كل أصول وقواعد السلوكيات داخل البيت.

فعلى سبيل المثال حين كنت أحياناً أدور في أرجاء البيت باحثاً عن مفك المسامير أو حين كنت أحتار في معرفة طريقة تشغيل رشاش الماء المثبت بقاعدة المرحاض الإفرنجي كنت أجدها دائماً فوق رأسي وهي تعنفني وتنهرني وتقول لي أحياناً :

"ماذا تفعل بحق السماء؟ يجب أن ننتهي على الفور من ترتيب البيت .. فسوف تصل المدام بعد ربع ساعة من الآن" .

كانت بعد أن تنهي جملتها الغاضبة تلك تنزع الأدوات من يدي وتقوم بنفسها بالإنتهاء من الأعمال المختلفة وفي غمضة عين.

لقد كنت في مثل تلك المواقف أجد نفسي أقف مشدوهاً أمامها وأنا أراقبها فأشعر أنني على وشك أن أتذكر شيئاً ما أو أنني أعيش في حلم غامض وأنا أشاهد طريقتها في العمل والحركة وكذلك طريقتها في الكلام . لقد كنت أشعر أنني قد سمعت بالفعل هذا الصوت في وقت ما وفي مكان ما .. ولكنني كنت أعجز دائماً عن تذكر الصوت وكنت أفيق دائماً من خيالاتي على تلك الخادمة وهي تنهي عملاً ما وتنتقل إلى غرفة أخرى لإنهاء مهمة أخرى!

كنت أدرك أحياناً وفى لحظة معينة أننى أعيش خيالاً يوهمنى بأن هذه الفتاة كانت تعيش منذ فترة طويلة فى هذا البيت وأنها واحدة من أهله . وكان الأمر الأسوأ هو أننى كنت كثيراً ما أدرك أننى أنا فقط الذى يعيش هذه التهيؤات من جانب واحد ، والحقيقة أننى كنت أشك أحياناً فى أنها تتعمد أن تدفعنى بتصرفاتها المخادعة لكى أعيش فى تلك الأوهام والخيالات.

لقد حدث أن حاولت عدة مرات أن أضاجعها فى غياب مستأجرى البيت، ولكنها فى كل مرة كانت تواجهنى بمقاومة شديدة تجعلنى أشعر أننى ضعيف وبأن قواى خائرة أمامها.

لقد كانت فى كل مرة تصرخ فى وجهى قائلة:

"إنه أمر سيئ .. أمر سيئ أن أفعل ذلك .. إنه أمر سيئ فى حق الأب والأم"

لقد كنت أشعر فى كل مرة أسمع فيها هذه الكلمات بريح باردة ثلجية تمر بظهرى وتجعلنى أشعر برعشة شديدة وفى كل مرة كنت أحاول فيها الاقتراب منها والإمساك بها اشعر بضعف مفاجئ مهما كنت أستجمع قوتى البدنية والعضلية . لقد كنت أحتار فى أمرى وأتساءل فى نفسى عن هوية "الأبوالأم" اللذان تتحدث عنهما تلك الفتاة؟

لا أحسب أولاً أنها كانت تقصد ذلك الأمريكى وزوجته اللذان يستأجران هذا البيت ، لكنى فى نفس الوقت

لم أكن أتوقع أن يكونا أباها وأمها الحقيقيين حيث أنها كانت تتفوه بكلمات "Papa, Mama" .. وهى تلك الكلمات المفرطة فى الإفرنجية!

لقد كان أبوها سمّاكا يعيش فى حى (J) القريب من هذا الحى ، وكان بين وقت وآخر يأتى إلى المنزل لكى يستطلع أحوال ابنته فيدخل من الباب الخلفى المؤدى إلى المطبخ وهو ينتعل الحذاء الطويل المطاطى الخاص بعمله فى متجر الأسماك ، فكان دائماً يترك لفة من الجرائد الملطخة بالدم وداخلها أنواع مختلفة من الأسماك ، ولكنها دائماً كانت تتعامل مع أبيها ببرود مفرط ألحظه من نظراتها وتصرفاتها .. وكان ذلك ما يدفعنى إلى أن أطرد من رأسى أى تصور أن يكون هذا هو الأب أو (Papa) ذلك الذى تصيح به وهى تحاول التملص بقوة من بين ذراعى .. أو أن يكون هذا هو الأب الذى تشعر ناحيته بالحرج أو الرهبة.

فى هذه المواقف - ولهذا السبب - كنت أعود وأتخيل أنها تقصد بكلمة "بابا" و "ماما" ذلك السيد الأمريكى مستأجر البيت والمدام زوجته! وكنت أتوقع هنا أن تكون تلك الفتاة تتصرف بتلك الطريقة من وازع رغبتها فى التدلل والعودة إلى مرحلة الطفولة وإقناع نفسها أنها بالفعل ابنة هذين الأمريكيين.

على أى حال .. إننى فى كل مرة كنت أواجه فيها مقاومتها الشديدة تلك ورفضها التام لى .. كنت لا أشعر فقط بمجرد تلك البرودة والرعشة فى ظهرى وأوصالى .. بل

إنى كنت أشعر بدغدغة مقززة تسـرى خـلال ظهرى كلـه ! .. فسواء كنت أتخيل دخول والدها الحقيقى هذا فجأة علينـا وهو بسترته الرثة هذه التى تفوح منها رائحة السمك وبرأسه الحليق اللامع ذلك ، أو دخول ذلك الـ Papa الأمريكى علينـا بعد عودته بسيارته الجيب من مقر عمله .. فقد كنـت أشـعر برعشة شديدة تعترى جسدى كله لمجرد تخيلى ذلك الموقـف المفاجئ.

لكن ما حدث فى الواقـع كـان أكثر رعبـاً مـن ذلـك الخيال.

فى يوم من الأيام المعتادة حين كان سيد البيت غائباً فى رحلة مع زوجته ، كنت أجلـس مـع الخادمـة أمـام مـائدة عشاء حافلة حيث كنا قد أعددنا كل ما لذ وطـاب مـن أنـواع الطعام والشراب الموجودة بالثلاجة وغيرها .. وكانت قائمـة الطعام بحق ينطبق عليها كلمة "وجبة عشاء كاملة" . ولكننـا، حيـن كنـا علـى وشـك أن نشـمر عـن سـواعدنا لالتهـام تلـك الوليمة فوجئنا بصوت بوابة البيت تنفتح فـى توقيـت غريـب لم نكن قد اعتدناه ، وفى لحظات كان يقف أمامنا مساعد من ضباط الصف الأمريكى والذى كـان يعمـل تحـت إمـرة سـيد البيت .. ثم صاح غاضباً بالإنجليزية:

- Hey ..!

لقد كان صوته الغليظ هذا قوياً لدرجـة أننـى تخيلـت أنـه صـادر مـن ثنيـات أعمـاق بطنـه ، فوجـدت جسـدى كلـه يرتجـف بشـدة ، وأسـقط علـى ظهـرى بالكرسـى الـذى كنـت

أجلس عليه .. ولم أستطع بعدها مباشرة أن أقف علــى قدمـى من هول الصدمة والمفاجأة!

وبعد هذه الواقعة لم تتحسن أبداً حالـة ظـهرى وهـو الذى كنـت أشـعر ببرودة مبالغـة بـه ، وصـرت بعدهـا أرقـد بـالفراش لمـدة عـام فـاقداً الإرادة لمجـرد مخاولـة النهـوض للسـير، وكـان هـذا المـرض هـو أكـثر الأمـراض حـدة علـى الإطلاق من بين الأمراض التى عانيتها فى هذا الحى!

ومنذ هذه المرة الثالثـة التـى أصبـت فيهـا بـالمرض صرت أشعر برعشة برد شديدة بمجرد أن يخطر ببـالى اسـم هذا الحى أو أتذكر شيئاً من ذكرياته .

ولكن ما حدث بعد ذلك هو أمر فى غاية الغرابـة .. حيث مرت الأيام لأجد نفسى أسكن مرة أخرى بهذا الحى .

لقد شُفيت أخيراً مـن ذلـك المـرض العضـال الـذى أصاب ظـهرى والـذى رقـدت بسـببه فـترة طويلـة بـالفراش ، واستطعت بعد ذلـك أن أحصـل علـى وظيفـة مصمـم فنـى بمصنـع للخـردوات بفضـل المهـارات التـى تعلمتهـا أثنـاء مرضـى حيـث كنـت أرسـم تصميمـات علـب الثقـاب .. والرسومات الملحقة بنتائج الحائط ، وهناك فى ذلـك المكتـب الملحق بالمصنع تعرفت على فتاة وتزوجتها ، ولكن المشـكلة التى واجهتنى وقتها هو عدم وجود سكن للزوجية ولما كـانت زوجتى حاذقة مدبرة فقد اقترحت علي أن نسكن بمكان خـالٍ لأحد المعـارف والـذى كـان قـد انتقـل لظـروف عملـه إلـى "اووسـاكا" .. ورأت سـاعتها إن سـكننا المؤقـت بذلـك البيـت

الذى لم يكن صاحبه قد تركه تماماً سيجعلنا ندفع له إيجاراً رمزياً فى مقابل تواجدنا وحراستنا لذلك البيت ، ولما سمعت أن ذلك البيت يقع بنفس حى "دين إين تشووفو" بادرتها قائلاً:

"اللعنة .. إننى أكره ذلك الحى . نعم .. ألم يكن السيد "كيمورا" يسكن بحى "دين إين تشووفو"؟ إننى أصاب دائماً بمرض ما كلما سكنت بذلك الحى".

ولكن زوجتى ردت فى حدة قائلة:

"هل تريدنى أن أصدق تلك الحماقات؟ أولاً إننا لسنا فى وضع يسمح لنا بذكر ذلك الكلام ، أضف إلى ذلك أن نائب رئيس الشركة السيد "طومى ناغا" والذى توسط لزواجنا يسكن بالقرب من ذلك البيت .. إنها شروط ممتازة للسكن ولن نندم أبداً".

نعم .. لقد كانت زوجتى محقة فى كلامها .. فلم يكن وضعنا يسمح بالتردد أو إلقاء الشروط . لقد كان فى البيت الذى استأجرناه ثلاث غرف ، الغرفة الرئيسية كانت واسعة نوعاً وبها صنبور غاز للمدفأة الكهربائية التى تركها لنا السيد "كيمورا" كذلك كانت مجهزة بعدة للهاتف ، أما الغرفتين الأخريين فكانت كل منهما فى نصف حجم الغرفة الرئيسية تقريباً وكانت أرضيتها مفروشة بالحصير اليابانى.. كانت النافذة كبيرة تطل على شارع تصطف على جانبية أشجار الساكورا وكانت تلك الجهة الجنوبية صحية معرضة لضوء الشمس ، وكنا من خلال تلك النافذة نستمتع فى الربيع بمشاهدة زهور الساكورا اليانعة.

لم تكن تجهيزات البيت أو مساحته بائسة على الإطلاق ، بل إن هذا البيت كان رائعاً مقارنة بالأماكن التى سكنت بها حتى الآن.

لقد قررنا أن نجعل الغرفتين الصغيرتين لغرض النوم ، أما الغرفة الواسعة فقد قررنا أن نستخدمها لأغراض متعددة مثل وضع حامل اللوحات بها للقيام برسم التصميمات كذلك استخدامها كغرفة للسفرة والاستقبال بعد وضع المنضدة والمقاعد . وكانت الحسنة الكبيرة فى تلك الغرفة الواسعة هو وجود صنبور الغاز ذلك الذى يساعدنا على طهى الطعام بسهولة وقتما نريد.

لقد قالت زوجتى:

"إنه بيت رائع ، فهنا نستطيع أن نشعر بالارتياح والاستقرار ، كذلك سوف تستطيع أنت بالتأكيد أن تمارس عملك فى هدوء".

فرددت عليها قائلاً:

"نعم نعم .. فيجب علي أن أشعر بالاستقرار .. وإلا.." .

لقد أومأت برأسى على مضض وأنا لازلت أشعر فى مكان ما بصدرى بعدم الطمأنينة . وعندما جاء زملاؤنا بالعمل لرؤية البيت الجديد أخذوا يهنئوننا بالسكن الجديد واحداً بعد الآخر ، هذا ما عدا واحد فقط منهم وهو السيد "م" والذى كان مولعاً بقراءة الروايات البوليسية .. فقد أخذ

يجول بأركان البيت ويتفحصه بعينيه وهو يقول:
"أن هذا البيت يعطى الإيحاء بوقوع جريمة قتل به"!
حين سمعت كلمات ذلك الزميل شعرت وكأنني أقتنع بما قاله . نعم .. فالغرفة الصغيرة كان يفصلها عن الغرفة الكبيرة ستارة قماشية لا تعطى إحساساً بالراحة ، كما أن دولاب الملابس ورف المرآة على الرغم من حداثتها فقد كانا كبيرين أكثر من المعتاد ويعطيان الإحساس بالغلظة ، وكانت طريقة وضع الأثاث بوجه عام عشوائية لا تريح العين ، وكان شكل سلك الهاتف ومواسير الغاز ملتوياً متعرجاً ، وخصوصاً سلك الهاتف الذى كان يزحف على أرضية الغرفة بذلك الشكل الملتوى الذى يثير غرائز محبى القصص البوليسية!
ولكنى وجدت نفسى أجلس على ركبتى فى صدر الغرفة الصغيرة المفروشة بالحصير .. وهى الغرفة التى كانت تعلو مستوى الغرفة الواسعة بمقدار قدم تقريباً .. وانحنيت برأسى تحية للزملاء الذين كانوا يجلسون بالغرفة الواسعة وكأننى أوشك على البدء فى إلقاء خطبة تقليدية أمام جمهرة من المشاهدين وفي قرارة نفسى محاولة لطرد تأثير كلمات الزميل "م" عن رأسي!
وكما صدق حدسي فقد شعرت تلك الليلة بألم ينغز رئتى اليسرى ، ولذلك فعندما أفقت فى الصباح الباكر أسرعت بالذهاب إلى المستشفى - وهذا على غير عادة الكسل التى كنت أتميز بها - وأخذت صور أشعة على

الصدر وقمت بتحليل الدم ، ولكن لم يكن هنـاك أمـر طـارئ على وجه الخصوص .

ومن بعدها لم أشعر أبداً بأى تغير غريب على حالتى الصحية .

كنت حين أقابل بعض المعارف فى مكان ما ويسألونى عن السكن الجديد ..

كنت أجيبهم بأننى أسكن فى حى "دين إين تشووفو" .. فكانوا جميعهم بلا استثناء يحسدونني على سكنى بذلك الحى ، ويمتدحون رقى ذلك الحى وفخامته ، فكنت أجيبهم قائلاً :"حسناً .. لا بأس بذلك المكان .. فأهم شيء أنه هادئ". وشيئاً فشيئاً أخذت أشعر أنا الآخر بالراحة والاستقرار.

نعم .. إننى حين كنت أمعن التفكير فى هذا الأمر كنت أكتشف أن المرات الثلاث التى أصبت فيها بالمرض كانت كلها فى ظروف إقامتى ببيوت لا أملكها ، فكنت أقيم فى غرفة عند بعض المعارف أو أقيم بغرفة لمخدوم ، ولم يكن ذلك يعنى بالضبط أننى كنت أسكن بهذا الحى بمعنى الكلمة . إننى حقاً هذه المرة لم أكن أملك هذا البيت الجديد بمعنى الكلمة وإن كنت على الأقل أقوم بدفع إيجار من جيبى الخاص لأجرة البيت وأشعر لذلك بالارتياح والاستقرار وفى هذه الحالة فقد تكون رائحة هذا الحى قد صارت أخيراً لا تضر بالصحة مثلما كنت أشعر من قبل ! نعم .. لقد صرت أشعر بهذا الإحساس.

لقد استطعنا بالكاد أن نشترى منضدة ومقاعد جديدة بفضل الحوافز التى حصلنا عليها كلانا من العمل ، وبهذا تغير انطباع الغرفة الكبيرة عما كانت عليه من قبل من جو يوحى بـ"مسرح جريمة قتل" ، وبعدها .. ومن أجل أن أشعر براحة أكثر فى العيش بهذا البيت مع زوجتى فقد قمت بشراء كلب ، وكانت زوجتى الواعية المدبرة قد طرأت لها فكرة شراء الكلب ذات يوم حين فاجأتنى قائلة:

"بالمناسبة .. لقد قرر نائب رئيس الشركة السيد "طومى ناغا" شراء كلب كبير من نوع "أكيتا" اليابانى الأصل، وكان يشكو ذلك النهار من حيرته فى كيفية التخلص من كلبه الـ "سوبانيل" الذى لم يعد يستطيع ترتيبه ورعايته، ما رأيك .. فلنأخذ منه ذلك الكلب ونقوم بترتبيته"!

نعم .. لقد استطاعت زوجتى أن تجد كلباً تحصل عليه دون دفع نقود فى شرائه.

ومع ذلك فقد رددت عليها متشككاً وقلت :

"ألا ترين أن ذلكالنوع من الكلاب نادر وغالى الثمن؟ ألم يكن نائب رئيس الشركة يتباهى بامتلاكه له"؟

لكن زوجتى ردت على فى ثقة قائلة :

"ليس الأمر كما تتصور . إن ذلك الرجل من النوع الذى يصاب بالملل بسرعة ولذلك فإننى متأكدة أنه قد ضاق ذرعاً بذلك الكلب ، وإلا لما أقدم على شراء كلب من نوع "أكيتا" وقام بتربيته" .

لقد كان ذلك الكلب الـ"سوبانيل" أسود الشعر وقصير

الأقدام ، وكذلك أذناه طويلتان متدليتان وتكادان تلمسان الأرض ، وكان الكلب يحصل على شهادة من الجمعية البريطانية لتربية الكلاب تدل على نقاء نوعه أباً عن جد ، ولذلك فقد كان كلباً رفيع القيمة مبالغاً فى أرستقراطيته بحيث كان من الصعب أن تجد مثله فى حى "دين إين تشووفو".

لقد كنت أشك فى كون السيد "طومى ناغا" قد قرر الاستغناء عن ذلك الكلب القيم لمجرد أنه سريع الملل كما قالت زوجتى ، بل كنت قد سمعت أنه لم يكن شغوفاً من البداية بذلك الكلب .. ولذلك فلم أكن مستريحاً لأن يترك لنا ذلك الكلب غالى الثمن هكذا دون مقابل ، ولكن الحقيقة إن اتفاقه النهائى معنا كان واضحاً من أنه لا يمانع إطلاقاً من أن نقوم بتربية ذلك الكلب على أنه من أملاكنا الخاصة . لقد قال لنا السيد "طومى ناغا" الجملة التالية فى نهاية لقائه بنا:

"لقد جئتم فى وقتكم .. فقد كنت أحتار فى أمرى حيث لا أجد الوقت كى أصحبه فى نزهته اليومية المحددة كل يوم".

وبعد أن أنهى السيد "طومى ناغا" جملته تلك أعطانا أيضاً بعض متعلقات الكلب مثل سلسلة الرقبة والفرشاة ومقص الشعر وغيرها.

بالنسبة لطبيعة عملى فلم يكن هناك وقت محدد ألتزم به للخروج كل يوم ، وعلى العكس فقد كنت أستطيع إعطاء إنتاج أكثر ونتائج أفضل حين أقوم بالعمل فى البيت

عن قيامى بنفس العمل بالأتيليه الملحق بالشركة ، ولذلك فكلما كنت أنتهى من مهمة ما كنت أجد أن ذلك الكلب هو أفضل رفيق لى حين أخرج للتمشية واستنشاق الهواء .

وفى بداية الأمر كنت أشغل نفسى بانتقاء أنواع طعام معينة له حيث أنه كلب من نوع راق ، ولكن مع مرور الأيام ومع تعودى عليه فقد أدركت أن الكلب مهما كان بفطرته مثل باقى أنواع الكلاب .. فقد كنت أتركه لحاله يدس أنفه فى الحشائش البرية النابتة على جوانب الطريق لكى يشمشم هنا وهناك باحثاً عن شئ يأكله ، وقد كان ذلك الكلب يحب القراقيش المملحة عن أى شئ أخر .. فكان يسرع إلى التهام تلك القراقيش حين أقدمها له ويبتلعها على الفور دون أن يمضغها فتتحشر أحياناً فى حلقة فيصدر صوتاً واهناً غريباً وكأنه يعانى ، ولذلك فقد كنت أشعر بغبائه الشديد فى مثل تلك المواقف .

ولكننى فى أحيان أخرى حين كنت أصطحبه كنت ألحظ عيون المارة بالحى وهم ينظرون إليه فى إعجاب وهو يهتز بشعره الأسود الغزير الجميل هذا وبأذنيه المتدليتين هاتين.

وفى بعض الأحيان كانت تتوقف بعض السيدات عن السير ثم تلتف إلى الخلف لتتابع الكلب بنظراتها وهو يبتعد عنها ، وكانت هناك بعض السيدات تستوقف الكلب لكى تداعبه وتتحسس رأسه وشعره الغزير ، فكنت أتعمد فى مثل هذه المواقف أن أنادى الكلب باسمه بصوت عال قائلاً : "راغون" !

أو كنت أحياناً أتعمد التظاهر بأننى أنهر ذلك الكلب الإرستقراطى وأحذر السيدة قائلاً : "خذى حذرك يا سيدتى فقد يعضك".

ثم أقوم بشدة بالسلسلة لكى أبعده قليلاً عن السيدة.

بالنسبة لى فكونى قد صرت هكذا أستطيع ترويض مثل هذا الكلب الأرستقراطى إلى هذه الدرجة فقد كان ذلك يعطينى إحساناً أكثر بالراحة والسرور وبعدم اللجوء مرة أخرى للوقوع فى رهبة الخوف من الراحة الأرستقراطية لهذا الحى! لقد كنت فى مثل هذه اللحظات أجدنى أردد فى نفسى عبارة معينة وهى : "آه .. ها قد تعودت أخيراً على هذا الحى" .

وفى يوم من الأيام المشمسة المعتدلة الجو اصطحبت الكلب كعادتى لعمل النزهة اليومية ، وأحسست أن هذا اليوم هو أنسب الأيام لمثل هذه النزهة ، ووجدت نفسى منتشياً بشعور يطلقون عليه بالإنجليزية INDIAN SUMMER حيث انطبقت ظروف الطقس مع حالتى النفسية. وحين كنت أسير فى نقطة معينة لمحت على الناحية الأخرى من الطريق رجلاً أنيقاً شائب الرأس يرتدى سروالاً ضيقاً برسوم الكاروهات – والتى كانت قد انتهت شعبيتها منذ زمن – وحذاءاً رياضياً خفيفاً . لقد كان من النادر مشاهدة رجل فى سنه تليق به تلك الملابس فى أى حى آخر . لقد كان يبدو من مظهره ومشيته وحتى طريقه حركة يديه أنه رجل أرستقراطى مهذب.

لقد أحسست بالإعجاب بمنظره .. فأخذت أتابعه بعينى من بعيد ، ولكنى فوجئت به يغير مساره بعد أن كان متجهاً إلى المحطة مبتعداً .. فقد عاد أدراجه وأخذ يقترب منى .. ثم أنبرى يقول فجأة :

"آاه .. يا له من شئ رائع .. إنه رائع حقاً" !

ولكنى أمام هذه المفاجأة لم أستطع أن أرد بشىء وكأننى أصبت بالخرس! لقد اكتفيت بأن أحنى رأسى قليلاً بالتحية وأنا أقول : "أبداً" ، ثم حاولت أن أتابع السير فى طريقى . ولكنى فى هذه اللحظة تهيأ لى أن هناك شخص ما يقف خلفى .. وأن ذلك الرجل الأرستقراطى كان يوجه حديثه إلى ذلك الواقف خلفى وليس إلى أنا شخصياً ولكننى لم أستطع حتى أن أجد القدرة على الالتفات إلى الخلف والتأكد من هذا .. نعم .. لقد أحسست بأن جسدى قد تخشب تماماً وبأننى فقدت القدرة على الحركة .

لقد عدت هنا وسألت نفسى قائلاً :

"لماذا تضطرب هكذا بحق السماء؟ إن ذلك الرجل الأرستقراطي المهذب لا يعنيه أمرك فى شئ .. إن الأمر كله أنه معجب بهذا الكلب ليس أكثر . إن الأمر لا يزيد عن حب فضوله فى معرفة أصل هذا الكلب ونوعه وسنّه.. فلماذا لا تستطيع أن تجيبه وتحاوره" !!

ولكنى بالرغم من ذلك وجدت أن لسانى كما لو كان قد التصق بحلقى وعجز عن الحركة ... وأحسست أنه حتى لو تحرك لسانى فقد كنت على وشك أن أتفوه بالعبارات

التالية:

"هذا الكلب ليس ملكي .. إنني أستعيره .. هذه الملابس أيضاً أستعيرها ، والسكن أيضاً أستعيره .. كذلك فأنا نفسي لست ملكاً لنفسي .. فإني مرهون للغير" !!

لقد أفقت من تخيلاتي لأجد ذلك السيد المهذب الوسيم لا يزال واقفاً أمامي ينتظر إجابتي .

أما أنا فقد ظللت متسمراً في مكاني أبتلع عبارة "هذا الكلب" التي كانت على وشك الخروج من فمي ولكنها لا تخرج أبداً ، وبعد لحظات أحسست بالبرودة تجتاح فقرات ظهري وأحسست بأنني أرى أمام عيني ذلك البيت الذي أستعيره ينهار محدثاً ضجة عالية . وفجأة أفقت مرة أخرى على الكلب "راغون" وهو ينطلق بأقدامه الأربعة بكل سرعة بعد أن قطع السلسلة يعدو هناك باتجاه الميدان ذو الطرق المتفرعة منه على شكل مروحة – وذلك دون أن ينحرف يميناً أو يساراً حتى غاب تماماً عن عيني!!

AOBA SHIGERERU
حين يأتى الربيع

هذه السنة (وكما هى العادة) رسبت فى الاختبار مرة أخرى! لقد انتابتنى عدة أحاسيس متداخلة حين علمت بذلك الخبر .

ذلك الصباح .. التقطت آذان "جونتاروووه" صوت خطوات الخادمة الشابة وهى ترتقى درجات السلم الخشبى فى نغمة منظمة خفيفة وهو السلم المؤدى إلى الدور الثانى حيث غرفته ، وحيث كان قد أفاق لتوه من النوم وما زال راقداً داخل الفراش . لقد كان وقع تلك الخطوات يدغدغ صدره ويبعث داخله توقعات وآمال متداخلة .

لقد كان طرف أنف تلك الخادمة محمراً دائماً .. ويبرز من فتحتى تلك الأنف بعض الشعيرات التى كانت تبعث فى نفسه الضجر ، ولكنه إذ تناسى ذلك العيب فقد كان وجهها فى مجمله مقبولاً بشكل ما بالنسبة له . وكانت هناك غرة فى أسفل ذقنها تقسم ذلك الذقن إلى نصفين ممتلئين

متساويين أما كتفاها فقد كانا نحيلين منحدرين إلى أسفل ... ورقبتها كانت ممشوقة نحيلة ، أما عيناها فكانتا مرفوعتين من أطرافهما الخارجية إلى أعلى قليلاً . ويشع منهما أحياناً بريق لامع يشيع بالتحدى ... وهو الأمر الذى كان أيضاً لا يبعث على الارتياح بداخله .

لقد تظاهر "جونتاررووه" بأنه ما زال مستغرقاً فى النوم منتظراً لحظة أن تفتح الخادمة باب الغرفة الخشبى الخفيف المنزلق ... متخيلاً تلك الخادمة بصفاتها تلك وهى تنزلق إلى داخل فراشه!!

لقد قال "جونتاررووه" فى نفسه وهو يتابع صوت خطواتها : "ماذا يحدث لو صار ما تخيلته أمراً واقعاً وانزلقت تلك الخادمة إلى داخل فراشى عن طواعية منها؟ لالا ... قد أكون واهماً ولكن قد أكون على العكس مصيباً ... فما الذى يجعلها تتسلل إلى غرفتى هنا بالدور الثانى فى تلك الساعة المبكرة من الصباح وهى تعلم تماماً بأنه لا يوجد فى البيت سواى أنا وهى" ؟

لقد أغمض "جونتاررووه" عينيه وحرص على ألا يتحرك وهو يترقب انفتاح الباب الذى لا يبعد سوى خطوتين أو أدنى من وسادته . وللحظة تخيل " جونتاررووه" أن الخادمة قد تتردد فى قرارها فتتوقف عن الصعود على السلم ثم تعود أدراجها إلى الدور السفلى مرة أخرى . ولكن صوت الخطوات استمر حتى توقف تماماً عند الردهة الصغيرة التى تقع خارج باب غرفته .

ها هو باب الغرفة ينفتح ببطء وهدوء ، ولم يكن يشغل بال "جونتاررووه" لحظتها سوى التفكير فى أخذ الوضع المناسب داخل الفراش بحيث يبدو لها إن رقدته تأخذ شكلاً طبيعياً توحى بأنه مستغرق تماماً فى النوم . لقد كان يعتقد إن هذا الوضع هو أكثر الأشكال التى ستعطيها الشجاعة لكى تستمر فى مغامرتها!

ولكن "جونتاررووه" لم يستطع الاستمرار فى تمثيل دور الغارق فى النوم ، ففتح عينيه كى يطلع على ما صارت إليه الأمور عند مدخل الغرفة ، فإذا به يلمح الخادمة وهى تفتح الباب نصف فتحه بينما برز وجهها من تلك الفتحة وهى ترسم على وجهها ابتسامة عريضة!!

كان طرف أنفها - كما هو دائماً - محمراً ، وكان ذلك الجزء هو أكثر الأجزاء التى تركت فى نفسه انطباعاً قوياً فى تلك اللحظة . ولم تمر ثوان إلا وبادرته الخادمة وهى تقول :

"سيدي الصغير ... هناك رسالة لك"

لقد كان بيدها بطاقة بريدية مختومة بخاتم البريد السريع ، وكانت مرسلة من مكتب القسم التمهيدى لجامعة "ز" .

حين لمح "جونتاررووه" عنوان الراسل شعر بأنه أفاق للمرة الثانية من النوم ، وقفز إلى مخيلته فى نفس اللحظة منظر السطح الهرمى الأصفر لمبنى الجامعة .

السيد "أبيه جونتاررووه" - رقم جلوس : ١٢٩٨٩

نتيجة امتحان اختبار المتقدمين للسنة التمهيدية للمذكور أعلاه

راسب

وهذا للعلم ... وشكراً

لقد استمر "جونتاroooه" لبعض الوقت يحملق فى ذلك الختم ذو الحبر البنفسجي الذى يحمل عبارة "راسب" دونما أن يشعر بأى انفعال معين . لقد حاول "جونتاروووه" أن يقنع نفسه بأنه مازال نائماً وبأن ما رأته عيناه منذ لحظات لا يتعدى أن يكون كابوساً سخيفاً ، ولكن ها هى خطوات الخادمة وهى تهبط درجات السلم يدوى فى أذنيه لكى تنبهه أنه مستيقظ تماماً وإن ما حدث لم يكن حلماً بأى حال من الأحوال !!.

لقد كانت أشعة الشمس تتسلل من خلال زجاج النافذة التى تقع أسفل السلم ، كانت تلك الأشعة تعطى الإحساس الحقيقى بأن الوقت هو منتصف الربيع . وفى نفس الوقت كانت تؤكد له بأنه قد رسب مرة أخرى هذه السنة .

لقد صار "جونتاروووه" معتاداً على هذا الإحساس فى السنوات الأخيرة ، فقد صارت كلمتا "الربيع" و "الرسوب" مترادفتيْن يرتبطان ارتباطاً لا ينفصم عراه داخل قلبه!

هبط "جونتاروووه" درجات السلم متوجهاً إلى دورة المياه بالدور السفلى . وحين وصل "جونتاروووه" إلى الدور السفلى ، كانت أشعة الشمس تتسلل من خلال أغصان

الشجيرات المزروعة بأصص الزرع والمصطفة بالشرفة التى تقع بالجهة القبلية وذلك إلى أركان الدور السفلى.

وقد كانت أشعة الشمس تلك تستحيل فى ناظرى "جونتارووه" كما لو كانت تعكس غمازتى فم الخادمة وهى تبتسم . وذلك على الأبواب الورقية للدور السفلى ! ولحظتها فقد أدرك "جونتارووه" مغزى وجه الخادمة المبتسم التى كانت قد قرأت محتوى البطاقة البريدية قبل أن تدفع بها له ... وإنها جاءت بالبطاقة خصيصاً إلى غرفته لكى تتشفى فى "جونتارووه" وترى انطباعه حين يقرأ محتوى البطاقة!

لقد كانت تلك الخواطر تجول برأس "جونتارووه" حين كان يتبول داخل دورة المياه وهو يتخيل وجه الخادمة بعينيها الماكرتين ذات الحدقتين الصغيرتين نسبياً . وللحظة استرق "جونتارووه" النظر إلى عضوه الذكرى وهو يتبول حيث لاحظ إنه - على غير عادته فى ذلك الوقت من النهار صغيراً غير منتصب ! فتمتم "جونتارووه" فى سريرته قائلاً "اللعنة" !

نعم ... فقد كان "جونتارووه" يعنيه أمر تلك الظاهرة ... فقد كان يلحظ دائماً انتصاب عضوه حين يستيقظ كل صباح فى فراشه ، وذلك فقد كان يحاول أن يخفى بروز عضوه هذا بتغطيته بالبيجاما وهو فى طريقه كل صباح إلى دورة المياه وذلك بشدها إلى أسفل تارة أو بضم حوافها إلى الأمام تارة أخرى ، ولكن ها هو ذلك الصباح يجد نفسه على غير العادة لا يلجأ إلى القيام بتلك الحيل!!

لقد أدرك "جونتاروووه" بأن ما حدث له من تغيير فسيولوجى ذلك الصباح كان ولا شك بسبب تأثره بخبر الرسوب هذا ... ومع ذلك لم يكن هذا الأمر قد سبب له على وجه الخصوص أى شعور بالحزن أو القلق أو الهم ... وقد يكون سبب عدم اهتمامه ذلك بسبب تكرار ذلك الرسوب فى العام الماضى والعام الذى قبله وكذلك العام الذى سبقه ، نعم قد يكون هذا هو السبب .

نعم ... فمهما كانت الأمور غريبة ومؤلمة ... فإن التعود عليها قد يكسب المرء نوعاً من عدم المبالاة بها ... بل والتعود عليها كنغمة وتيرة للحياة!

ولكن المشكلة تكمن هنا فى كيفية نقل هذا الخبر إلى الوالدة !

وكعادة كل سنة ، فقد توقع "جونتاروووه" أن تبكى أمه وتعنفه وتصيح فى وجهه ثم تهجم عليه وتلطمه وتقرصه وتخدشه بأظافرها مثل كل سنة ... وكأنما كان الأمر مثل مشاجرة تقوم بها تلميذة من تلميذات المدارس .

ولكن على أى حال فهمها تمادت أمه فى اعتدائها عليه فلن يكون الأمر مؤلماً كثيراً بالنسبة له حيث لا تعدو قواها – مما كانت – سوى قوى واحدة من النساء !

ولكن الأمر الذى كان يخشاه ويشعره بالخزى والعار أن يراهما أحد وهما فى معمعة تلك المعركة ... خصوصاً ومما أزاد الطين بلة أن الخادمة قد علمت بالفعل بمحتوى البطاقة البريدية وتنتظر اللحظة التى تستمتع فيها بالفرجة

على ما سيحدث له .

ولكن لحسن الحظ كانت الأم لا تزال غارقة في نومها - كعادتها - حتى تلك الساعة من النهار ، وقد انتهز ""جونتاورووه" تلك الفرصة وتسلل على أطراف أقدامه ، حتى وصل إلى باب غرفة نومها وحشر البطاقة إياها بين ضلفتى الباب ، ثم انطلق يتمشى على غير هدى فى الطريق .

ولكن تلك التمشية بالطبع لم تكن تشعر "جونتارووه" بأى نوع من المتعة ، فبالرغم من أنه كان يقنع نفسه بأن أمر رسوبه هذا غير ذى بال ... إلا أنه حين بدأ يشرع فى السير خارج البيت شعر بأن الحروف البنفسجية لكلمة "راسب" تلك صارت مطبوعة طبعاً فوق بصره ولا تفارق ناظريه للحظة ! حتى حينما كان "جونتارووه" يحاول مغالبة ذلك الشعور بالنظر بعينيه إلى أسفل ... كانت تبدو تلك الحروف وكأنما قد صارت مطبوعة تحت أقدامه على قارعة الطريق فلا تترك مسافة منه إلا وتشغرها فى تحد سافر . لقد شعر "جونتارووه" وكأن تلك الكلمة "راسب" سوف تطارده طول حياته أينما سار وأينما حاول الهروب . ولذلك لم يجد "جونتارووه" مفراً من العودة على أدراجه إلى البيت.

حينما دخل "جونتارووه" إلى البيت ... وجد أمه تجلس أمام طاولة الإفطار بعد أن تم تجهيزه ، لم يكن "جونتارووه" يجد تفسيراً لانعكاس صورة أمه فى جلستها هذه - على غير عادتها - حيث لم تكن أمه البدينة تلك تبدو

فى عينيه عريضة مكتنزة أكثر مما كانت تبدو طويلة نحيلة لقد أنتاب "جونتارووه" ذلك الشعور بعد أن فتح باب غرفة الجلوس داخلاً إليها من ناحية الباب الزجاجى الذى يطل على حديقة المنزل!

لقد بادر "جونتارووه" أمه قائلاً : "أمى ... هل رأيت البطاقة البريدية؟

فردت عليه أمه قائلة وهى تزفر زفرة عميقة" آااه ... لقد رأيتها . لم يكن الخبر غريباً بالنسبة لى فماذا كنت أتوقع منك مع كسلك الواضح هذا"

وعلى غير المتوقع كانت إجابة الأم على سؤال ابنها هادئة رزينة خالية من أى انفعال واضح - على غير العادة- بل إن الأم استمرت فى تناول إفطارها بإيقاع بطئ ، وحينما انتهت من الإفطار نهضت من أمام الطاولة وأخذت تدندن بأغنية فلكلورية يابانية بينما كانت تأخذ طريقها إلى الغرفة المجاورة !!

يبدو أن الأم - مثلها مثل "جونتارووه" أيضاً - قد بدأت تدرك إنه ليس أمامها سوى أن تسلم بالأمر الواقع . إنها لم تستطع أن تنسى ما قرأته فى شبابها عن طالب فى السنة الأولى الثانوية يظهر فى قصة اسمها "حكاية كوغيه نوما" كتبتها سيدة اسمها "أوتشى فوجى تشيو" ، ومن فرط تعاسة الأم من إجبارها على الزواج برجل عسكرى - الذى هو أبو "جونتارووه" - فقد كانت على الأقل تضع أملها فى ابنها لكى تساعده حتى يدخل المدرسة الثانوية ... وحتى إذا

فشلت فى ذلك كانت تود حتى لو استطاع أن يدخل أى مدرسة ما لكى يلبس تلك القبعة المدرسية السوداء ذات الشريط الأبيض ، وقد كانت تلك الرغبة قوية للغاية تريد تحقيقها بأى شكل من الأشكال.

ولكن يبدو أن تفاؤل الأم واطمئنانها مازال أمامهما طريق شاق طويل . إنهم يقولون إن الكارثة تحل وقت أن يكون المرء مطمئناً غافلاً عنها . فيوم أن جاء الخبر البغيض ... زارهم بعد الظهر ذلك الترزى ذو الأصل الصينى دون موعد مسبق.

لقد وقف ذلك الرجل عند بوابة البيت بوجهه الأصفر وهو يتصبب عرقاً بينما يرسم على وجهة ابتسامة عريضة، فقد جاء بالبذلة المدرسية التى طلبتها منه أم "جونتارووه" بعد إعلانِ النتيجة التمهيدية لدخول جامعة "ز" والتى كان قد نجح فيها "جونتارووه".

قد يتهم الناس هنا "جونتارووه" وأمه بأنهما عجولين متسرعين ، ولكن تلك الطبيعة كان يشترك فيها الابن وأمه!

ففى أول سنة جرب فيها "جونتارووه" دخول الامتحان تلقى ذلك الامتحان فى مدرسة ثانوية بإحدى المناطق المشهورة بالعيون الساخنة بمحافظة "قووتشى" حيث مسقط رأس والد "جونتارووه" ، وبعد أدائه لذلك الامتحان[١] التمهيدى ... عرج فى طريق عودته إلى طوكيو على

(١) امتحان دخول الجامعات فى اليابان على مرحلتين.

المسرح الاستعراضى بمنطقة "تاكارازوكا" ثم قضى الليلة عند أحد أقاربه بمدينة "أووساكا" وذلك تفاؤلاً بالنجاح وفى السنة التالية ... ولأنه كان مصمما على النجاح ، فقد ذهب وتلقى الامتحان بمدرسة يعرف عنها سهولة امتحاناتها وذلك بمنطقة تبعد جنوباً عن المدرسة السابقة . وليلة الامتحان ذهب "جونتاروره" مع صديق له يدعى "هـ" إلى أحد المقاهى ولكنهما فوجئا بعد دخول المقهى إنه لم يكن من تلك المقاهى العادية! فوجدوا وصيفة من وصيفات المقهى تجالسهما بينما لم تكن ترتدى ملابساً داخلية تحت ثوبها ، ولكى لا تسخر تلك الوصيفة من سذاجتهما وعذريتهما فقد تعمدا إظهار رجولتهما فشربا خمراً يطلق عليه "شمبانيا التفاح" .. مما تسبب فى فشلهما فى الامتحان صباح اليوم التالى !! .

وفى السنة التى تلتها غير "جونتاروره" الوجهة تماما وذهب لتلقى الامتحان فى مدرسة تقع شمال شرق اليابان ، ولكى لا يكرر المأساة التى حدثت فى السنة التى سبقتها اعتكف "جونتاروره" ليلة الامتحان بغرفته التى استأجرها بأحد البنسيونات ولكنه مع ذلك كرر نفس المأساة ورسب !! مع أنه بعد ذلك الامتحان كان متأكداً من أنه أجاب أفضل من أى سنة مضت.

لقد كان "جونتاروره" يختار المدارس المعترف بها من الحكومة بحيث يؤجل تجنيد من ينجح فى امتحاناتها ، ولكنه مع تكرار ذلك الرسوب لم يعد يهتم باختيار هذه النوعية من المدارس وجاء اختياره فى النهاية على القسم

التمهيدى بجامعة "ز" تلك ... وهى الجامعة التى لم تكن تطلب مستوى عالياً.

ووقت أن تلقى الامتحانات بذلك القسم التمهيدى لتلك الجامعة لم تكن قد ظهرت بعد نتيجة امتحان التصفية الأولى الذى تلقاه فى إحدى المدارس المعتمدة .

ولأن الأم كانت تظن أنها إذا تشاءمت فسوف يرسب مرة أخرى .. فقد أقدمت على إخراج قطعة القماش الصوف التى كانت تحتفظ بها من أجل ابنها واستدعت ذلك الترزى الصينى وطلبت منه تفصيل البذلة الخاصة بالجامعة "ز" .

وقف الترزى الصينى عند بوابة البيت ...ثم بادر الأم: "ها هو الطقس قد اعتدل وصار دافئاً" . قال الترزى تلك الجملة وهو متوتر متردد حيث كانت الأم ترمقه شزراً دون أن تنبس ببنت شفة.

لم يكن الترزى المسكين يجد تفسيراً لنظرات الأم النارية الحانقة التى كانت توجهها إليه ... فأخذ يغالب ذلك الموقف وهو يضحك ملء وجهه حتى طفت التجاعيد على وجهه الأصفر ويقول : "حسناً إنها هدية متواضعة إحتفاءاً بنجاح السيد الصغير" ، ثم مدالرجل يده بصندوق البذلة مع لفافة ورقية صغيرة .

ومع ذلك لم تخرج الأم عن صمتها ولم تتوقف عن توجيه نظراتها النارية إليه : لقد استحال الجو حول المكان بارداً قارصاً مع استمرار ذلك الصمت المتوتر.

لم يجد الرجل الصينى هنا حيلة سوى أن يتجنب

نظرات الأم .. فأخذ يجول بنظراته الزائغة حول المكان .. حتى وقع بصره على سيف معلق بجوار البوابة ومغطى بالأتربة ... فاستحال وجهه المتصنع الابتسام إلى وجه يملؤه الرعب ... فدفع بيده التى تلقت أجرة تفصيل البذلة منذ قليل إلى عبه ... ثم انطلق مسرعاً عائداً أدراجه واختفى فى لحظات .

بعدها مباشرة صرخت الأم فى هستيرية صائحة "جونتاررووه"

وبعد أن اقترب منها "جونتاررووه" ، قالت له فى لهجة حازمة : "اجلس هنا ... نعم أجلس فى أدب هنا أمامى"!

وهنا أخذ يتمتم "جونتاررووه" فى نفسه قائلاً : "ها قد عاودت الكرة ... لقد حان الوقت لكى تبدأ المراسم السنوية المعتادة للمرة الرابعة"!!

بادرته الأم قائلاً : "قل لى بحق السماء ماذا تنوى أن تفعل ، إن أبوك هناك فى ميدان القتال ... وإننى لن أظل أعيش من أجلك هكذا إلى الأبد ، إذا مات أبوك ومت أنا أيضاً فماذا عساك أن تفعل وكيف ستعيش وحدك وتخوض دوامة الحياة؟ هل يرضيك أن تدخل الجيش"؟.

ولكن الأم لم تزد على هذا الكلام شيئاً وكأنما أرادت عدم إكمال ما كانت تريد أن تقوله ، فقد أدركت الأم هنا بأن ابنها قد وصل إلى المرحلة التى لن يستطيع فيها الإفلات من التجنيد مهما هاجمته وأنبته وعنفته!

بعد لحظات تحولت نبرة الأم إلى صوت متهدج وهن وهى تقول له : "حقاً ... قل له بحق السماء ماذا عساك أن تفعل لى" ؟

لقد كانت مسألة اقتياد ابنها إلى الجندية - وهى التى كان ينعتها الناس بأنها من النوع الذى لا يظهر عليها كبر السن - تعنى بالنسبة لها معنى آخر وهو تعطله عن الدراسة. وهو المعنى الذى كانت ترفض استيعابه تماماً .

لقد كانت تلك الأم مهما عنفت ابنها الأوحد ومهما سبته بأقذع السباب لا تزال فى قرارة نفسها تعتبره فخراً لها وتعتبره إنساناً عظيماً للغاية فى حالة مقارنته بزوجها "جونكيتشى" !! وعلى هذا الأساس فقد كانت الأم تشعر بأنها لا تستطيع أبداً أن تستوعب أو تتقبل أن ابنها الذى سيكون عريفاً بشريطة واحدة سيكون فى نفس الوقت فى وضع العبد بالنسبة لزوجها الذى هو برتبة جنرال بالجيش ! ولذلك لم يكن بوسع الأم لكى تواسى نفسها وتغالب قلقها وحنقها واضطرابها سوى أن تقول لابنها : "على أى حال يجب أن تأخذ الأمر بشىء من الجدية ... فمن الآن وصاعداً لن يعود الأمر ضرباً من المزاح" .

ولكن لأن "جونتارووه" أمام كلماتها هذه كان يكتفى بمجرد طأطأة رأسه وهو منكسر منكمش فقد أثار حاله هذا حنقها مرة أخرى فصاحت فيه غاضبة :

"حقاً إننى غاضبة من حالك هذا ... إن وجهك مع كل سنة يصير شبيهاً بوجه أبيك شيئاً فشيئاً ، ومع ذلك فإن

أباك على الرغم من سوئه فهو يجتهد حين يود أن يجتهد أما أنت فلم تأخذ سوى الجوانب السيئة منه "!

لقد استمر "جونتارووه" فى هز رقبته فى استكانة وقلة حيلة ... وإلا فإنه إذا فعل غير ذلك فقد كان يشعر بأنه لن يستطيع الإفلات من نظرات أمه الحانقة المتفجرة من داخل جسمها الممتلئ القوى المنفتح ذلك ... وهى النظرات التى كانت دائماً تشعل جسده خوفاً ورعباً .

على أى حال كان يجب أن يسجل اسمه فى مدرسة من المدارس التى تتمتع بميزة إمكانية تأجيل التجنيد للطالب التابع لها . نعم كانت هناك نوعية من المدارس التى تساعد الطلبة المنتمين إليها فى تأجيل تجنيدهم ... وكان الكثير من الطلبة يتسابقون إلى اللجوء إليها . ولكن مع تأزم الأمور السياسية والعسكرية كانت هناك شائعات تفيد بأن حتى تلك الوسائل الملتوية للتهرب من التجنيد قد صارت أصعب بكثير عن أى زمن مضى .

ذهب "جونتارووه" بعد ذلك إلى إحدى المدارس المعروفة بتخصصها فى الرياضيات والعلوم ليجرب حظه بها ... وكانت تلك المدرسة تقع بإحدى الضواحى حيث يوجد خندق كبير للمياه يحيط بإحدى القلاع القديمة .

كانت أشجار "الساكورا" المتكاثفة عند طرف ذلك الخندق ، بينما كانت الشمس الساطعة تعكس أشعتها المتلألئة على صفحة المياه ذات اللون الترابى . وكانت المدرسة على الطرف الآخر من ذلك الخندق تقبع فى ركن بين الأشجار

المتكاثفة المطلة على طريق الترام .. وكأنما كانت بشكلها المنزوى الكئيب ذلك مقراً سرياً لمنظمة سياسية تسلل الضعف والوهن إلى أوصالها !

حين نزل "جونتاrووه" إلى الدور الأرضى للمدرسة حيث يوجد مكتب تلقى طلبات الالتحاق ، وجد "جونتاروه" هناك الكثير من الطلبة الذين ارتدوا العباءات السوداء والملابس المدرسية ذات الياقات البالية يتزاحمون أمام شباك المكتب ويدفسون رؤوسهم داخله وهم يوجهون أسئلتهم عن شروط الالتحاق .

وحينما صار أمام "جونتاروه" أربعة أو خمسة من الطلبة فى الصف ... و حان دوره لكى يوجه أسئلته إلى الموظف الجالس فى داخل الغرفة ، فوجئ بشخص يناديه .. وإذا بذلك الشخص يقترب من جانبه ويضربه فى كتفه ، فالتفت "جونتاروه" ليجد أمامه طالباً يدعى "يامادا" .

كان ذلك الطالب ذو الأنف الكبيرة الحادة والنظارة السميكة العدسات زميلاً له بفصله فى المدرسة التمهيدية طوال العام الماضى ، ومع ذلك لم يكن بينهما أى حديث يذكر ... وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقدم على محادثته فيها .

ودون وعى من "جونتاروه" فقد وجد نفسه يصيح فى "يامادا" قائلاً : "ماذا ... حتى أنت"؟ فلم يكن من "يامادا" إلا أن وجه إلى "جونتاروه" نظرة باردة متفحصة من خلف نظارته الطبية السميكة ثم قال له : "هذه هى حال الدنيا ...

فالمرء إذا خانه الحظ وأضاع الفرصة من يده لمرة ... فسيصير الحلو والمر سيان عنده" .

لم تكن نبرة "يامادا" بها أى نوع من الانفعال .. بل كان يشوبها ضحكة ساخرة هادئة لقد تذكر "جونتاورووه" لحظتها خصلة "يامادا" هذا حين يكون جالساً بالفصل ، فقد كان يجلس دائماً بآخر صف فى الحجرة ولا يكف عن مط رقبته الطويلة هذه بينما يجول بنظراته الباردة المتفحصة تلك فى وجود الجالسين . لم يكن "جونتاورووه" على الإطلاق يرتاح إلى ذلك الشخص ، ولكنه غالب شعوره هذا واجتهد فى مجاراته فى الحديث قائلاً له:

"أعتقد إنك رسبت فى امتحان التصفية الثانى بإحدى المدارس العام الماضى" .

"لا ياى صاحبى .. لقد تقدمت للامتحان فى ثلاثة مدارس مرة واحدة ، نفس الأمر حدث مع ذلك الرفيق الذى يقف هناك" !

قال "يامادا" ذلك وهو يشير بطرف أنفه الكبيرة إلى زاوية من زوايا الغرفة . وحين نظر "جونتاورووه" إلى ذلك الاتجاه تعرف على ذلك الشخص الذى أشار إليه "يامادا" ، ولم يكن سوى الطالب "تاكاغى" الذى كان يجلس مقرفصاً فوق الأرضية الإسمنتية وهو يدفن رأسه فى جريدة يفردها بين يديه.

كان "تاكاغى" هذا أيضاً زميلاً له بنفس الفصل ... ولم يكن أيضاً قد تبادل الحديث معه من قبل ، وكان دائماً

يدفس ذقنه المربع الكبير فى ياقة بذلته وهو مطأطئ فى الأرض ، وكانت ملامح وجهه توحى بالكآبة بعينها .

ولم يجد "جونتارووه" سوى أن يجارى "يامادا" فيجيبه بنفس نبرة الصوت ويقول:

"حقاً حقاً ... إنه "تاكاغى" . هل رسب هو الآخر أيضاً" ؟

بعد لحظات قال "يامادا" لـ "جونتارووه" :-

"إذا كنت تريد عمل إجراءات الدخول فاترك الأمر لـ "تاكاغى" ، أما أنا فقد انتهيت من تلك الإجراءات . سوف يوفر "تاكاغى" عليك الأمر ، فهذه هى السنة الرابعة التى يرسب فيها ، كما أن هذه هى السنة الثانية له بهذه المدرسة".

"جونتارووه" :- "عندك حق فمظهره يوحى إلى بأنه لا يعير الأمر أهمية"

"يامادا" :- "عليك اللعنة" ... هل تعتقد أن هناك من لا يعير الأمر أهمية؟ . إن "تاكاغى" "الذى تراه أمامك هنا هو فى الحقيقة عبقرى داهية . لقد كان ترتيبه فى المدرسة العليا من الصف الأول حتى الصف الخامس الأول دائماً ، وكان معروفاً بأنه فلته من فلتات الزمان فى مدرسته العليا تلك منذ إنشائها حتى اليوم ، ولذلك فأهل بلدته جميعاً يظنون الآن أنه ملتحق بالجامعة الإمبراطورية".

بعد أن قال "يامادا" تلك الجملة زم شفتيه وأخذ يهز رأسه فى حركة رأسية مؤكداً على كلامه . نعم ... لقد أدركت معنى ما قال "يامادا" الآن ، حيث إننى تذكرت فى

هذه اللحظة منظر "تاكاغى" وهو يفرد أمامه استمارة التقدم الخاصة بجامعة "ز" فى بداية هذه السنة بينما كان يقف بين الطلبة الآخرين من نفس المدرسة التمهيدية وهم يطالعون استماراتهم .

لقد عمل "جونتاورووه" بنصيحة "يامادا" حين لجأ إلى "تاكاغى" والذى قام بدوره بتسهيل إنهاء الإجراءات عن طريق موظف يعرفه داخل مكتب استقبال الطلبات.

بعد أن لصق "جونتاورووه" صورته الشخصية – التى أحضرها معه – على الاستمارة ، حصل بعد ذلك على الأختام وتسلم فى النهاية بطاقته المدرسية .

وبعد أن دفس "جونتاورووه" تلك البطاقة فى جيبه شعر لأول مرة بعد أيام من الاضطراب بأن حالته النفسية قد استقرت ، وأقنع نفسه بأن الأمر لن يختلف طالما كان مسجلاً رسمياً بأى مدرسة كانت .

وجد "جونتاورووه" نفسه يوافق دون تردد على اقتراح "يامادا" بالذهاب ثلاثتهم لتناول الغذاء فى مكان ما ، وبعد لحظات غادر الثلاثة غرفة المكتب .

كانت السماء زرقاء صافية ، والشمس ترسل أشعتها الدافئة لكى تدفئ أوصاله وحين كان الثلاثة يسيرون جنباً إلى جنب ، تهيأ لـ"جونتاورووه" إن كلاً منهم كانت تنبعث من ملابسه رائحة تختلف عن الآخر ، وعلى وجه الخصوص كانت رائحة تاكاغى "واضحة مميزة عن الاثنين الآخرين.

كانت سترة "تاكاغى" القديمة البالية قد تحول لونها مع مر السنين إلى لون غريب تارة يظهر كحلياً وتارة يظهر بنياً وتارة أخرى بنفسجياً بسبب الجلخ الذى تكلس بها ، وكانت ياقة السترة مفرودة مشرعة إلى أعلى ... أما طرف السترة السفلى فكان على العكس ممطوطاً مدلى لأسفل ، وكانت مؤخرة سرواله من ناحية المقعدة مهترئة من كثرة الاحتكاك والجلوس ... فعالجها "تاكاغى" بترقيعها بقطعة من القماش تختلف درجتها عن درجة قماش البذلة ، ولم تكن تلك الرقعة محكمة الحياكة بحيث كانت تفغر فاها وتغلقه حين تنظر إليها من الخلف مع كل خطوة يخطوها "تاكاغى" وكأنما كانت مثل غطاء آلة نفخ الكير!!

أما سترة "يامادا" فقد كانت تشبه فى مجملها سترة المبشرين بالمسيحية!! ، فقد كانت ياقتها السوداء مقواة مثل ياقتى الآخرين ، ولكها كانت تبدو ضيقة على رقبته الكبيرة الطويلة وكانت البذلة كلها فى مجملها تبدو كما لو كانت صندوقاً مربعاً حشر به "يامادا" جسده الضخم!

ومقارنته ببذلتى الآخرين - كانت تبدو بذلة "جونتارووه" أفضل منهما نوعاً ما . لقد كان "جونتارووه" يرتدى تلك البذلة المفصلة ... غير إن "جونتارووه" كان قد قام بنزع الأزرار التى حملت شعار جامعة "ز" ووضع بدلاً أزراراً عادية ووضع على رأسه قبعة تحمل علامة المدارس التمهيدية.

هذه البذلة امتدحها الخياط ووصف قماشها بأنه أجود نوعيات الأقمشة الموجودة تحت يده بالورشة هذه الأيام ، ولذلك فهى بالمقارنة بالبذلة الكحلية التى كان يرتديها "جونتاروووه" من قبل فهى مطابقة لمقاس جسمه تماماً وخفيفة فى وزنها ، ولكن لم يكن هذا يعنى على الإطلاق إنه كان مرتاحاً بارتدائها . فمن فرط ليونة قماشها كانت تلتصق بأقدامه حين يسير ولم تكن تجعله يشعر بالحرية فى الحركة مثل البذلة القديمة . وقد كان "جونتاروووه" "حين يتحرك ويسير كانت تنبعث من البذلة رائحة القماش الجديد المميز وتدغدغ خياشيمه ، وكانت تلك الرائحة تذكره بسطحية أمه وسذاجتها ... نعم أمه تلك التى كانت تتصابى فى تصرفاتها معه لكى تشعره بانها ليست مجرد أمه ، بل فى نفس الوقت كصديقة أو حبيبة . وكان "جونتاروووه" حين تراوده تلك الخواطر يشعر بنفسه وكأنه يرى نفسه يغرق فى مستنقع للمياه وأنه مغمور من أخمص قدميه حتى رقبته فى جسم رطب معتم يقيد حركته ويشل حريته!

وهنا كان يشعر "جونتاروووه" وهو يسير مع زميليه بإحساسٍ مختلف تماماً عن إحساسه بنفسه وهو مجرد داخل البيت . مع ذلك كان يشعر "جونتاروووه" إنه حين يسير معهما كأنه خلع عن كتفيه معطفاً ثقيلاً كان حقاً يشعره بالدفء ولكنه فى نفس الوقت كان يقيد حركته.

لقد سار ثلاثتهم عند حافة الخندق المائى . وبعد لحظات جاءت من الاتجاه الآخر للطريق ثلاث أو أربع

فتيات من نفس أعمارهم تقريباً ومررن من جانبهم . لقد كن تلميذات بالمعهد المنزلى الذى يدرس فنون تنظيم البيت للفتيات المقبلات على الزواج ، وهو المعهد الذى يقع على الجهة المقابلة للمدرسة التى تقدموا إليها ... ويفصله عنها ذلك الخندق المائى .

وهنا صاح "يامادا" قائلاً لرفيقيه مشيراً إلى الفتيات اللاتى عبرن توا من جانبه :

"هل تعرفان ماذا يطلقون على مدرستنا الجديدة فى هذه المنطقة".

"لا نعرف" .

"إنهم يقولون إن معهد الفنون المنزلية هذا هو زهرة الخندق ، أما مدرستنا فهى مقلب للقمامة" !!

"ماذا؟ ولكن تلك الزهور لا تبدو لنا يانعة مزهزهة مثل بقية الزهور" ، قالوا تلك الجمل فى الوقت الذى مرقت فيه الفتيات من جانبهم وقد أثرن رائحة عطرية منعشة فى الجو ممزوجة برائحة أجسادهن الدافئة ... وهن يرتدين زى ذلك المعهد الذى كانت تميزه تلك التنورة الخضراء مع ذلك الجورب النسائى ذو اللون البرتقالى ... وهو الذى ذكرهم بملابس الراقصات فى مسرح "تاكارازوكا" الاستعراضى!

وهنا صاح "يامادا" مستنكرا:

"يا لهن من متعجرفات يتباهين ويتعالين على الخلق بالرغم من رائحتهن الريفية الفجة" ثم استطرد "يامادا" قائلاً :

"لقد كانت لى فتاة أزمع الزواج بها تداوم على الذهاب إلى مدرسة كاثوليكية للراهبات ولكنها أرسلت لى برسالة بالأمس تبرئ لى فيها ذمتها من الرغبة فى الارتباط بى !

وقد تحججت فى الرسالة بأنها تشفق على من إلزامى بانتظارها سنوات طويلة حتى أتخرج من الجامعة .

فرد عليه "جونتارووه" وهو يجاريه فى الحديث قائلاً: "حقاً !!" .

ولكن "جونتارووه" فى نفس اللحظة شعر فى قرارة نفسه بأن "يامادا" هذا على الرغم من هيئته فهو تغلب عليه صفات الطفولة بشكل واضح مقارنة بنفسه . لقد احتار "جونتارووه"فى أمر "يامادا" هذا .. فهو لا يصدق إنه نفس الشخص الذى كان منذ شهور فى حجرة الدراسة يجلس مختالاً متعجرفاً لا يعير زملاءه أى اهتمام ... وها هو الآن يثرثر ويتحدث عن خصائص حياته دون أن يوجه إليه أحد أية أسئلة أو استفسارات.

إن والد "يامادا" مهندس ذو منصب كبير فى شركة "س" للصناعات الثقيلة ، وحاصل أيضاً على الدكتوراه فى الهندسة ، أما أخو "يامادا" الأكبر فهو مهندس فنى وملازم بالقوات البحرية أما زوج أخته الكبرى فهو مهندس فى الترسانة ، أى أن والد "يامادا" حسب كلام "يامادا" نفسه يخطط لكى تكون الأسرة كلها من المهندسين ، ولذلك فقد قال "يامادا" معقبا على ذلك:-

"لذلك فأبى مصمم على ألا أدخل سوى كلية الهندسة مهما رسبت ومهما قضيت من سنوات فى المدرسة التمهيدية، ولذلك قد سئمت من عناد أبى وقررت أن أتقدم السنة القادمة إلى كلية الآداب ، مع أنى أحب الماكينات ... فالماكينة صادقة ولا تكذب أبداً"!!

ومقارنة بـ"يامادا" ... فإن "تاكاغى" كان يبدو لى إنساناً متزناً وقوراً ، فحين كنا نسير ثلاثتنا سوياً كان مطرقاً برأسه صامتاً لا يعقب على ما يقوله "يامادا" سوى بعبارات "نعم" و "حقاً" ، ومع ذلك لم يكن يعطينى انطباعاً بأنه إنسان بارد مجرد من الإحساس ، وكان "يامادا" على العكس بالرغم من قلة كلام "تاكاغى" إلا أنه كان يعطيه اعتباراً كبيراً ... حيث كان كلما يتفوه "تاكاغى" بعبارة" حقاً أو "نعم" فقد كان يتوقف عن السير وعن الكلام وكأنما رده القصير يؤثر فيه تأثيراً كبيراً .

وحين كان "يامادا" يتوقف ... كان تاكاغى" بدوره يصاب بالارتباك ، فيغالب ذلك الارتباك بضحكة مصطنعة وكأنما يحاول نفى ما قاله لتوه ، وهنا كان يبدو على "يامادا" شعوره بالارتياح فيستطرد مرة أخرى حديثه عن مدرسة خطيبته وعن مشاريع أبيها وغيره من الأمور التى لا تتصل بقريب أو بعيد باهتمامات من يستمع إليه .

وبعد فترة من سيرهم سوياً وصلوا إلى منطقة "كاندا"، وحينما مروا ببعض محال الكتب القديمة وبعض محال الثياب ، لاحظوا وجود طلبة كثيرين يرتدون قبعات

مدرسية حديثة يميزها وجود ذلك الشريط الأبيض ولكنهم مع هذا لم يشعروا بالحسد والغيرة من هؤلاء الطلبة وذلك مقارنة بحالهم منذ سنة أو سنتين ، بل على العكس فقد انعكست صورة هؤلاء الطلاب وهم يرتدون ملابس المدارس الإعدادية مع قبعات المدارس الثانوية ويضعون مناشف العرق فى أحزمتهم - وكأنها تعاويذ سحرية - وانعكست صورتهم فى شكل هزلى مثير للسخرية .

فى الطرقات الخلفية للشارع الرئيسى كانت تصطف بعض المقاهى ، وكانت تلك المقاهى تعج بطلبة من الجامعات الأهلية ، وكانت موسيقى الجاز تصدح من داخل تلك المقاهى ، وأمام كل من تلك المقاهى كانت تقف أجمل النازلات تدعون الزبائن للدخول . كانت تلك النازلات الجميلات ترسمن أحمر الشفاه على شكل القلب وترتدين تنورات ضيقه تبرز مفاتن الخصر ... بينما كن يوجهن نظراتهن الدافئة لكى تفتن المارة من الشباب .

كذلك داخل كل مقهى من تلك المقاهى كانت تجلس النازلات خلف الواجهة الزجاجية القاتمة وهن يراقبن الغادي والرائح .

وفجأة توقفت قدماً "تاكاغى" أمام أحد تلك المحال ، وقال بسرعة :-

"ما رأيكم فى هذا المقهى" ؟

فتبادل "جونتارووه" و "يامادا" النظرات ، فهذه هى المرة الأولى منذ أن قطعوا الطريق سوياً التى أبدى فيها

"تاكاغى" رأيا واضحاً خاصاً بأمر ما ومما أدهش الاثنين أن ذلك المقهى من مظهره لم يكن يوحى بأى علاقة بينه وبين اهتمامات "تاكاغى" حسبما تصورها الاثنين ، ولكن لأن "جونتاررووه" كان قد لاحظ بريقاً مشتعلاً مفعماً بالحيوية من عيون "تاكاغى" المثبتة على باب ذلك المقهى ، فقد رد بسرعة قائلاً

"حسناً ... يبدو أن هذا المقهى لا بأس به ... فلندخل".

أصيب "يامادا" هنا بالحيرة والدهشة أيضاً من رد فعل "جونتاررووه" السريع فلم يجد بدا من موافقة الاثنين مغلوباً على أمره . بينما كانت تبدو على وجهة علامات الامتعاض داخل المقهى كان الضوء خافتاً ... وكان دخان السجائر يملأ المكان .

عندما جلس الثلاثة إلى إحدى المناضد ، طلب يامادا مشروباً إسمه "بورت لاب" وهو عبارة عن نبيذ مخفف مخلوط بالسكر ، كذلك طلب "جونتاررووه" نفس المشروب أما "تاكاغى" فقد قال فجأة بعد تردد وهو مطرق برأسه المحمر خجلاً إلى الأرض :-

"حسناً ... هل يوجد عندكم مكرونة الهند الصينية"؟

وقبل أن ينهى "تاكاغى" عبارته ، عاجله "يامادا" بسرعة وهو مضطرب قائلاً :-

"أيها الأحمق ... هل تعتقد بوجود تلك المكرونة هنا، إذا كنت جائعاً فعليك أن تَطلب ساندويتشاً أو شيئاً من هذا

القبيل".

ولأن النادلة التى جاءت لأخذ الطلب أطلقت ضحكة عالية بسبب سماعها تلك المحادثة فقد أثار ذلك حنق "يامادا" وقال منفعلاً:-

"هيا بنا ... فلنخرج من هذا المكان".

ولكن "جونتارووه" حاول تهدئة "يامادا" قائلاً له :-

"اهدأ يا "يامادا" ، فلنشرب أولاً النبيذ ثم نخرج من هنا".

بينما كان يقول "جونتارووه" تلك الجملة كان فى نفس الوقت يتساءل فى قرارة نفسه عن السبب الذى دفع "تاكاغى" إلى اختيار هذا المقهى بالذات . فترى هل تعمد "تاكاغى" إغاظة "يامادا" لأنه كان يتأفف من دخول هذا المقهى ، أم أنه اختار هذا المكان عن غير قصد معين سوى إنه كان فقط يريد الدخول هنا لكى يتعرف على المكان؟

كانت الفتاة التى تجلس عند مدخل المقهى لا تزال تحملق فى وجوه العابرين بالطريق دون ان تشرد للحظة.

ولأن المحل كان مظلماً ، والطريق على العكس كانت تغطية أشعة الشمس الدافئة فقد كانت حركة المارة بالطريق واضحة تماماً من داخل المقهى ، كانت النادلات حين تقع عيونهن على عيون أحد المارة تنطلقن بسرعة فتصحن وهن ينادين على الزبون فى صوت واحد مدو قائلات :- "تفضل يا سيدى" .

لقد كان "جونتارووه" يختلس النظر بين الحين

والآخر إلى ذلك المشهد ، وكانت لا تمر عشر دقائق إلا ويتكرر ذلك المشهد فيدخل زبون جديد إلى المقهى . وكان هناك من يدخل وهو يهز جسمه مع نغمة موسيقى الجاز المنبعثة من آلة الأسطوانات ، وكان هناك من يدخل على مهل متثاقلاً متصنعاً الوقار بخطوات ثابتة ... فى المحصلة الأخيرة كان كل من يدخل من عتبة الباب يشعر بالاضطراب لإحساسه بان نظرات الموجودين داخل المقهى موجهة جميعاً إليه ، ولكنهم كلهم لحظة أن كانوا يدفسون أنفسهمفى مقاعدهم ... كانوا لا يبادلون النظرات مع الآخرين من الزبائن ويأخذون فى شفط مشروب النبيذ ذو السكر من الشفاطات البلاستيكية المغروسة داخل الأكواب . لقد كانوا لا يجرءون على ضم أكتاف الناذلات الواقفات عند الباب أو مسك أياديهن ... كما إنهم كانوا يخجلون من مداعبتهن بصوت عال .

ساعتها كان يراود "جونتارووه" إحساساً بأن وجه الخادمة ذات الأنف المحمر والذقن الصغير ذو الغمازة وتلك العين الصغيرة الحدقة - والتى لا بأس بها - كان يظهر واضحاً فى مخيلته ، ولكنه حين كان يتذكر مشهد إحضارها لتلك البطاقة البريدية - التى أعلنت رسوبه - إلى فراشه ، عاد وقارن ذلك بمشهد الناذلات المبتسمات من حوله وأدرك لحظتها بأنه قد وقع فى فخ مماثل للفخ الذى وقع فيه كل الزبائن من الشباب الذين يجلسون حوله والذين كانوا يبدون كما لو كانوا فى زنزانة مغلقة . بعدها حين نظر

"جونتارووه" إلى "يامادا" الذى كان يدور بمقلتيه الجاحظتين فى أرجاء المقهى وهو يمط رقبته الطويلة متعالياً على الجالسين حوله بينما انتهى من رشف محتويات مشروبه الغريب هذا ، وحين نظر إلى وجه "تاكاغى" المحمر خجلاً بينما كان يمسك رأسه بكلتى راحتيه وهو مطرق برأسه فى الأرض شعر "جونتارووه" بان وجهيهما يستحيلان فى عينيه إلى التعاسة والبؤس بكل معانيهما .

وجاء الوقت الذى بدأ فيه الفصل الدراسى الجديد للمدرسة التمهيدية فى العام الدراسى الماضى . لم يتأخر "جونتارووه" عن موعد محاضرة ولم يغب أبداً عن حضور أى محاضرة فنال لذلك شهادة تقدير من تلك المدرسة التمهيدية لالتزامه بالحضور . ولكن ذلك فى حد ذاته ليس دليلاً على مثابرته وتفوقه ، فقد كان "جونتارووه" نموذجاً للطالب الكسول والحقيقة إنه لم يكن من ذلك النوع الذى يحب اللهو ، فهو وحيد والديه .. ربما يكون عدم معرفته بقواعد لعبة البيسبول أو الشطرنج اليابانى راجعاً إلى التصاقه بأمه دائماً . ولا يعنى ذلك أنه على العكس كان يفضل مشاركة الفتيات الصغار فى ألعابهن المعتادة التى تختلف عن ألعاب الصبية ، أى أنه لم يكن يفعل شيئاً بعينه حين وجوده بالبيت ، وكانت أقصى سعادة له وهو صغير أن تصطحبه أمه بين حين وأخر خارج البيت لكى تطعمه حلوى السكر التى كان يحبها ! أى أنه من منطق التربية المعهود لم يتلق التربية المفروضة كصبى عادى .. ولكنه فى نفس الوقت لم ينشأ على العكس صبياً مارقا متمرداً .

ولكن ها هو "جونتاروووه" يصل إلى مرحلة تجعله يشعر بأنه لم يعد يتحمل ذلك الأسلوب فى الحياة .

لحسن الحظ أن أمه لم تكن من ذلك النوع الذى يدقق فى كل تصرف من تصرفات ابنها ... مثل توجيهه إلى رفع وخفض عصا الأكل بزاوية معين حين تناول الطعام أو غيرها من الأمور الدقيقة فى السلوكيات العامة ، ومع ذلك فقد كان "جونتاروووه" يشعر بشىء ما ثقيل يجثم على صدره بمجرد تواجد أمه معه فى نفس المكان . ولم تكن أمه تأمره بشكل مباشر بأن يجلس إلى مكتبه ويستذكر دروسه ، ولكنها على العكس كانت تشعره بخيبة أملها ناحيته حين تقول له مثلاً : "لقد كنت قبل التحاقك بالمدارس حقاً طفلاً وديعاً ذكياً":

لم تكن الأم حين تفتح هذا الحديث تستمر فى الاسترسال فيه حتى تذكر له تفاصيل طفولته منذ كان يرضع لبنها حتى صار يحصل على أعلى النتائج فى مدرسة الحضانة ، فقد كانت حين تتطرق إلى الحديث عن طفولته تنتقل فجأة إلى الكلام عن البحث عن عروس له . ولكن مع تكرار رسوب "جونتاروووه" فى المدرسة التمهيدية لم تعد الأم تتحدث كثيراً عن هذه الأمور .

أضف إلى ذلك إنه على العكس فمن ناحية "جونتاروووه" فقد كانت له ملحوظات على مظهر أمه وتصرفاتها والتى لم يكن يحب ذكرها لها ، وعلى سبيل المثال فلم يكن يعجب "جونتاروووه" طريقة أمه فى

لبسها للكيمونو .

لقد كانت أمه لا تحكم طرفى فتحة الكيمونو على صدرها . فكانت تترك تلك الفتحة لعدة ساعات دون مبالاة ، وكان يحدث ذلك غالباً فى الصيف حين تشتد الحرارة . وإذا كان "جونتاررووه" قد اعتاد رؤيتها بذلك المنظر ... فقد تكون هناك مشكلة ما ، ولكن "جونتاررووه" لم يكن يحب أن يستمر مظهر أمه معه على هذا الحال حتى الآن تماماً مثلما كان مظهرها وهى تدخل معه الحمام وهو طفل صغير لكى تقوم بمساعدته فى الاستحمام . ولهذه الأسباب فقد صار "جونتاررووه" يفضل قضاء الوقت مع أصدقائه فى المدرسة عن قضائه مع أمه فى البيت . والمدرسة التمهيدية فى حد ذاتها لم يكن بها نظام الواجبات والمحاسبة على إعداد الدروس ومراجعتها مثل المدارس العادية ، كما إنه لم يكن هناك نظام للرسوب بتلك المدارس ، كما لم تكن هناك تدريبات رياضية ... كذلك لم يكن هناك نظام الطالب المثالى أو رئيس الفصل .. الخ . ولهذا السبب أيضاً لم تكن هناك حاجة للطلبة لكى يتملقوا أساتذتهم أو يحاولوا خطب ودهم .

بالمناسبة ، فمع بداية السنة الدراسية الجديدة صارت هناك متعة ما لدى "جونتاررووه" تدفعه إلى الذهاب للمدرسة أكثر من ذى قبل . وذلك لوجود "يامادا" و "تاكاغى" معه فى نفس المدرسة .

أنهم يقولون فى الأمثال إن الأمر إذا اعتاد عليه المرء فى ماضيه يصير مملاً ثقيلاً مع مرور الأيام ، ولكن

هؤلاء الزملاء الثلاثة الذين تخلفوا عدة سنوات عن دخول الجامعة وسبقهم زملاؤهم إليها صاروا يشعرون بالوحشة والملل إذا لم يجتمعوا سوياً .. بصرف النظر عن تلاقى أمزجتهم مع بعضها البعض أو تنافرها.

ومع مرور الأيام ومع كثرة تعامل "جونتاررووه" مع "يامادا" و "تاكاغى" ، اكتشف "جونتاررووه" أن هذين الرفيقين جد مسليين ممتعين ! فقد صار الاثنان فى الفترة الأخيرة مولعين بالأدب وقد يكون تعبير "مولع" هذا مبالغاً فيه ، غير أنه بالنسبة لـ"يامادا" على الأقل ... فلم تكن هناك كلمة أدق منها تصف الحال الذى وصل إليه من ولع بالأدب!

كان "تاكاغى" أحياناً يبادر "يامادا" قائلاً :-

"قد لا يروق لك ما سأقوله الآن .. ولكنى أشعر بأن اليابان ستخسر هذه الحرب ! وإذا حدث ذلك فلن يكون هناك عائد من وراء دراسة الهندسة هذه . إننا فى هذه الحالة سنقدم على عصر الأدب ... وستلقى دراسة الأدب ذيوعاً وشعبية" .

كان "تاكاغى" يقول ذلك ، وكنا على هذا الأساس كثيراً ما نقوم بشراء تذاكر المسارح والحفلات الموسيقية ... ونكاد نذهب يومياً إلى المعارض الفنية . ثم فاجأنا "يامادا" فى يوم من الأيام بقوله:-

"لم تظهر فى اليابان بعد جامعة ثقافية دولية حيث بها طلبة أجانب من مختلف دول العالم فيتبادلون المعرفة عن ثقافاتهم ودياناتهم المختلفة . إن البروفيسور "كاميه مى

يووسوكيه" هو صديق لأبى ، ولذلك فإننى أفكر حين أقابله عن قريب أن اقترح عليه السعى فى إنشاء مثل تلك الجامعة ... وساعتها أرجو منكم شحذ الهمم لكى تكونا من طلائع الخريجين منها.

قال "يامادا" كلامه الخيالى غير الواقعى هذا بوجه جاد وبلهجة حازمة .

وبالمقارنة بـ"يامادا" فقد كان "تاكاغى" ينطبق عليه انطباع الشاب المثقف المولع بالأدب ، فقد كانت دفاتره مملوءة بالقصص والأشعار المكتوبة بخط يده ، ولكنه أحياناً كان يفاجئ الآخرين بقوله :-

"إننى لم أعد أثق فى اللغة اليابانية وقواعدها ، وكان يبتكر رموزاً لغوية جديدة فى كتابته للأشعار التى يؤلفها" .

ولكن أكثر من هذا وذاك فالمفاجأة الكبرى التى أحدثها لكل من رفيقيه أن "تاكاغى" كان قد عرف طعم النساء !!

ففى يوم ما بينما كان ثلاثتهم يتجاذبون الحديث انزلق لسان "تاكاغى" دون عمد منه لكى يذكر لرفيقيه مغامرة عاطفية خاضها أثناء عودته لبلدته خلال الإجازة الدراسية . ومنذ ذلك اليوم صار "جونتارووه" و "يامادا" ينظران إلى "تاكاغى" نظرة مختلفة وكأنما صار "تاكاغى" أعلى مرتبة منهما وأكثر هيبة واحتراماً.

ولكن من وجهة نظر "جونتارووه" فقد كان هذا الأمر عجيباً . فمن بين الشباب الذين عرفهم "جونتارووه" لم يكن

"تاكاغى" الوحيد الذى كانت له تجارب مع النساء . والمرة الأولى التى استمع فيها "جونتاroووه" إلى مغامرة نسائية على لسان شاب يعرفه كانت عندما فاجأه صبى المغسلة الذى كان يتردد على منزله بالحديث وعن تجربته الشخصية ، وقد شعر "جونتاروووه" حين سمع ذلك الكلام بالامتعاض والقرف ولم يستحسن ذلك الحديث على الإطلاق . وكان "جونتاروووه" وقتها تلميذاً بالمرحلة الابتدائية.

وعندما كبر "جونتاروووه" قليلاً وصار طالباً بالمدرسة العليا ، استمع إلى عدة تجارب مماثلة من زملاء له بالفصل، ولكنه شعر وقتها ناحية هؤلاء بأنهم تعساء ولم يشعر ناحيتهم بأى إحساس بالغيرة . ولكن ما الذى غير الأمور لكى يشعر "جونتاروووه" شعوراً غريباً ناحية "تاكاغى" بأنه شاب يخبئ فى أعماقه أمورا عظيمة مهيبة . قد يكون ذلك لأن "جونتاروووه" قد بلغ المرحلة التى يرغب فيها – عن أى مرحلة أخرى – فى الدخول إلى عالم النساء . نعم قد يكون ذلك هو السبب .

ولكن "جونتاروووه" منذ طفولته لم يكن عنده فضول لمعرفة تلك الأمور ، ولكن مع كبر سنه صار يهتم فجأة بتلك الأمور . لا بل إن هذا المنطق فى حد ذاته قد لا يعطى تفسيراً كافياً لما يشعر به "جونتاروووه" الآن ناحية "تاكاغى".

أضف إلى هذا إن هناك أمراً غريباً آخر ، وهو إنه على الرغم من معرفة "تاكاغى" بالنساء ... فما الذى أوقعه فى ذلك الارتباك والخجل حين دخل معه ذلك المقهى بمنطقة

"كاندا"؟

لقد كان "جونتارووه" يعتقد إن خجله وتردده أمام الآخرين يرجع إلى كونه مازال أعذراً لا يعرف النساء ، وهذا أيضاً ما يفهمه من خلال قراءته لبعض الكتب وما جعله يصدق ذلك الأمر دون أى شك أو ريبة . ولكن ها هو "تاكاغى" يحمر وجهه خجلاً ويطرق برأسه فى الأرض حين تظهر أمامه امرأة بالرغم من معرفته بالنساء ... فترى ما هو تفسير ذلك الأمر؟ ترى ... هل إحساس الخجل هذا ليست له أى علاقة بكون الشاب اعذرا من عدمه؟

مرت الأيام وجاء فصل الربيع حيث أينعت أوراق زهور "الساكورا"

ومع حلول ذلك الفصل لم تعد أم "جونتارووه" تنعب حظها مثلما كانت تفعل من قبل كلما علمت برسوب ابنها . لقد صارت مسألة رسوب ابنها لا تعدو أن تمثل بالنسبة لها ظاهرة مؤقتة تسبب لها عدم الرضاء والارتياح ثم لا يلبث تأثيرها أن يزول . أما "جونتارووه" فقد اعتاد على هذا الأمر حتى صارت مسألة الرسوب هذه مرحلة معينة تجعله مهيئاً نفسياً لاستقبال مرحلة أخرى جديدة . لقد كانت زهور الساكورا مع تكاثفها وازدهارها تشعره فى البداية وكأنها تجثم فوق صدره جثماً .. ولكن مع مرور الوقت صار يشعر بتذوقه لجمالها مع ظهور براعمها الجديدة .

والحقيقة إن "جونتارووه" صار مرهف الإحساس بظواهر تغير الفصول منذ بدأ الرسوب وقد يكون هذا بسبب رتابة الحياة التى تفرض على الطالب الذى يتكرر رسوبه

وهو يحاول دخول الجامعة سنة بعد أخرى .

السنة القبل الماضية والسنة الماضية ثم هذه السنة تكرر الرسوب ، ومعها تكررت نفس الكتب ونفس التمرينات ونفس الأسئلة ... ومعها أيضاً صارت نفس المعاناة ونفس الأمور المحبطة تتعايش معه وتقبع داخل صدره . كان التغيير الوحيد فى حياته تلك هو تآكل أطراف كتب التدريب على أسئلة الامتحانات من كثرة تقليب صفحاتها وازدياد عدد الخطوط التى جرها تحت سطور تلك الكتب عن السنوات التى مضت.

لقد صارت له فلسفته الخاصة نحو الامتحانات.

"هناك نوعان من البشر : نوع يجتاز ما أمامه من عقبات من المرة الأولى ، ونوع آخر لا يستطيع أن ينجح فى أى أمر يواجهه إلا بعد أن يكرر الفشل فيه عدة مرات ، وذلك النوع الثانى من البشر يفشل فى أى أمر يواجهه مهما كان ذلك الأمر سهلاً يسيراً ... ولكن ذلك الفشل فى هذه الحالة لا يصح أن يعتبر إلا أنه سلوك استعدادى قبل تنفيذ أمر بعينه ، ومع ذلك فلا يمكن تطبيق نفس النظرية على امتحان دخول الجامعة ، ولذلك فإن تكرارى للرسوب ثلاث مرات متوالية فى هذا الامتحان لا يعدو أن يكون دورانا فى حلقة مفرغة على نفس المدار ولا يؤدى فى النهاية على الإطلاق إلى الوصول لمحور الحلقة"!!

ولكن إذا وضعنا هنا الكلام جانباً ... فسنجد أن هناك

أموراً أخرى جدت لكى تغير الصورة .

فى يوم من الأيام جاءت خالة "جونتارووه" - وأسمها "كيووقو" - لزيارتهم فى بيتهم . لقد كانت على وشك عقد الخطوبة مع مدرس "جونتارووه" الخصوصى . وكانت أم "جونتارووه" وقتها تقوم بدور الخاطبة بينهما . وكانت أمه من قبل قد قامت بمحاولة أخرى لتوفيق الفتاة مع شاب آخر. وحسب الكلام الذى سمعه "جونتارووه" فقد كان ذلك الشاب السابق وسيماً يشبه الممثل "جارى كوبر" ولذلك فكلما كانت تقع عيناً "جونتارووه" على صورة ذلك الممثل كان يشعر بإحساس يثير حنقه لا يمكن تفسيره فقط على أنه مجرد إحساس بالغيرة ! ولكن لسبب ما لم يعد يراود "جونتارووه" ذلك الإحساس ... وكانت محاولة التوفيق الجديدة بين ابنة خالته ومدرسه الخصوصى تسير بخطوات ناجحة ثابتة . وكانت الأم تبلغ "جونتارووه" بكل تطور جديد فى ذلك الخصوص . وكان الأمر هو الشاغل لها والذى كان فى حد ذاته المتنفس الوحيد لها لكى تشعر بالحماس والانطلاق ، وكانت أحياناً تفاجئ "جونتارووه" قائلة :-

"ما رأيك فى الأستاذ "يوشينو" ؟ يبدو إنه معجب كثيراً بابنة خالتك ، فقد قال لى ذات مرة إنه يحب عيونها ... هاهاها" .

حين طرحت الأم ذلك السؤال على ابنها "جونتارووه"، كانت لهجتها تختلط بين التردد والحياء أحياناً،

وأحياناً إعطاء الإحساس بلذع "جونتاروووه" وتقريعه .

وهنا قال "جونتاروووه" وهو يحاول التظاهر والثبات في الوقت الذى كان يشيح فيه بوجهه عنها حتى لا يفضحه وجهه : "نعم ... إننى أشعر أنها ستوفق هذه المرة" ولكن الأم لم تكتف بما سألته ، وإنما عقبت قائلة بلهجة يشوبها الشفقة والتشفى:-

"نعم قد يكون ذلك صحيحاً ... بيد أن أهلها كانوا يرون فيكما وقتها زوجين يليقان ببعضكما تماماً" .

كما يبدو من لهجة الأم هذه إنها تلمح إلى تكرار مرات رسوب "جونتاروووه" على مدى الثلاث سنوات الماضية وأن فشله كان سبباً فى عدم توفيقه مع الفتاة . أو بتعبير آخر إنه إذا تم حساب الأمر بطريقة صحيحة وكان "جونتاروووه" قد اجتاز أول امتحان بنجاح لكان الآن فى أول السنة الثالثة بالجامعة ولم يتبق أمامه سوى سنتين على التخرج ولكن ها هو واقع الأمر بالنسبة لـ"جونتاروووه" الذى لم يكن أمامه سوى أن يدخل الجامعة - حتى ولو اجتهد - بعد أن يكرر مرات رسوبه لثلاث سنوات متتالية على الأقل.

نعود إلى ذلك اليوم حيث زارت الفتاة بيت "جونتاروووه" مع أمها - التى هى خالته - وهما يرتديان زى الكيمونو بكامل زينته ، كان شعرها المموج المصفف يوحى وكأنها تلبس شعراً مستعارا على رأسها !

لقد كانت الفتاة بوجهها المكتمل الأنوثة لا يوحى

مطلقاً يأنه لم يمر على تخرجها من مدرسة البنات العليا سوى سنة واحدة فقط . فقد كان مظهرها هذا بكامل زينته يذكره بتماثيل العرائس وهى ترتدى زى الزفاف وهى معروضة فى واجهات محال الملابس الكبرى .

حين دخلت الفتاة إلى غرفة الجلوس انحنت برأسها فى تحية طويلة أمامه وأمام أمه حتى كادت جبهتها تلامس أرضية الغرفة المفروشة بالحصير . ثم قالت الفتاة وهى تؤدى التحية فى مهابة وأدب جم :-

"كيف حالك يا خالتى .. لقد أوحشتنى كثيرا . وكيف حال عمى ؟ هل هو بخير ويؤدى دوره الوطنى كالمعتاد بمسرح المعركة ؟ وماذا عن "جونتاررووه"؟ هل فعلها هذه السنة ..." .

وحينما وصلت الفتاة إلى هذه الجملة لم تكملها إلى النهاية .. وذلك بعد أن انتهت من جملتها الأولى التى رددتها كما لو كانت صادرة من أسطوانة مسجلة . لقد تهيأ لـ"جونتاررووه" لحظتها من فرط أسلوب الفتاة الرسمى البارد فى التحية إنه لم يكن ينقصها سوى أن تكمل عبارتها قائلة "أقدم تعزيتى إليك فى ابنك" !!

ولكن الفتاة قطعت جملتها ولم تكملها والتزمت بالصمت . وهنا فطنت أم "جونتاررووه" إلى أن أختها على وشك أن تقول شيئاً لكى تصلح ما قالته ابنتها فبادرت قائلة وهى مرتبكة :- "أبداً ... إننى أريد من ابنى ألا يتعجل فى هذا الأمر وأن يترك تلك المسائل للوقت"!

لم يكن يعرف "جونتارووه" كيف يعالج الأمر **فى هذا** الموقف . فهل كان يجب عليه أن يظهر الخجل **على وجهه؟** وحتى لو كان يجب عليه أن يفعل ذلك كأمر واجب ... فماذا كان عساه أن يفعل على وجه التحديد ، فحتى لو تعمد إظهار الحمرة على وجهة خجلاً ... فكيف كان له أن يفعل ذلك ، حتى لو قام مثلاً بحك رأسه بيده ... فهل كان هذا السلوك سيظهره فى صورة طبيعية أمامهم أم لا ؟

بعد حيرة من أمره وصل "جونتارووه" فى قرارة نفسه إلى حل وحيد بأن يترك ذلك المكان فى هدوء وبسرعة، ولكنه حتى لم يستطع أن يجروء على فعل هذا . فقد كان يشعر فى نفسه بأنه لا يجب عليه أن يظهر فى صورة المهزوم أمامهم.

لقد تنازعت عدة أفكار متضاربة داخل رأسه ، فتارة كان يسأل نفسه عما إذا كان انسحابه من أمامهن سوف يعنى فعلاً هزيمته ... كذلك كان يتساءل فى نفسه عن النقطة المحددة التى لا يريد أن ينهزم فيها ، وبسبب حيرته هذه فقد انتهى به الأمر أن يظل جالساً فى مكانه يتظاهر بالسؤال عن الترتيبات الخاصة بيوم زواج الفتاة وأن يجتهد لكى يحول دفة الحديث إلى ذلك الاتجاه!

وبعد تلك الزيارة بيومين أو ثلاثة قام "تاكاغى" باصطحاب "جونتارووه" و "يامادا" إلى النزهة بالجهة الأخرى من النهر .

هكذا صار "جونتارووه" بعد ثلاث سنوات من

الرسوب فى المرحلة التمهيدية تلك يكرر نفس البرنامج الروتينى المعتاد . فها هو يجلس إلى نفس المنضدة بالفصل يفتح دفتر التدريبات المعهود ويستمع إلى نفس الشرح الممل من نفس الوجوه المألوفة ... وهو ذلك الشرح المكتوب على السبورة عن طريق استخدام التعريفات المختلفة ... وعن نفس المسائل الحسابية وقد صار به الحال إلى نبذ ذلك الملل.. فكان يخرج يومياً من المنزل وهو يحتضن حقيبته المدرسية دون أن يذهب - إلا نادراً - إلى المدرسة ، فيستعيض عن ذلك بالالتقاء برفيقيه الجديدين حيث يذهب ثلاثتهم لقضاء الوقت بغرفة أحدهم أو التسكع بالشوارع أو قتل الوقت داخل بعض المقاهى.

وذلك اليوم أيضاً لم يكمل الثلاثة يومهم الدراسى ، فخرجوا إلى الطريق دونما وجهة أو مقصد محدد فقطعوا الطريق من منطقة "غينزا" حتى منطقة جسر "كاتشى دوكى" فتوقفوا هناك لكى يستمتعوا بمشاهدة عملية فتح الكوبرى - الذى أنشئ حديثاً - لكى تمر من خلاله بعض السفن ... وبعد ذلك ظلوا لفترة من الوقت يشاهدون المناظر المحيطة بالنهر وهم يقفون فوق الجسر . وفجأة وجه "تاكاغى" كلامه إلى رفيقيه قائلاً :-

"أتذهبون معى إلى منطقة "تامانوإي"؟

لم تكن تظهر على وجه "تاكاغى" فى تلك اللحظة علامات الخجل والحياء التى أظهرها فيما قبلْ حين دخلوا ذلك المقهى فى منطقة "كاندا" على العكس فقد صار

"تاكاغى" يأخذ دور القائد والدليل دون أى مظهر للجبن والتردد لكى يرشد الاثنين الآخرين إلى مناطق لا يعرفونها داخل "طوكيو" وكأنما كان قد حفظ خريطة العاصمة عن ظهر قلب ولكن "تاكاغى" حين لفظ بكلمة "تاما نـواي "هذه ، لم يستطع "جونتارووه" مغالبة شعوره بهاجس مفاجئ فى تلك اللحظة.

لقد كان "جونتارووه" يعلم من قبل بوجود منطقة داخل حى "تامانوإي" يستطيع فيها المرء مصاحبة الباغيات طالما دفع المقابل . كما أن "جونتارووه" كان قد فكر فى أكثر من مرة بالذهاب إلى ذلك المكان حين كان يؤرقه السهاد ولا يستطيع أن يذوق طعم النوم فى بعض الليالى الكئيبة التى مرت به . لقد كان يتخيل دائماً تلك المنطقة غارقة فى الأضواء الحمراء التى تتحرك خلالها ظلال سوداء صامتة تمنحه السلوى والرضاء حينما يلجأ إليها . ولكنه فى الواقع لم يكن قد استجمع شجاعته بعد لكى يذهب إليها وحده .

والحقيقة أن "جونتارووه" كان قد سبق له ذات مرة أن عرج على إحدى تلك المناطق حين كان يبحث عن دار للسينما بأحد الأحياء التجارية الصاخبة فى أوساكا وهو فى طريق عودته من أداء أحد الامتحانات بمدرسة عليا تقع بجنوب تلك المدينة.

لقد كان الشارع الرئيسى لذلك الحى يشبه منطقة المربع السادس لحى "أساكوسا" بالعاصمة طوكيو ... حيث

كانت تصطف هناك المسارح ودور السينما ودور العرض والمطاعم ، وكان الرجال والنساء يصطحبون أطفالهم ويسيرون هناك فى زحام وصخب وجلبة ، ولكن "جونتاroووه" حين جرب الدخول إلى شارع خلفى لا يفصله خطوات عن الشارع الرئيسى ذلك ... فوجئ بخلو ذلك الشارع وبظلمته وهدوئه ، وعندما أصيب بالريبة والهواجس وشرع يعود أدراجه إلى الشارع الرئيسى الصاخب ، استوقفه صوت نسائى يقول "يا أخ .. يا أخ" وحينما التفت خلفه لمح امرأة فى الثلاثينات من عمرها تقف هناك وهى ترتدى زى الكيمونو التقليدى وتقص شعرها مثل فتيات "الجيشا" حين رأى "جونتاroووه" تلك المرآة قفزت إلى مخيلته على الفور أحاديث رفاقه عن ذلك الحى. "لقد أحس "جونتاroووه" لحظتها بمدى التناقض الذى كانت تحمله صورة الشوارع الخلفية الهادئة التى لا يكاد يسير بها أحد بمفرده حيث البيوت المتراصة الساكنة المحاطة بالأسوار السوداء – بصورة "ذلك الحى" الذى اتضح له إنه كان يتخيله بصورة مختلفة تماماً . ولأن ذلك التناقض الكبير أوقعه فى رعب مبالغ فيه ... فقد وجد "جونتاroووه" نفسه يطلق ساقيه للريح ويعود أدراجه إلى الشارع الرئيسى!

لقد كان إحساسه ذلك الوقت مختلفاً عن إحساسه هذا اليوم وهو بصحبة رفيقيه . فربما لو احتاط المرء وتجنب ذلك المرض البغيض وعيون عساكر الدرك لما كان هناك أى خوف أو قلق . ومع ذلك فلحظة أن يدعوه الآخرون إلى

الذهاب كان يشعر – كالعادة بالخوف والتردد!

سأل "جونتاررووه" يامادا" الذى يقف بجانبه قائلاً بينما كانت الريح التى هبت فجأة من ناحية صفحة النهر تدغدغ وجهه بينما كان هناك سرب من طيور النورس انطلقت لتوها من البحر – : ما رأيك يا "يامادا"؟!

وهنا رد "يامادا" بصوت قوى ملأه الحماس قائلاً : "فلنذهب .. ما المانع""؟

تهيأ لـ "جونتارووه" وقتها أن "يامادا" بإيجابيته هذه كان يتصرف كما لو كان يرد الصفعة التى تلقاها فى ذلك المقهى بحى "كاندا":

وهنا عقب "تاكاغى" على حماسة "يامادا" قائلاً بلهجة رزينة كما لو كان شيخاً عاقلاً يهدئ من حمية مراهق مندفع أخرق :"لا تظن أننا سندخل أحد تلك الأماكن ، فليس ذهابنا إلى هناك يعنى ما يدور برأسك إننا سنأخذ جولة على أقدامنا فقط".

لكم أصابتهم الدهشة والعجب – خصوصاً "جونتارووه" – من وجود حى مثل هذا على ظهر الأرض لقد استحال لهم الوضع كأنهم يعيشون داخل فيلم سينمائى بمجرد دخولهم إلى أحد الشوارع الخلفية . كان يختلف ذلك الحى عن أى مكان تخيل "جونتارووه" وجوده من قبل، وظل "جونتارووه" غارقاً فى حيرته واندهاشه لدرجة أنه لم يكن يصدق أن المكان الذى يطأه الآن موجود فعلاً فى الواقع.

لقد كان الشارع ، أو إذا صحت التسمية "الحارة"

التى يسيرون بها يكاد عرضها لا يتسع إلا لشخص واحد بالكاد لكى يمر ، وكانت على الجانبين تصطف بيوت بها طاقات ضيقة مفتوحة لا تزيد مساحتها عن قدم مربع ، وخلف كل طاقة وجه واحدة من النساء ... بحيث إذا نظر المرء من خلال تلك الطاقة فهو يتهيأ له أنه ينظر من خلال فتحة بئر !! ومن منطق أى حى عادى لم يكن هناك بديل عن اعتبار حى بهذا التصميم حياً يعكس الجنون بعينه . فقد كان مكتظاً بأماكن اللهو والطعام والشراب .

كان "جونتارووه" و "يامادا" يسيران قفزاً خلال تلك الحارة الثعبانية الضيقة وقد أحمر واحتقن وجهاهما ، وكانا كلما أدارا وجهيهما فى أى اتجاه كانت عيونهم تقع على وجوه هؤلاء النسوة وهن يطللن من تلك الطاقات الضيقة! كانا أحياناً يتهيأ لهما إن صوتا نسائياً يناديهما ويستوقفهما ، ولكنهما حين كان يلتفتان إلى مصدر ذلك الصوت فى كل مرة كانا لا يستطيعان تمييز من نادتهما من كثرة الوجوه المطلة ! وكانت تختلط فى عيونهم الألوان الخضراء والوردية والحمراء الكثيرة للظلام والتى كانت تتحرك داخل تلك النوافذ الضيقة . لقد ساروا كثيراً لدرجة أنهم لم يشعروا بطول المسافة التى قطعوها وطول الوقت الذى قطعوه خلال السير . وحينما دخل "جونتارووه" و "يامادا" إلى باب خلفى يقبع وراء أحد البيوت الضيقة وهم يلهثون خلف "تاكاغى" فإذا بهما يجدان نفسيهما فى عرض الطريق الرئيسى الذى تنيره أشعة الشمس فجأة!.

وهنا بادر "تاكاغى" رفيقيه يسألهما وهو يمسح بكفه على فكه المربع العريض قائلا :

"هل استمتعتم بتلك الجولة"؟

ولأن السؤال كان مفاجئا فقد أجاب الاثنان بعد تفكير "حقاً كانت جولة ممتعه " ، ولكنهما فى حقيقة الأمر لم يكونا حتى هذه اللحظة يدر كان على وجه التحديد كنه ذلك العالم الغريب الذى خرجا منه لتوهما . كان "جونتاروووه" فى هذه اللحظة يشعر بأن وجهه مشدوداً جامدا من الدهشة ... ثم وجد بعدها "جونتاروووه" نفسه لا يتمالك نفسه من الضحك بصوت عال دون أن يستطيع التوقف وذلك نبعا" من شعور مبهم اختلط فيه حب الفضول بالخوف والرعب .

لقد كان من الطبيعى أن يقف المرء مذهولاً إذا علم إنه بمجرد دفعه لحفنة من النقود ستكون أى امرأة من ضمن تلك النساء التى يربو عددهن على المائة رهن إشارته وطوع أمره.

وهنا أشار "تاكاغى" بإصبعه ناحية الجهة الأخرى من الشارع الرئيسى وقال موجهاً حديثاً إليهما" – "هل تريدان المزيد من المشاهدة ... هناك فى تلك الناحية المزيد من تلك المحال "ولكن "جونتاروووه" أجاب على الفور قائلاً فى نبرة صادقة :-

"لا يكفى هذا ... لقد تعبت".

لقد كان "جونتاروووه" يشعر هنا بالتعب والإرهاق من مجرد فتح فمه للكلام وحينما ركب ثلاثتهم قطار "أساكوسا"

استعاد" ياما دا" أخيراً حماسته وأخذ يطلب من "تاكاغى" مراراً وتكراراً أن يعود بهما الأدراج مرة أخرى إلى ذلك الشارع الخلفى . ولكنه ما لبث أن قال فى لهجة يشوبها الوهن والحسرة:-

"ولكنى لا أصدق إن كل تلك النساء المصطفة داخل تلك النوافذ لا تزيد فى كونها عن نوع من البضاعة"!!

وهنا أومأ "جونتاررووه" إيماءة كبيرة وهو شارد وقال مؤكداً على كلام "ياما دا" :-

"نعم ... نعم ، هذا صحيح".

لقد كان "جونتاررووه" فى هذه اللحظة يبدل فى مخيلته صورة وجوه النساء الساقطات بصورة ابنة خالته وهى فى كامل زينتها وهيئتها!! .

حينما عاد "جونتاررووه" إلى البيت ، كانت أمه تجلس هناك بملامح غاضبة أمام منضدة العشاء الذى كان قد برد من طول الانتظار.

لقد كان "جونتاررووه" منزعجاً من تصوره أن تكون أمه قد استنتجت ذهابه إلى حى البغاء هذا وليس مجرد تمشية بريئة وزيارة للسينما بعد الهروب من المدرسة مثل كل يوم . لكن حدس "جونتاررووه" هذه المرة لم يصب تماماً ... وكان سبب غضب أمه وحنقها لأمر آخر لم يكن يتوقعه . فلقد كان من عادة أمه ألا تستجوبه لتعرف تفاصيل أمر أغضبها منه ، وإنما كانت فقط تكتفى بإظهار حنقها وغضبها من النتيجة الظاهرة الملموسة لما فعله .

لقد كان سبب غضبها هذه المرة أنها علمت اليوم لأول مرة بأن ابن أختها "تاكيه أو" - الذى هو أخو العروس - قد نجح فى اختبار دخول الجامعة ، وذلك عندما قامت اليوم بزيارة ابنة أختها لإتمام موضوع الخطبة الذى كانت تسعى لإتمامه.

بادرت الأم "جونتاروه" قائلة له حين دخل الغرفة:-

"ما رأيك فيما حدث"!

"رأيى فى أى شئ" ؟

"إن" تاكيه أو "ابن خالتك هو أصغر منك بخمس سنوات ... أليس كذلك"؟

"بالطبع .. أليس هذا هو أمر مفروغ منه.."

ولكن بمجرد أن أنهى "جونتاروه" جملته هذه حتى انفجر السكون على صوت شديد لتحطم قدح الشاى الذى كانت تمسكه أمه فى يديها ، هنا أدرك "جونتاروه" أن نوبة الهستريا قد حلت بأمه ، فجلس "جونتاروه" فى وضع الاستعداد لكى ينطلق هارباً من الغرفة .

لقد كان يعلم تماماً منذ طفولته بتطورات السيناريو حين تنتاب أمه هذه الحالة ، فقد كانت ترغى وتزبد وتحطم ما فى طريقها لمدة نصف ساعة متواصلة ... بحيث لا يستطيع أحد أن يهدئ من ثورتها ، وفى موقف مثل هذا لم يكن من الحكمة أن يقاومها وإلا ازداد الموقف اشتعالاً . وكانت عادة ما تهدأ بعد مرور ساعة واحدة تقريباً من ثورتها ، وبحلول صباح اليوم التالى كانت تهدأ وتتنسى

الأمر تماماً .

ولكن تقدير "جونتارووه" لسيناريو الأحداث كان مخطئاً هذا اليوم . فبعد تحطم ذلك القدح لم تحدث أية توابع ... بل استمرت الأم جالسة فى مكانها تكتفى بتوجيه نظراتها النارية إليه!

ولكن بعد لحظات ما لبث وجهه أن تحول إلى الذبول والصفار بعد أن صارت نظراتها هادئة باردة . وبعد أن ظل "جونتارووه" يترقبها لدقائق ويبلغ ريقه ، وجدها تنهض من مكانها وتسير بخطى بطيئة بجسمها الممتلئ فاتحة ساقيها حريصة على ألا يحتك فخذاها الممتلئان ، ثم توجهت إلى الدولاب الموجود بالغرفة وفتحت أحد الأدراج وتناولت من داخله مظروفاً بنى اللون ، وأخرجت ما بداخله ثم قالت له:-

"على أى الأحوال إذا كنت ستستمر هكذا فى حالتك هذه ... فهذا يعنى أنك تريد فى النهاية ألا تلتحق بأى جامعة وأن تدخل الجندية ... أليس كذلك . حسناً فلتتقدم من نفسك للتطوع بالجيش ... هيا" .

بعد أنهت الأم جملتها تلك ، قذفت بمحتويات الظرف إليه وتركته يقرأها ، وحين قرأ "جونتاروؤه" الورقة وجدها عبارة عن استمارة بشروط الالتحاق بمدرسة التجارة التابعة للقوات البحرية ، فاندهش "جونتارووه" وانزعج من هذا الأمر وقال فى نفسه :-

"ألهذا الحد بالرغم من أن أمى كانت ترفض وتكره

دخولى الجيش ، فما الذى جعلها تغير موقفها هكذا ، ... لابد أن الكيل قد طفح بها" . ولكن ترى ما الذى جعل الأم تختار بالذات مدرسة التجارة البحرية البغيضة هذه ، لاشك أن الأم قد شحنت شحناً فى بيت أختها وتلقت تلك النصيحة البغيضة السخيفة منها . وهنا قطع ذهوله صوت الأم وهى تزعق فيه قائلة !

"حسناً لا تقف شارداً هكذا ... أذهب على الفور الآن لكى تحصل على صور شخصية لك ، وقبل أن تخرج غير منطالك هذا" .

لقد اندهش "جونتارووه" من طلب أمه هذا بحتمية تغيير المنطال ، ولكنه حين نظر مرة أخرى إلى استمارة الشروط أدرك السبب حيث كان مكتوباً بها "تلزم صورتان ملتصقتان بالاستمارة للجسم كاملاً على أن يكون النصف العلوى من الجسم عارياً.

على أى حال فالخروج من البيت مهما كان سببه كان أرحم بالنسبة لـ"جونتارووه" من البقاء فيه وأأمن له ، فسارع "جونتارووه" بتغيير منطاله بأخر نظيف ، وذهب من فوره متوجهاً إلى دكان التصوير .

وفى صباح اليوم التالى حين تجمع الثلاثة ، حكى "جونتارووه" لرفيقيه "تاكاغى" " و "يامادا" أحداث الليلة الماضية ... فاندهش زميلاه مما سمعاه منه . كان "يامادا" على وجه التحديد يبدو قلقاً مما سمعه ، فقطب جبينه ... وبدت لـ"جونتارووه" أنف "يامادا" أكبر وأكبر عما كان

يعهدها من قبل ، وقال "يامادا" :-

"لا أحسبك ستطاوعها وتتقدم لامتحان تلك المدرسة البغيضة ... أليس كذلك"؟

"أبدا ... إنني انوى دخول امتحان تلك المدرسة ، فعلى أى الأحوال فإننى سوف أرسب حتى فى ذلكالامتحان ولن أدخل تلك المدرسة فى نهاية الأمر ، إذن فليس هناك داع لأن أعارض رغبتها الآن" .

"ولكن افترض إنك نجحت في ذلك الامتحان ، فماذا عساك تفعل"؟

"إذا نجحت فسوف أدخل تلك المدرسة ، فحتى لو صرت فى التجارة البحرية فلن أعدو أن أكون فى النهاية أكثر من طاه على إحدى السفن البحرية" .

"هل أنت فى وعيك وأنت تقول هذا؟ يا لك من أحمق. أن اليابان ستخسر هذه الحرب إن اليابان لا تواجه الآن سوى دول الهند الصينية ، ولكنها لن تلبث بعد فترة قصيرة أن تجد إنجلترا وأمريكا تدخل أمامها فى مواجهة عسكرية عنيفة ... ولن يخلو الأمر من انضمام ألمانيا إلى هذه المعمعة ، ومع هذا ألا زلت نائماً فى العسل وتتفوه بتلك السفاهات"؟

"حتى ولو حدث ذلك فما عساى أن أفعل حتى أغير من هذا الأمر؟ إننى لن أفعل أكثر مما سأفعله وما أفعله الآن حتى ولو انهزمت اليابان أو انتصرت".

"إن كلامك هذا لا يستطيع حتى الحمقى موافقتك عليه".

وبالرغم من محاولات "يامادا" لإقناعه ، فكان يبدو أن "جونتارووه" غير مكترث على الإطلاق بما يقال له ، فعلى أى الأحوال لم يكن "جونتارووه" يتوقع أبداً أن ينجح فى أى اختبار فى هذه المرحلة ، وكان أهون عليه أن يوافق أمه على رأى تقوله يأمن شرها من أن يختار أى حل آخر .

وحينما تسلم "جونتارووه" صوره الشخصية من محل الصور .. شعر بشعور جد كئيب . فقد كانت ملامحه فى تلك الصورتين المكبرتين بحجم الضعف عن الصور الشخصية العادية والتى أخذت واحدة منها من الواجهة والأخرى من الجانب ، توحى بشكل شاب كئيب همجى تم اصطياده من أعماق الأدغال . فقد كانت عيونه تبدو مذهولة مفتوحة عن آخرها فى شرود وبلاهة ، وكان صدره العارى يبدو هزيلاً مستضعفاً ، أما سيقانه فكانت تبدو مقوسة لا حول لها ولا قوة كأقدام سرطان البحر بينما كانت مكبلة تكبيلاً فى منطال جديد لا يليق أبداً بدمامتها ، وكان مظهره هذا فى الصورة يوحى بكآبته وقلة حيلته بشكل واضح لكل من ينظر إلى الصورة . كانت صرته فى هذه الصورة تبدو بارزة إلى الأمام فى شكل مقزز ، وكان مظهره العام . فى هذه الصورة لا يوحى أبداً بأنه متطوع للتجنيد من تلقاء نفسه، وإنما كان يوحى تماماً بأنه أرغم إرغاماً على أخذ هذه الصورة مثل مجرم ذو سوابق أدخل السجن لتوه .

أخذ "جونتارووه" امتحان تلك المدرسة فى اليوم الأول من شهر حزيران (يونيو) وكان مكان الاختبار بمقر

المدرســة فــى حــى "تســوكوجى أوداوارا" . ولــم يكــن "جونتارووه" حتى ذلك اليوم يتخيل شكل المدرسة التجاريـة البحرية هذه ، ومما أثار دهشته إن تلك المدرسـة كـانت تقـع بالقرب من جسر "كاتشى دوكـى" الـذى مـر بـه مـع "يامـادا" و"تاكاغى" وهم فى طريقهم إلى حى "تامانوإي" منذ أيام!!

ولكن اندهاشـه مـن هـذا الأمـر كـان لا يـزال بسـيطاً بالنسبة لأمر آخر سبب ذهوله وحيرته فحينمـا أشـرف علـى الدخـول مـن بوابـة المدرسـة وجـد "يامـادا" ينتظـره هنـــاك ! فبادره "جونتارووه" متسائلاً :-

"ما الذى جاء بك إلى هنا" ؟

وهنا لم يستطع "يامادا" أن يكتم انفعالـه فضحـك فـى هستيريا وهو يقول :-

"لأننـى أحسسـت بالشـفقة عليك مـن حضـورك هنـا وحدك فقد قررت أنا أيضاً أن أدخل معك الامتحان" !

لـم تكـن تبدو علـى وجـه "يامــادا" أيـة علامــة مــن علامات الاستهزاء المعهودة ، ومع هذا فلم يمنع هذا من أن يشعر "جونتارووه" بأن "يامادا" يهزأ به ، فانفعل "جونتارووه" وقال لـ"يامادا" :-

"أليس هذا سخف منك؟ لقد وصفتنـى مـراراً بـالحمق والغباء ... ثـم بعـد هـذا تـأتى إلـى هنـا وتقـول إنـك سـتدخل الامتحـان معى"؟

"لا تسـئ فهمـى ، إننـى بعـد إن تركتـك وعـدت إلـــى البيت ، تحدثت مع أبى بخصوص فكرتك فى دخول امتحــان

هذه المدرسة ، ففوجئت بأن أبى قد راقته فكرتك وضغط على لكى أدخل معك الامتحان".

"إذا كان الأمر كذلك فلماذ ظللت صامتاً حتى الآن ولم تخبرنى"؟

"لأنى أردت أن أفاجئك".

شعر "جونتاررووه" ساعتها بأنه لا يعنيه أن يتأكد على وجه الدقة من نوايا "يامادا" التى جعلته يدخل الامتحان معه، وما كان يعنيه فقط أن وجود زميل له يشترك معه فى الامتحان اليوم هو أمر سيبث الشجاعة فى نفسه ويسليه فى وحدته ووحشته .

لقد لاحظ "جونتاررووه" أن الطلبة الذين تجمعوا اليوم لدخول الامتحان يختلفون فى شئ ما عن الطلبة الآخرين الذين تعود على رؤيتهم فى المدارس الأخرى العادية . لقد كان منهم كثير يضعون النظارات الطبية على عيونهم ، وحسب تفسير "يامادا" لهذا الأمر فإن هذه المدرسة كانت شروطها أهون بكثير من شروط اختبارات الهيئة لمدارس القوات البحرية الأخرى ، وقد أحس هنا "جونتاررووه" بأن "يامادا" اجتهد فى جمع معلومات كثيرة عن المدرسة وشروطها دون أن يعلم.

كان هناك ضمن من تجمعوا هنا بعض الطلبة الذين تعرف "جونتاررووه" بهم فى المدرسة التمهيدية وكانوا كلهم ممن رسبوا سنتين أو ثلاث سنوات . لقد كانت شروط السن بالنسبة لهذه المدرسة أبسط بكثير من شروط السن بمدارس

البحرية الأخرى مثلها فى ذلك مثل شروط كشف الهيئة . وحين سأل "جونتارووه" معارفه هؤلاء عن سبب اختيارهم لهذه المدرسة ، علم إن هناك الكثيرين منهم ممن كانت دوافعهم مماثلة تماماً للدافع الذى جعله يأتى إلى هنا ، لدرجة أنه كان هناك شاب منهم اقترب منه وقال له :- "حسناً" إن هذه آخر فرصة لك ، وعليك أن تبذل جهدك لكى تنجح هذه المرة" ، وكان ذلك الشاب قد فعل ذلك حينما علم إن "جونتارووه" قد رسب ثلاث مرات متوالية! كان هؤلاء الطلبة ممن يستهدفون التخصص بهذا النوع بالذات من مدارس البحرية ، ولكنهم لم يكن يبدو عليهم الذكاء من وجهة نظر "جونتارووه".

حين كان "جونتارووه" يتأمل وجوه هؤلاء الطلبة راوده خاطر ملح جعله يتوقع أن ينجح فى ذلك الامتحان ، وهنا تساءل "جونتارووه" فى قرارة نفسه عما عساه يفعله إذا نجح فعلاً فى الامتحان ! لقد كان يحاول أن يقنع نفسه إنه حتى لو نجح فى الامتحان فلن يعدو مصيره أن يكون فى النهاية سوى واحد من الطهاة للجنود على إحدى السفن الحربية.

وفجأة صم الآذان صوت نفير التجمع ، فانطلق عدد من جنود البحرية لكى يجمعوا الطلبة المنتشرين بالساحة وسلموهم لمجموعة من جنود الصف . وبعد أن ظل جنود الصف هؤلاء يتأملون وجوه الطلبة بتعبيرات لم يستطع "جونتارووه" تفسير كنهها عما إذا كانت نظرات غاضبة أم

نظرات ساخرة ، قطع الصمت صوت واحد منهم وهو يزعق قائلاً :- "من الآن سيبدأ الاختبار".

وبعد مرور ساعة تقريباً من انطلاق النفير ، كان "جونتاروووه" قد غادر بوابة المدرسة إلى الشارع ، وعندما وصل إلى جسر "كاتشى دوكى" إرتكن على حاجز الجسر وهو يشم نسيم النهر .

لقد بدأ الاختبار بفحص الهيئة ، فبعد أن تم قياس الأطوال والأوزان وعرض الصدر بعد ذلك فحص المناطق الحساسة من الجسم مثل فتحة الشرج وغيرها ، وبعد أن دخل الطلبة المتقدمون إلى داخل غرفة الكشف أخذ طبيب ضابط كان يجلس على دكة عريضة وهو يفتح ساقيه عن أخرهما يصرخ بصوت جهورى قائلاً :- "أيها الحمقى ... هل تظنون إنكم بمناظركم هذه ستستطيعون حماية بلدكم كضباطٍ بالقوات البحرية الإمبراطورية"؟

لقد شعر لحظتها "جونتاروووه" بحماقة ذلك الضابط وسفاهته ، فهل كان لذلك الضابط الحق فى أن يوجه تلك البذاءات والإهانات إلى طلبة متقدمين بإرادتهم وليسوا واقعين بالفعل تحت إمرته وتصرفه؟

وجاء أخيراً دور "جونتاروووه" فى الاختيار.

حينما وقف "جونتاروووه" أمام الضابط الطبيب بلجنة الفحص .. انتابه شعور مفاجئ بأن هذا الضابط برتبة النقيب يشبه ضابطاً كان كثيراً ما يزور والده "جونكيتشى" ببيتهم فتخيل هنا أنه لن يكون بمستغرب أن يكون هذا الضابط هو

بشحمه ولحمه الرجل نفسه صديق والده ، وبينما كان يجول ذلك الخاطر برأسه بدأ "جونتاروووه" يفك رباط سرواله لكى يقوم الطبيب بالكشف على أجزائه الحساسة . ولكن "جونتاروووه" فوجئ فى هذه اللحظة بأن الرباط قد تعقد فى بعضه ولم يستطع فكه . وبينما كان منهمكاً هكذا فى محاولة فك الرباط نزل على أذنيه كالصاعقة صوت الضابط الطبيب وهو يصيح غاضباً :- "إذا كان أمر ذلك الرباط اللعين يعوقك فاقطعه فوراً ... اقطعه فوراً".

ولكن "جونتاروووه" على العكس تمالك نفسه وتعمد عدم إطاعة الأمر واستمر فى محاولة فك الرباط بهدوء ... بينما ينظر شزرا إلى وجه الضابط فى تحدٍ واضح.

ولكن بعد أن أنتهى "جونتاروووه" من تلك المرحلة وانتقل إلى لجنة اختبار القوة ، تعلق "جونتاروووه" بقضيب العقلة المستعرض وحاول أن يرفع جسمه حتى يصل برأسه إلى مستوى القضيب ، ولكنه شعر هنا بأن قوته قد خانته ولم يستطع ذراعاه أن ترفعا جسمه ، وهنا أقترب منه جندى الصف وصرخ فيه قائلاً :" ماذا حدث"؟

ثم قام جندى الصف بعد ذلك بفك يديه من العقلة.

كانت قواعد الاختبار تقضى بأنه إذا فشل الطالب فى أى مرحلة من مراحل الاختبار كانت تلغى بقية المراحل الأخرى وينتهى الامتحان بالفشل . حقاً لقد كانت تلك القواعد صارمة محكمة ! ولكن بعد أن خرج "جونتاروووه" من بوابة المدرسة وارتكن على حاجز الجسر يداعبه النسيم

أحس فجأة بالحنق والغضب يعتريان صدره . فما الذى دفعه بحق السماء إلى تجشوء العناء والمتاعب لكى يأتى إلى هنا ويتلطخ بعار كلمة "الرسوب" لقد شعر "جونتاروووه" بأنه لم يعد يتحمل أن يكون بعد اليوم فى موقف المعرض للاختبار.

حينما كان "جونتاروووه" عند عتبة بوابة المدرسة فى طريقه لخارجها همس له "ياMادا" من مسافة قريبة "انتظرنى .. فسوف الحق بك بعد قليل".

ولكن "جونتاروووه" لم يكن يطيق أن ينتظر أكثر من هذا داخل ذلك المكان البغيض ، لقد كان يشعر لحظتها "جونتاروووه" بأنه يريد أن يتحكم فى إرادته بنفسه.

حين شرد "جونتاروووه" ببصره بعيداً فى النهر ... رأى قارباً أبيض فى طريقه إلى الإقلاع . وكان ذلك القارب بمثابة محفز له لكى يشعر برغبة فى الانطلاق هو الآخر.

ولكن ... ترى إلى أين عساه ينطلق ، إذا كانت هناك وسيلة للخروج من اليابان والذهاب إلى مكان ما ... فلم يكن هناك سوى أن يتلقفه الجيش ليجد نفسه فى أحد ميادين القتال خارج اليابان ، وهنا تخيل "جونتاروووه" صورة جندى هارب من الجيش . تخيل "جونتاروووه" ذلك الجندى الوهمى وهو يسير وحيداً فى خط مستقيم عند رصيف أحد الموانى التى يلفها الضباب الكثيف ، حيث لم يكن لذلك الجندى أب ولا أم ولا أخوه ولا زوجة ولا حتى حبيبة ! وكان ذلك الجندى قد تجرد من جنسيته ومن واجبه الوطنى كمجند . حين وصل "جونتاروووه" بخياله إلى ذلك الحد ، شعر فجأة بإحساس

بالجفاف الشديد فى صدره . ثم عاد "جونتاروووه" لكى يتشكك فى إحساسه هذا ليقنع نفسه بأنه يتخيل مشهداً للممثل "جان جابان" بأحد الأفلام ، وإن ما يجثم على صدره الآن لا يزيد عن شعوره بمدى سيطرة أمه عليه!!

لقد أخذ "جونتاروووه" يسائل نفسه قائلاً :"لماذا لا أحاول أن أكون حراً؟ لماذا لا أعبر عما أريد قوله بوضوح وصراحة أكثر إذا كنت حقاً أتضرر من التقدم لهذه المدرسة، إذا كنت أكره هذه المدرسة فليس هناك ما يجبرني على أن أحضر بقدمى إلى هنا . إننى حتى ولو لم أدخل هذه المدرسة فهناك الكثيرون مثلى فى هذه الدنيا ممن يعملون ويتزوجون ويعيشون على هواهم وهم يتمتعون بحياتهم حتى يزورهم الموت ويأتيهم القدر . وحتى لو افترضت إننى لم أوفق فى تلك الحياة التى أختارها ... فيكفينى إننى سأختار مصيرى بنفسى وأكون مسئولاً عنه وحدى . وقد تكون هناك مأساة ما تقبع فى انتظارى وتتربص بى إذا سرت فى ذلك الطريق ... ولكن على أية حال يجب أن أقنع نفسى بأن ذلك المصير سيكون أهون عندى بكثير من رضوخى تحت سيطرة أمى وتحكماتها . ولكن ماذا عساى أن أفعل كى احصل على حريتي وأفلت من قيود أمى" .

دارت هذه التساؤلات برأس "جونتاروووه" وألحت عليه ، وفى النهاية وجد نفسه يجيب على نفسه قائلاً :" نعم ... يمكننى أن أذهب إلى ذلك الحى"!!

بعد أن قام "جونتاررووه" بقتل الوقت بالتسكع فى طرقات "أساكوسا" حتى حلول الظلام ، أوقف إحدى سيارات الأجرة وانطلق بها مباشرة إلى "ذلك" الحى.

أفاق "جونتاررووه" على صوت سائق السيارة الأجرة وهو يقول له :-

"هنا يا سيدى" .

وحينما غادر "جونتاررووه" السيارة ، وجد نفسه عند مفترق طرق تقع على جوانبه بعض متاجر المخللات والبقالة . لقد شعر للوهلة الأولى بأن السائق قد خدعه وأن هذا ليس هو المكان الذى يقصده ... وأحس ساعتها بأنه يوشك على أن يصيح فى وجه السائق ، ولكنه بعد أن نزل من السيارة وعرج على إحدى الطرقات الجانبية التى يقع عند ناصيتها دكان للبقالة ، وجد نفسه فجأة داخل الحى "إياه". لقد سمع صوتاً نسائياً ينادى على أحد الزبائن ... ولكنه للوهلة الأولى شعر أن ذلك الصوت لا يناديه هو بالذات ، ولكنه فوجئ بالصوت نفسه يحذره قائلاً :-

"أيها التلميذ ... أخلع قبعتك المدرسية بسرعة ، فلو رآك عساكر الدرك لاقتادوك إلى قسم الشرطة على الفور"!!

وبحركة عفوية خلع "جونتاررووه" قبعته من فوق رأسه والتفت إلى مصدر الصوت ليجد وجه امرأة يطل من إحدى النوافذ ... وكانت المرأة تناديه إلى مكانها وهى تضحك . كان يتهيأ له ساعتها أنه يعيش فى حلم ، ذلك لأن

وجه تلك المرأة كان يشبه وجه ابنة خالته ... وكان أنفها الأحمر ذلك يشبه أنف خادمته!

وحينما اقترب "جونتاروووه" من تلك المرأة ... فوجئ بها تصيح قائلة له : "أسرع إلى هنا" ، ثم قامت المرأة بسرعة من الداخل إلى باب ضيق مجاور للنافذة وفتحته له ، فقفز "جونتاروووه" على الفور إلى داخل الغرفة دون أن يفكر فى شئ لقد كان حال الغرفة مختلفاً تماماً عما كان يتخيله حين ينظر إلى المنزل من الخارج.

لقد شعر بأنه دخل إلى دكان للمرطبات يبيع الليمونادة والثلج!!

حينما أزاحت المرآة التى ترشده إلى داخل المكان تلك الستارة القصيرة المنسدلة من العتبة العليا للمدخل ... وبينما كانت الحلى المعدنية الصغيرة المدلاة من أطراف تلك الستارة تصطدم ببعضها البعض محدثة رنيناً ، وجد "جونتاروووه" نفسه يتبع المرأة إلى درجات سلم خشبية تؤدى إلى الدور العلوى ... فتردد "جونتاروووه" للحظة وتساءل فى نفسه قائلاً :- هل يحسن لى أن أتبع هذه المرآة حيثما تذهب"؟

ولكنه فى أثناء تردده هذه وجد أقدامه تقوده إلى الغرفة التى أرشدته إليها المرأة . وكانت تلك الغرفة معتمة يلوث جدرانها السناج الأسود ومفروشة بالحصير القديم البالى ، وحينما كان يرشف الشاى الذى قدمته له المرآة ... فوجئ بها تقول له :- "حسناً ... عليك أن تحزم أمرك بسرعة"!

قالت المرأة له تلك الجملة وهى تدفع إليه بكفها المفتوح . حين تأمل "جونتاررووه" وجه تلك المرأة ... أدرك بان ملامحها تختلف تماماً عن ابنة خالته وعن خادمته أيضاً لقد كان كتفها نحيلاً ضعيفاً تبرز عظامه ، وكانت تبدو له تلك المرأة من عالم آخر لا تنتمى إليه باى صلة . لم يكن "جونتاررووه" يعرف أجرتها واحتار فى أمره ، فدس يده فى الجيب الداخلى لعباءته وأخرج عملة ورقية فئة من عشرة ينات وأعطاها لها ، وهنا تحولت تعبيرات وجهها فجأة وهى تقول له:- "شكراً جزيلاً يا سيدى "ثم أومأت برأسها تعبيراً عن الشكر وانطلقت إلى الدور الأسفل وهى تضع العملة الورقية فوق الصينية التى كانت تحملها بين يديها!

لقد انتاب "جونتاررووه" شعور قوى بالقلق وعدم الارتياح ، فقد شك فى أن تكون المرأة قد خدعته وأخذت نقوده وهربت دون أن تقدم له أى نوع من الخدمات . بل إنه شك فى أنه قد وقع فى فخ وصار حبيساً داخل تلك الغرفة الكئيبة.

ولكن المرأة عادت إليه بعد قليل وهى تقول :-

"ماذا ... هل مازلت تنتظر هنا؟ ... تفضل من هذا الطريق"!

قالت له هذه الجملة بلهجة بها نوع من التدلل عليه وأرشدته إلى جانب من الغرفة حيث فتحت ذلك الباب البنى المحروق على مصراعيه ... لكى يرى داخل تلك الغرفة فراشاً نظيفاً مفروشاً على الأرض مغطى بملاءة ناصعة

البياض . بعد أن قالت المرأة له "أنتظر قليلاً" ، بدأت فجأة تشرع فى خلع ملابسها ، ففكت أولاً النطاق الذى يلف خصرها ويربط الروب اليابانى التقليدى الذى تلبسه.

كان "جونتاروووه" يقف مشدوهاً وهو ينظر إلى ذلك المشهد . لقد كان "جونتاروووه" أثناء تلك اللحظات يحادث نفسه قائلاً :" ها هى المعجزة فى سبيلها إلى الوقوع ولكن المرأة لم تكمل خلع ملابسها ، بل دست يدها فجأة داخل روبها وهى تقف أمامه وأخذت تحركها بحركات سريعة متتابعة وهى تقول له:-

"أفعل ذلك دائماً قبل الجماع ... فأنا مصابة بالبرود الجنسى"!!

بعد ذلك شدت المرأة قطعة صوفية سوداء من تحت طرف ردائها ، وبعد أن خلعت الرداء لاحظ "جونتاروووه" بأن خصر المرأة ونصفها السفلى ممتلئان نوعاً ما مقارنة بكتفيها الهزيلين.

لقد كان "جونتاروووه" يتوقع كما لو كانت تلك المرأة ستفاجئه وتخرج له من تحتها قطة تقفز فى وجهه وكأنها ساحرة من السحرة!!

وفى اللحظة التالية اضطجعت المرأة على فراش النوم المفروش على الأرض وهى برداء الكيمونو المربوط من الخصر بنطاق رفيع ، ثم فتحت المرأة ساقيها عن آخرهما وهى تعريه وتقول له:-

"هيا .. كن رجلاً وتعال إليّ"!

لكن "جونتاorووه" ظل يقف مشدوهاً وهو لا يستطيع الحراك . لقد كان "جونتارووه" يسائل نفسه خلال تلك اللحظات قائلاً :- "ترى هل هذا الشيء المسودُّ الذى يقع تحت تلك البطن البيضاء هو الذى كنت أحلم لسنوات طويلة أن أختلس النظر إليه"؟

لقد كان ذلك الجزء الذى يراه أمامه الآن يبدو حقاً مقززاً منفراً .. ولكنه لم يشعر - على العكس إنه يشعر بالرغبة فى أن يشيح بنظره بعيداً عنه .

لقد أفاق "جونتارووه" على صوت المرأة وهى تصيح به قائلة:-

"لماذا لا تخلع سروالك؟ هيا ... إخلعه وأخلع ملابسك الداخلية أيضاً"!

لقد تذكر "جونتارووه" فى هذه اللحظة طبيب مدرسة الإدارة العسكرية للقوات البحرية ، ولكنه لم يشعر بأن لقاءه بذلك الطبيب كان صبيحة هذا اليوم .. وإنما أحس بأن ذلك كان منذ زمن بعيد قد يكون منذ عشر سنوات أو أكثر .

أما المرأة فقد بدا عليها الضجر وهى تلملم طرف ثوبها وتغطى ساقيها وتقول:-

"ماذا حدث بك؟ هل أسرفت فى الخمر قبل حضورك إلى هنا"؟

لقد حاول "جونتارووه" أن يستوقفها ويعيدها إلى الوضع الذى كانت عليه وهو يقول:-

"انتظري قليلاً".

ولكنه لم يعرف بعد كيف ينتقي الكلمات المناسبة لكي يخطب ودها ، وهنا جاءه صوتها فجأة بنبرة دلال يقول:-

"نعم نعم .. فهمت .. تراك من ذلك النوع الذى يحب تهيئة المناخ الرومانسى ، إننى أيضاً مثلك تماماً .. نعم إننى أكره المتسرع اللحوح"!

أحس "جونتاroووه" أنه مضطر إلى مسايرتها وموافقتها على تفسيرها فأومأ برأسه لكى يوهمها بصواب رأيها .. ولكنه بعد لحظات أحس بعدم ارتياحه لذلك فعاد يقول وهو يحاولِ إخفاء ارتعاش صوته :- "ليس بالضبط"! "ولكن .. أعتقد أنك لا تمانعين لو تركتنى أتأملك قليلاً"!

فردت المرأة ضاحكة بنبرة وقالت :-

"حسناً ... لا أمانع طالما لم تمد يدك وتلمسنى"

لقد بدأ يدرك "جونتاروووه" هنا أن هذه المرأة طيبة القلب .. حتى أنه أراد أن يستمع إليها لو فتحت له قلبها لكى تشكو إليه هموماً لها.

لقد قطع السكون صوت الجرس المعلق عند الباب بالدور السفلى وهو يرن ، فانبرت المرأة تقول:-

"ياله من مزعج حقاً ذلك الجرس ، لا محالة ... فقد انتهى وقتك .. تستطيع أن تزورنا مرة أخرى .. نعم سوف أغضب منك لو خلفت بوعدك ولم تحضر لزيارتى"!

لقد تظاهر "جونتاروووه" برضائه فأومأ برأسه مصدقاً على جملتها ثم شرع فى نزول درجات السلم وعند البوابة

الخارجية انكفأت المـرأة عند عتبة البوابة وهى تصلح له وضع الحذاء لكى يسهل عليه انتعاله ثم جلست المرأة على مقعد مجاور للمدخل بحيث صار ظهرها له وجهها أمام مرآه كبيرة فى صدر المدخل فحين خرج "جونتاروووه" إلى الطريق ونظر من خلال النافذة المفتوحة إلى داخل المكان ، التقت عيونه بهذه المرأة المنعكسة فى المرآة ، فلوح لها بيده وهو يقول :-

"سوف أحضر مرة أخرى"

وهنا جاءته جملة لم يكن يتوقعها .. فقد قالت له :-

"إننى أعتذر لك .. فأننى لم أقم بالواجب كما ينبغى".

إن "جونتاروووه" لم يكن يعى بالضبط كيف سار وإلى أين قادته ساقاه ، ولكنه بعد فترة وجد نفسه عند ساحل النهر، وتوقفت أمام عينيه حروف مكتوبة على يافطة تقول "جسر شيراهيغيه" لقد ساءل "جونتاروووه" نفسه قائلاً :- "ترى .. هل أحسنت التصرف"؟ ثم تمتم قائلاً : "هل استطعت بهذا أن أتحرر من قيود أمى؟ إن جملة المرأة الأخيرة "إننى لم أقم بالواجب كما ينبغى" تثير قلقى وحيرتى .. ترى هل تصرفت تصرفاً جرح مشاعرها؟ أم أن الذى حدث هو العكس من ذلك؟".

وبينما كان "جونتاروووه" يردد تلك التساؤلات فى نفسه ظل يواصل السير بحذاء سور أشجار الساكورا التى تكاثفت أوراقها وتشابكت غصونها!!

- انتهت -



WARUI NAKAMA
رفاق السوء

حين صارت أنباء الحادث السياسي العسكرى الكبير[1] الذى وقع بالقارة الصينية تأخذ شيئاً فشيئاً شكل ركن ممل من أركان الحياة المملة العادية اليومية كان حب الشباب الذى أنتشر بوجو هنا معبراً عن هويتنا كطلبة للمدارس العليا قد بدأ فى الزوال والاندثار.

الزمان هو أول إجازة صيفية تمر بى بعد أن تقدمت لألتحق بالسنة التمهيدية للجامعة . كنت قد اعتذرت لتوى لصديقى وزميلى فى الدراسة "كوراتا شينغو" حين عاد للذهاب معه لقضاء إجازة الصيف ببلدته التى تقع بجزيرة "هوكايدو" شمال اليابان ولم يكن فى الواقع سبب اعتذارى هذا لوجود خطة معينة لدى لكى أقوم برحلة بديلة إلى مكان آخر ما ، ولكننى – وبغرض قتل الوقت والملل – صرت

(١) تدخل اليابان فى جنوب شرق أسيا .

أتردد على فصل الدراسات الحرة بحى "كاندا" بطوكيو لتحصيل اللغة الفرنسية . حتى كان ذلك اليوم حين دخلت إلى غرفة الدراسة كالعادة وهممت بالجلوس على مقعدى المعتاد، ولكننى وجدت مقعدى هذا محتلاً بامتعة شخص ما ... وهو المقعد الذى كان يوجد بأول صف من الصفوف لم يكن على الإطلاق مقعداً مخصصاً بالذات لى أنا شخصياً ولكنى كنت أعتاد الجلوس عليه ... ولذلك فقد أزحت تلك الأمتعة ونقلتها إلى مقعد مجاور ثم جلست على مقعدى المفضل وبعد ذلك خرجت إلى الردهة الموجودة خارج غرفة الدراسة لكى أدخن السجائر ولكن بعد برهة حضرت المدرسة ودخلت إلى الغرفة ولذلك فقد أطفأت سيجارتى ودخلت بعدها إلى الغرفة ، فإذا بشاب قصير القامة شاحب اللون يجلس هناك محتلاً مقعدى!!

كان وجه ذلك الشاب نحيلا ، وكان يرتدى قميصاً بدا لونه لى مثل لون مريلة المطبخ ، وكان يبدو من مظهره ضعيفاً قليل الحيلة ... ذلك مما أزاد من حنقى وشعورى ناحيته بمدى جرأته وسماجته . تعمدت أن أخطف كتابى من فوق الدرج الذى جلس هو أمامه وبقوة لكى ألفت انتباهه ... ولكنه لم يعرنى أى انتباه يذكر ، بل ظل يتصنع عدم إدراكه لوجودى شاخصاً ببصره إلى الأمام - بينما كانت أنفه تلك البارزة تبدو غير مناسبة لحجم وجهه النحيل ... مما جعلنى ذلك ازداد حنقاً وغيظاً منه ، ولما غلب على الأمر ... ابتعدت عنه وأنا أكظم غيظى وأخترت مقعداً هناك فى

أقصى ركن الغرفة وجلست عليه .. وبعد فترة بدأت المدرسة تشرع فى حصر الحاضرين كان كل من يسمع إسمه منا يجيب عليها قائلاً بالفرنسية "PRESENT" وحين نادت مدموازيل "روفلوكر" الشقراء النحيلة قائلة "مسيو فوجى" بينما كانت ترمق وجوه الحاضرين بعينها من خلف نظارتها ، وقف ذلك الشاب ذو القميص الأزرق فجأة صائحاً بصوت عال قائلاً بالفرنسية "جيه فوو رويون" بينما كان يتعمد وضع فواصل بين كل كلمة وأخرى ، ثم عاد وجلس إلى مقعده بحركة أنثوية مصطنعه ، فأحدث بذلك موجة من الهمهمة بين الحاضرين قطعت الصمت والسكون اللذين كانا يخيمان على الغرفة ، فبدا لى ذلك الشاب الضئيل من الخلف يجلس مكوراً ظهره كعصفور صغير مرتعد فوق جذع شجرة بينما أحمر خلف أذنيه بشده ، فلم أشعر بنفسى الا وأنا أهمهم قائلاً (ياله من أخرق)!

لقد علمت فيما بعد من ذلك الشاب الذى كان يدعى "فوجى إى قوماً هيقو" بأنه كان يتعمد لفت انتباه المدرسة إلى وجوده ، وكان هذا مما أثار دهشتى منه لقد كانت الآنسة "روفلوكر" تلك فى الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمرها.. وكانت امرأة قبيحة بغيضة الطباع . وفى يوم من الأيام وأثناء عودتى بالقطار بعد انتهاء أحد دروس اللغة الفرنسية ، تصادف أن ركب معى فى نفس القطار ذلك الشاب النحيل . على الرغم من أننى كنت أبغضه وأتعمد تجنبه ، إلا أنه حين لاحظ جلوسى بعربة القطار فقد أبتسم

لـى مـن بعيـد حيـن رآنـى ثـم أقترب منـى وأخـذ مكانــاً لــه بجوارى. وهنا أحسست فجأة برائحة فجة تفوح منه وتستثير خياشيمى وعلى الرغـم مـن ازدرائـى لـه فقد بـدأ يوجـه لـى الحديث بطريقـة كمـا لـو كـان صديقاً ذا معرفـة قديمـة بــى وبينمـا كـان يحدثنـى كـان يحـرك جسـمه كلــه فــى حمــاس وانفعال، وكلمـا كـان يرفـع يديـه ويحركهـا فـى الهـواء كـان يظهر كم قميصه من تحت سترته اسود قذراً وتفوح من تلـك الرائحة البغيضه المزكمة للأنوف .. وبينما كنت أتمنى قدوم اللحظة التى ينهض فيها من جوارى ويبتعد علـى ، جاريتـه رغماً عنى فى الحديث قائلاً "أيـن بيتـك"؟ فأجـاب قـائلاً" فـى "شـيموكيتازاوا" ولسـوء الحـظ كـانت تلـك المحطـة تقـع قبـل المحطة التى أنزل فيها مباشرة.

لقـد علمـت مـن ثرثرتــه الطويلــة إنــه ولــد وتربــى بمحافظة "شيغي" بشبه الجزيرة الكورية [٢] وإنه يقطن حالياً وحده بشقة صغيرة يملكها أخ أكبر لـه يـدرس بكليـة الطـب يقضـى أجازتـه الصيفيـة حاليـاً مـع الأسـرة بشــبه الجزيــرة الكوريـة ، وإنهـا المرة الأولى لــه التـى يـزور فيهـا العاصمـة "طوكيو" وإنه حالياً ملتحق بإحدى المدارس الثانوية بمحافظة "كيوطـو" غـرب اليابـان وغيرهـا مـن الأمـور وكنــت كلمــا تبادلت معه الحديث يقترب منى أكثر ويحتك ساقه بساقى .. فتفوح منه رائحة البصـل النفـاذ لتعـود وتزكـم أنفـى . وبعـد

---

(٢) كانت شبه الجزيرة الكورية تحت الاحتلال اليابانى .

فترة من تبادل الحديث معه وجدت شعورى بالعداء والكراهية نحوه منذ أن احتل مقعدى فى الفصل يختفيان شيئاً فشيئاً ... وصرت لا يشغلنى أمر سوى تجنب تلك الرائحة العفنة التى تصدر منه وحين صرنا على مسافة محطة واحدة من "شيموكيتازاوا" ، غير "فوجى إى" فجأة مسار حديثه وباغتنى يسأل : هل تعرف من هو "كورت وايل"؟

لقد دغدغ ذلك السؤال فضولى واهتمامى حيث لم يكن هناك أفضل عندى من الإجابة عن أسئلة من هذه النوعية فى تلك الفترة من الزمن ، فانطلقت أجيبه عن هذا الشخص الذى كان يؤلف نوعاً من أنواع الأوبرا . وهنا تحولت دفة الحديث فجأة حيث صار للمرة الأولى مستمعاً إلى وبالتالى زادت حركات جسمه المبالغ فيها والتى كانت تنم عن شغفه واهتمامه الشديد بالموضوع . لقد كان يهز رأسه فى حركة عصبية ويومئ بها إيماءة شديد كلما أنهيت مقطعاً من مقاطع الحديث .. وكان يقترب منى شيئاً فشيئاً حتى كادت أذنه تصطدم بفمى - والغريب فى الأمر إننى فى تلك اللحظة لم أعد أشعر برغبتى فى تجاهله وتجنب الحديث معه ، بل أننى وجدتنى أحدثه عن الفنان "بول فوو" وعن مجموعة صور الإعلانات عن الأوبرات المختلفة والتى كنت أتفاخر بأننى استطعت تجميعها أثناء فترة دراستى بالمدرسة العليا . بل وجدتنى أدعوه إلى النزول معى والحضور إلى بيتى لكى أريه تلك الصور بينما كان على وشك مغادرة القطار للنزول فى محطته ، ولكننى

فوجئت بإجابة غير متوقعة قائلاً : "إننى أشعر بالخجل من دعوتك هذه لكى أذهب معك إلى بيتك "لقد قال هذه الجملة بينما احمرت وجنتاه وأحمر جفناه خجلاً وحياء وهو يبتسم ابتسامة خجولة تنم عن طبعه الواهى الضعيف ، ثم قال لى فجأة :"بدلاً من هذا ... ألا تأتى لتزورنى فى غرفتى ... إنها هنالك "وأشار بإصبعه من النافذة إلى أحد المنازل المجاورة للمحطة وبينما كنت أشعر بالدهشة من سلوكه هذا وجدتنى أعتذر له متحججاً بأننى سوف أزوره فى وقت أخر.

إننى لم أكن أشعر بوعدى له بالزيارة بأنه على قدر ما من الجدية.

وحينما عدت إلى البيت وجدت هناك ابنة خالتى التى كانت تسكن بمنطقة "دن إن تشووفو" تقوم بزيارة لنا . لقد صارت إبنة خالتى تقل من زيارتها لنا بعد أن تمت خطبتها فى الفترة الأخيرة . ولقد صارت إبنة خالتى هذه تبدو فى عينى أكثر أنوثة بعد أن تمت خطبتها أكثر مما مضى : لقد كنت أتعمد إغاظتها بتقليدى لخطيبها القادم من أرياف منطقة شمال شرق اليابان فى طريقة كلامه باللكنة الريفية وطريقة أكله الهمجية وطريقة إلقائه الريفية للتحية وذلك بقيامى بحركات كوميدية استفزازية . وكنت كلما استفيض فى تقليده. كلما كانت تظهر الامتعاض والحنق على وجهها مغلوبة على أمرها ومتسائلة فى نفسها عن سبب تحاملى عليه وفى اليوم التالى وحين ذهبت إلى درس اللغة الفرنسية، فوجئت بـ "فوجى إي" وهو يعدو نحوى فور دخولى غرفة

الدراسة وبادرنى بقوله :"لماذا لم تأت لزيارتى البارحة" ولكنى ظللت صامتاً دون أن أجد إجابة فاسترسل فى كلامه وهو ينظر ملياً إلى وجهى قائلاً "لقد اشتريت تفاحاً وموزاً وظللت أنتظر حضورك "ولسبب ما كانت طريقة لومه لى ونظرته إلى مبعثاً للسخرية والضحك ، ولكنى بطريقة أو بأخرى استطعت كتم ضحكى . لقد أدركت لحظتها شيئاً ما لم أكن أنتبه إليه أشعر به من طريقة نظرته تلك ، فبينما كنت أبحث عن إجابة على سؤاله أدركت فى نفسى للمرة الأولى إننى قد خلفت وعداً لصديق لى بسبب فتاة ما.

ولأننى لم استطع ذكر الحقيقة له فقد تحججت قائلاً "لم استطع ترك المنزل بسبب مرض أمى "وربما كان تعمدى الكذب عليه وشعورى بالذنب من جراء ذلك هو الذى دفعنى هذا اليوم إلى أن أمر بشقته وأنا عائد من الدرس . والأمر الغريب إن تلك الرائحة الفجة التى كانت تزعجنى والتى كانت تفوح منه لم أشعر منذ ذلك اليوم بأننى أشمها مطلقاً .

ومنذ ذلك اليوم الذى زرته فيه تحولت علاقتنا فجأة إلى علاقة قوية حميمة لقد كان غياب أبى عن البيت وعن أسرتنا هو أكثر الأمور التى جعلته يشعر بالراحة والحرية فى مصاحبتى . ولقد كانت طريقة "فوجى إى" فى العيش وحيداً فى غرفته حيث تصطف دواة الحبر وقبعة المدرسة والكتب جنباً إلى جنب مع مقلاة البيض وبراد القهوة هى التى جعلتنى أشعر باهتمام وفضول بالغين به.

كنت حين أزور "فوجى إى" فى الصباح الباكر أجده يبرز من تحت الملاءة المنكوشة التى يتغطى بها ثم يفاجئنى فور دخولى ماداً يده ناحيتى طالباً منى أن أعطيه سيجارة . وحين كنت أصنع فى يده السيجارة وعلبة الثقاب كان يفتح عينيه المنتفختين قليلاً وينظر إلى بينما يقهقه ضاحكاً . وفى مثل ذلك الموقف ودون أن أشعر - كنت أطابق وضعه هذا فى مخيلتى بمشهد عاطفى رومانسى فى فيلم أو رواية رومانسية عدا شكل أنفه الكبير جداً الذى كان لا يتلاءم لحجمه مع ضآلة جسمه ... فقد كان وجهه وسيماً وعيناه كبيرتين واضحتين . وكأنى لا أعنى بهذا فأننى كنت أعتبره ضعيفاً واهناً ، فقد كان بداخله نوع من الصلابة والعناد لا أجدهما بداخلى ... وكان ذلك الإحساس ينتابنى حين الحظه يتبادل الحديث مع مالك المنزلالذى يسكن به ومع جيرانه وغيرهم . وكان "فوجى إى قوماهيقو" يستطيع أن يأكل فى نهم وجبة السمك فى المطاعم الفقيرة بينما يتسابق عدد من الذباب على الوقوف فوق صحنه دونما أن يلتفت إلى ذلك الذباب أو حتى يشعر بالقرف منه ... والحق إننى كنت مشدوداً إلى شخصيته من عدة زوايا إلا مسألة الذباب هذه التى لم أكن أرتاح لها.

توطدت علاقتنا كثيراً إلى أن جاء ذلك اليوم الذى لم أجد مناصاً فيه من الشعور بصدمة شديدة من مفاجأة فى سلوكه لم اكن أتوقعها .

كنا نسير سوياً فى أحد شوارع العاصمة .. ولا أذكر لحظتها من كان الذى بادر منا بقوله إن الجوع ينهش بطنه .

لم أشعر بنفسى إلا وأنا أتبادل معه المشاورة لتنفيذ فكرة الأكل فى مطعم ما ثم الهرب دون دفع الحساب .. وهذا من الشعور الذى ينبع من مزاج خيالى أعتقد إنه شعور ملازم - معتاد بشكل طبيعى مع الصداقة الحميمة.

بعد فترة من المشى فى الطريق الرئيسى عكفنا على شارع ضيق جانبى ، وحين كان يقوم "قوما هيقو" بدفع باب أحد المطاعم ويدخل إليه وأنا خلفه همس إلى قائلاً "أنفعلها معاً" ولكنى فى تلك اللحظة لم أكن آخذ كلامه مطلقاً على محمل جاد.

إذا أصدقت القول فإنه حتى مجرد تناول الطعام فى مطعم خارج بيتى كنت أعده ضمن مغامراتى المحدودة ... فما بالك بمسألة الأكل والشرب هذه دون دفع الحساب ومما زاد من رهبتى وخوفى إن المطعم الذى اختاره "قوماهيقو" لم يكن من ذلك النوع من المطاعم الفقيرة الحقيرة ، وإنما كان مطعماً فاخراً يحتار فيه المرء حين تقدم إليه الفوطة فلا يعرف أن كان يجب عليه أن يدفسها فى ياقة قميصه ويغطى بها صدره أم يفردها على فخذيه .. وهى المشكلة البسيطة التى كانت فى حد ذاتها قد تتسبب فى اضطرابى وتلف أعصابى.

لقد كان المطعم مزدحماً للغاية ، وكان النذال يتحركون بين المناضد هنا وهناك بخطى سريعة - ولكنها منتظمة فى نفس الوقت - وهم يحملون الطلبات وكأنهم فراشات بيضاء طائرة!

كنا قد اخترنا منضدة تقع فى أحد أركان المطعم يظللها أصيص زرع به شجرة نخيل قصيرة وارفة الأوراق وطلبنا طبقين فقط . وحين انتهينا من الطعام بادرنى "فوجى إى قوما هيقو" قائلاً" هل أنت مستعد"؟ وبينما كنت شارداً فاغراً فمى أمامه لم أشعر بنفسى إلا وأنا أجيبه "نعم" وهنا جذب "فوجى إى" نحوه فرعاً من الشجيرة وأشعل ثقاباً ثم أضرم النار فى ذلك الفرع! وفجأة توهجت الشجرة أمام عينى ، وفى لمح البصر استحالت الشجيرة إلى كتلة من النار وارتفع عامود طويل من اللهب ، وهنا صار هرج ومرج وفوضى كبيرة داخل المطعم وحين نهض الزبائن كلهم من مقاعدهم وبدأوا الأعداد للهرب .. كان المكان كله قد صار فى حالة حادث حريق فعلى . ولم أفق أنا الذى مازلت جالساً على مقعدى فاغراً فا هى من فرط الدهشة إلا على حركة "فوجى إى" السريعة وهو يركل الكرسى الذى كنت أجلس عليه بعيداً فى نفس الوقت الذى همس لى فيه بكلمات ما فى أذنى لم أتبينها بسبب صوت ارتطام وجدتنى أنطلق خلف "قوماهيقو" الذى كان يندفع بكل سرعة مزيحاً كل شئ فى طريقه وهو يتجه نحو باب المطعم. كانت كل الأحداث التى مرت سريعاً قد تجاوزت بكثير كل ما تخيلته ، وكان الأمر مفاجئاً لدرجة إنه كان يبدو لى من بدايته إلى نهايته وكأنه حلم عابر وليست حقيقة واقعة . ولكن ما أدهشنى أكثر من هذا هو أننى اكتشفت بعد فترة من العدو هرباً فى الطرقات الجانبية المزدحمة أننى كنت أعدو وحدى

وإننى فقدت أثر "فوجى إى قوما هيقو" دون أن أشعر !! لقد توقفت أنهج بشدة من كثرة العدو ومن فرط رعبى وخوفى حين وجدت نفسى وحدى ... أضف إلى ذلك إثارة المغامرة نفسها؟

وبينما كنت أرغب فى البحث عن "قوما هيقو" كنت فى نفس الوقت أشعر بالرغبة بالاستمرار فى العدو والهرب، وفى النهاية أسقط فى يدى ولم أدر كيف أتصرف .. فصرت أسير مسرعاً على غير هدى أجوب الشوارع والطرقات .

كان رصيف الشارع الإسمنتى يعكس أشعة الشمس الحارة ، وكان العرق يتصبب من ظهرى وصدرى ومع ذلك فقد كان جسمى نفسه بارداً . كان القلق والخوف قد بدأ يحاصرانى ... وكان الشعور بالخطيئة ينجح فى السيطرة على . ولكنى فى هذه اللحظة لمحت "قوما هيقو" بعيداً هناك وهو يسير فى اتجاهى بالشارع الرئيسى بينما كانت تغطية أشعة الشمس وهو يرتدى قميصه الأزرق الواسع المعتاد .. وفى تلك اللحظة تحولت كل أحاسيسى السابقة إلى إحساس ملئ بروح نشوة البطولة والانتصار ، فرفعت صوتى منادياً "قوماً هيقو" وقائلاً "أوووه" بينما أشعر بالرغبة فى معانقته . ومن فرط انفعالى واستثارتى لتلك المغامرة الجريئة فقد شرعت على الفور فى أن أحكى له ما مر بى منذ أن فقدت أثره وحتى وجدته أخيراً ، ولكنى توقفت فجأة عن الكلام حين وقعت عيناى على لفة كبيرة من الورق كان يمسك بها

بإحدى يديه ... وسألته على الفور "ما هذا" فأجابنى وهو يتململ وبصوت خفيض قائلاً" إنها من خلطة فول الصويا وبعض النواشف و .." حقاً لقد عجبت من أمره وبروده فى تلك اللحظة . نعم بعد أن قمنا بهذه المغامرة المرعبة مباشرة" لم يغفل "فوجى إي" شراء ما نحتاجه لطعام العشاء من أحد محال البقالة . لقد قوض سلوكه هذا حميتى وإثارتى فى لحظة واحدة . فبالنسبة لى فإن ما قمنا به من سلوك كان مادة لمغامرة شيقة .. بينما كان يبدو ذلك بالنسبة له مجرد سلوك عادى كأى سلوك آخر فى حياته اليومية!!

لقد كنت أتخيل أنه بسبب ما اقترفناه من فعل فقد تلقى هؤلاء النذال فى المطعم جزاءاً مجحفاً جعلهم مضغوطين فى العمل أكثر من ذى قبل وافقدهم هيبتهم ، بينما كانوا حتى الآن متنمقين متباهين بأنفسهم أمام الزبائن... وبالتالى حولهم ذلك الحادث إلى الشعور بالحنق والغيظ وإرادة الانتقام مما تسبب لهم فى ذلك .

وفى يوم من الأيام حيث كانت إجازة الصيف قد شارفت على الانتهاء فوجئت حين دخلت غرفة "فوجى إى" بأنه كان مشغولاً بعمل بعض التركيبات عند نافذة الغرفة بينما استحال المكان إلى ورشة صغيرة للعمل تتبعثر بأرضيته شباك السلك والمسامير والمفكات وغيرها من الأدوات . لقد أخبرنى "فوجى إى" بأنه يقوم بتكوين منظار للمراقبة يعده من خلال تركيب عدة مرايات تستخدم فى حلاقة الذقون - وذلك لكى يكشف ما يدور بداخل غرفة

الحمام للشقة التى تقع هناك على زاويـة تبعد بعض الشـىء عن شباك غرفته !

إننى لم أشعر بنفسى إلا وأنـا اصـدر صرخـة دهشـة وإعجاب عالية من فرط ما تفتق عنه ذهنه من فكـرة رهيبـة لـم أكـن أتوقعهـا علـى الإطـلاق . وبينمـا كـان فوجـى إى" مستغرقاً فى عملة سألنى قـائلاً : "ألـم يكـن عنـدك فـى بيتـك مرآة أكبر قليلاً من هذه المرايات " ، فأجبتـه وأنـا فـى غايـة الحماس "بالطبع عندى" ثم انطلقت مسرعاً خارج غرفته لكى أحضـر تلـك المـرآة إليـه وعنـد عودتـى إلـى غرفتـه وجـدت أرضيـة الغرفـة قـد صـارت خاليـة مـن المسـامير والمفكـات ووجدته جالساً مسترخياً فى شكل يوحى بأنه كـان قـد أنتهـى بالفعل من أداء مهمته !

ولذلك فإننى لم أجد بداً من أن أضع تلك المرآة جانبـاً وأقـوم بضبـط المرايـات العاكسـة التـى كـان قـد انتهـى مـن وضعهـا .

وهنا قال "فوجى إى" "لا تتعب فمهما فعلت الآن فلقـد صـارت الدنيـا ظلامـاً ولـن نسـتطيع الليلـة رؤيـة شـئ" ... وكانت نبرته مليئة بالبرود والاستخفاف . ولكن ذلك جعلنـى على العكس أشعر بالحرقة ... فقلـت" ولـو ... فلأقـم وحـدى بإكمـال المهمـة وأثبـت لـه قدرتـى علـى أن أفعـل شـيئاً" ... واستمررت فى عملى صامتاً.

ولكن مع سرعة الشمس فى الغروب وازدياد الظـلام شيئاً فشيئاً . ضعف الانعكاس بالتالى من المرايات . وصـار

ذلك الحمام صعب الرؤية مع إضاءته الضعيفة ، ولم نصر نميز شيئاً من ذلك الحمام سوى إنه يوجد شخص ما يتحرك داخله . ومع عنادى وإصرارى استمررت فى عملى أحاول تثبيت وضع المرايا وهنا استوقفنى صوت "فوجى إى" وهو يستفزنى قائلاً بينما كان يضطجع على الأرض "هل تريد التلصص إلى هذه الدرجة" فرددت عليه قائلاً "بل إننى أريد أنا أن أسألك نفسى السؤال "ولكن فوجى إى" ضحك بصوت عال مقهقهاً وهو يقول "أنا !! "ولكنى مع ذلك استمررت فى تضييق الخناق عليه ، فأجابنى قائلاً ، "حتى يومين أو ثلاثة أيام مضت كان الحمام المواجه مباشرة لنافذتى مكشوفاً تماماً لى ولكن نافذته للأسف قد أغلقت بالضبة والمفتاح" فقلت وأنا اشتعل غيظاً : "ولماذا لم تخبرنى من قبل بهذا الأمر"؟ ففوجئت هنا بـ"فوجى إى" يضع ساقاً على ساق ناحية وجهى وهو مازال مضطجعاً هناك على الأرض ويقول لى وهو يضحك ضحكته الخافتة المستقرة تلك" "للأسف لم اكن أستطيع أن أخبرك بهذا الأمر وخاصة "لشخص مثلك" .

وبخاطر سريع أدركت لأول مرة لحظتها بأن "فوجى إى" له تجارب مع النساء ، ومنذ لحظتها أيضاً تغيرت نظرتى تماماً ناحية .. فقد اتسعت أمام عيونى فجأة مساحة كبيرة لم أكن أعرفها من شخصية "قوما هيقو" الذى كنت أتوهم إننى أعرفه تماماً . ولذلك فقد وجدتنى ألتزم الصمت تماماً أنتابنى شعور مفاجئ بأننى ضللت طريقى إلى منزل ما أجهله تماما.

الحق إننى كنت أشغل نفسى بالتفكير فى النساء . كنت دائماً أتخيل نفسى فى حلم مستقبلى أكون بطله .. حيث أجد نفسى باستمرار وبجانبى امرأة ما أخوض معها مغامرات جنسية مختلفة ، وبالرغم من ذلك فإن هذا كله كان ضرباً من الخيال ... ولم أفكر أبداً بهذا الأمر تجاه امرأة معينة أعرفها فى الواقع أى أن المرأة بالنسبة لى كانت مخلوقاً يقبع فقط فى عالم الخيال البعيد تماماً عن واقعى فالعديد من بنات خالتى وعماتى كن لا يدخلن فى عالم خيالى هذا ... كذا كل النساء اللاتى كنت أصادفهن فى الباصات أو القطارات أو فى الطريق لم أكن أتخيلهن بهذه الصورة .. بل كن جميعاً فى عالم بعيد عنى يفصلنى عنه جدار عال شفاف غير مرئى.

هنا وفى هذه اللحظة شعرت بالهوة السحيقة التى تفصلنى عن "فوجى إى" هذا الذى يرقد على الأرض بالقرب منى واستحال "فوجئ إى" كائنا آخر جاء إلى من بلاد المجهول.

بعد عودتى للبيت هذه الليلة لم استطع النوم ، وصرت أفكر دائماً فى ذلك الأمر . لقد أحسست تلك الليلة بإعجاب كبير بـ"قوما هيقو" حيث أننى خضت تجربة كبيرة بسببه لم أخضها من قبل وذلك فى الفترة القصيرة التى تعرفت خلالها به فى إجازة الصيف هذه . ولكن هذه التجربة جعلتنى أراجع نفسى مرة أخرى فى أمور عدة وأنا أغالب النوم تلك الليلة . فإن عدم استطاعتى دخول تلك

المطاعم الصغيرة الفقيرة لم يكن بالتحديد بسبب خوفى من المرض من المأكولات التى كانت تقدم فى تلك المطاعم .. وإنما كان بسبب الجو الكئيب المقبض الذى كان يشيع من تلك الأماكن، كذلك نفس الحال بالنسبة لبيوت البغاء والدعارة .. فلم أكن ما أخشاه بالضبط هو الإصابة بمرض جنسى ما أو بسبب أخلاقيات معينة أكثر منه بسبب أن عالم المرأة ذلك كان عالماً بعيداً كل البعد عن تفكيرى بحيث جعلنى ذلك أتجنب التفكير دائماً فى المخاطرة بالعبور إليه .

وكما تبدو المرأة حين تقع فى الغرام ذات سحر غريب وجاذبية أخاذة ، فقد بدا لى "قوما هيقو" إنساناً ذا قدرات خارقة : لقد صارت كل دقائق حياته الشخصية وتفاصيلها تنعكس فى عينى زاهية متوهجة . وكما يلعب الأطفال الصغار بالبيادق الصغيرة فى ماكينة الأورغول وهى تتحرك مع الموسيقى ... فمن نفس المنطق كنت أشاهد النساء واتخيلهن من خلال "قوما هيقو" ومنذ اليوم التالى كنت أتحايل فى حديثى مع "قوما هيقو" كى أسمع منه مغامراته النسائية ولكن "قوما هيقو" بدهائه وخبثه كان يحول دائماً مجرى الحديث فيوقعنى أكثر وأكثر فى الحيرة والتخبط . ومع ذلك لم تكن لى القدرة على إجباره على كشف ما يخفيه منى ، إلى أن جاء اليوم الذى علمت منه إنه سيعود فى اليوم التالى إلى مدرسته بمدينة "كيوطو". لقد صار "قوما هيقو" يحكى لى عن مغامراته بينما كنا نسير ليلاً فى الطرقات ، وقد كانت المرة الأولى التى اشعر فيها

بوضوح بتبعيتى له . قال "قوما هيقو" إنه ليس شيئاً ذا بال كما تتصور ، ولذلك فمن الأفضل ألا تخوض فيه لأن الأمر سينتهى إن آجلاً أو عاجلاً بالندم والحسرة" . وقد كان يتكلم كما لو كان يسدى نصحاً لى ويعطينى درساً فى الحياة ومع ذلك فقد ذهب إلى أماكن البغاء عدة مرات منذ زيارته لطوكيو – دون أن أشعر أنا بذلك .

ثم جاء الخريف .

بدأ الفصل الدراسى الجديد ، وحين عاد من "هو كايدو" صديقى وزميلى "كوراتا شينغو" فوجئ بما صار عليه حالى من تبدل وتغير . فقد بدا له أسلوبى فى الحديث ولمحاتى ولفتاتى وكذلك محتوى حديثى شيئاً جديداً تماماً لم يعتده فى من قبل . وعلى العكس فقد أحسست بصديقى الحميم وزميلى فى الدراسة هذا وكله مجرد جواد من الجياد. لقد صارت عاداتى القديمة معه فى الاستماع إلى اسطوانات السيمفونيات والهيام بها ... كذلك صارت أحاديثه عن مهاراته فى التنس وفخره بها مجرد تفاهات مملة . لقد كنت استمع إلى حديثه وهو منهمك يحرك رقبته الطويلة فى حماس ونشوة دون تركيز ودون أن تستقر كلمة واحدة من كلماته فى رأسى . وحين لاحظ "كوراتا" ردودى الباردة عليه أخذ يحملق فجأة فى وجهى بينما كان وجهه الطويل النحيل هذا يلتصق بى . توقف "كوراتا" تماماً عن الحديث وهو يهمهم . وبالتالى التزمت أنا أيضاً الصمت . وهنا أحسست فجأة برائحة التبن اليابس تفوح من خلال كم

قميصه الصيفى: كانت تلك الرائحة توحى لى بأنها رائحة الأعذر الذى لم يعرف النساء بعد .. وتذكرت لحظتها أول رائحة شممتها من "فوجى إى" فتلك الرائحة الأخرى لا شك أنها كانت رائحة الذى فقد عذريته وعرف النساء .

إذا كان الأمر كذلك فترى ماذا عن رائحتى ، وإلى أى العالمين تنتمى؟ ، ومنذ اليوم التالى صرت أحمل قدميَّ إلى دار للغانيات يقع على الناحية الأخرى من النهر ، وهى تلك الدار التى قرأت عنها فى إحدى الروايات المنشورة بمجلة ما .

لقد أحسست بأن الدور قد جاء على "كوراتا" لكى تصيبه دهشة مشابهة للدهشة التى تلقيتها من خلال علاقاتى بـ"قوما هيقو" .

لقد بدأت أطبق نفس الكورس الذى جربته مع "فوجى إى" خلال إجازته الصيف بنفس تفاصيله مع "كوراتا" وأنا متعمد أحياناً ... وغير متعمد أحياناً أخرى .. الأكل فى مطعم ما والهرب دون دفع الحساب ... السرقة ... التلصص على الحمامات ... الخ ولكن سلوكى هذا كان يشوبه نوع من الإسراف والمبالغة وكأنه نوع من الانتقام من "قوما هيقو" أو منافسته ، ولذلك لم أكن أشعر بالارتياح ألا لو أجبرت "كوراتا" على أن يصاب بالحيرة فى أمره والاهتزاز فى مفاهيمه وشخصيته.

فمثلاً ... فيما يخص موضوع الأكل والهروب دون دفع الحساب ، فقد كنت أفعل ذلك الأمر مع "كوراتا" دون أن

انبهه من البداية إلى ذلك ، وكنت أفاجئه بأن أسرع بالهرب لكى يضطر إلى أن يعدو خلفى دون أى تفكير .

كانت الحادثة التى شعرت فيها بأننى انتصرت انتصاراً تاماً هى عندما اختطفت ملعقة من أحد المطاعم الكبيرة من شوارع حى "غينزا" وانطلقت أعدو خارج ذلك المطعم . فبعد تلك الحادثة شعرت بالنشوة لأن "كوراتا" أخذه العجب وبالتالى الإعجاب من تصرفى الجرىء هذا . لقد كانت الملعقة التى سرقتها ذلك اليوم ذات تصميم فريد من نوعه ولا تجده إلا فى ذلك المطعم ، والحق أننى سرقتها لأننى أعجبت بها كثيراً ولذلك فقد دفستها فى جيبى ونحن على وشك الخروج من المطعم معتقداً بأن أحداً ما لم يلحظ ذلك ، ولكن ناذل المطعم تعقبنا بعد الخروج من المطعم ونادى على قائلاً : لو سمحت أنى أعتقد إنك أخذت ملعقة معك ... أليس كذلك "ولكنى لم أهتز والتفت إليه متباطئاً وأنا أقول له بإتزان : أيضايقك هذا ... لقد أعجبتنى "ثم أخرجتها من جيبى ورفعتها فى وجهه . وهنا اضطرب الناذل ورفع يده مشوحاً وهو يقول "لا أبداً تفضل" ثم عاد الناذل على أعقابه إلى داخل المطعم يرسم على وجهه ابتسامة كما لو كان قد خرج ليعيد لأحد الزبائن شيئاً نسيه على طاولة الطعام .

وحين نظرت جانبى لم أجد "كوراتا" الذى كان من المفروض أن يكون ملاصقاً لى عند خروجنا من المطعم .. وإذا به هناك على بعد سبعة أمتار منى يقف على جانب

الطريق يحملق فى فاغراً فاه . ثم قال لى وهو يلتقط أنفاسه كمن يدلى بإعتراف ما "يـالك من داهية" وقد كانت كلماته مليئة بالإعجاب لرباطه جأشى وثباتى.

لقد كانت هذه أول مرة أشعر فيها بأننى استطعت مفاجأة "كوراتا" وأن استحوذ على إعجابه دون مجهود كبير.

ولقد أدركت مدى إعجاب "كوراتا" بى فى اليوم التالى حين كرر بنفسه ما فعلته بأحد المطاعم القريبة من مدرستنا! لكن مغامرته هو كانت مبالغة فى حجمها ... حيث استطاع الحصول على سكين وذلك برضاء طاهية المطعم وقبولها ! لقد أخذ تلك السكين وخرج بها دون حتى أن يخفيها داخل جيبه ودون أن يتخلص منها بإلقائه على جانب الطريق ، ليس هناك أدنى شك من أن "كوراتا" قد شعر بنشوة عارمة لا يمكن وصفها من جراء قيامه بتلك المغامرة. ولكن أكثر من هذا وذلك فقد اعتقدت إن الأمر الذى سيدهشه أكثر هو ذهابى إلى ذلك المكان المعهود فى الجهة الأخرى من النهر . ولكننى هنا وجدت نفسى حائراً متخبطاً بين الرغبة فى الإفصاح له على الفور وبين تركه مطلقاً فى شباك الحيرة والشك لفترة ما ، وكنت على العكس كلما أنظر إلى وجهه أشعر بأننى أوقعت نفسى فى ورطة لا أستطيع الخروج منها.

قد أكون وقعت فى براثن الندم والحسرة تماماً كما قال "قوما هيقو" وذلك بعد أن عدت لتوى إلى "كوراتا" قادماً من ناحية الجهة الأخرى من النهر!

ولكن إذ فكرت في الأمر ملياً فستجدني قد ذهبت بأقدامي إلى ذلك "الندم" وتلك الحسرة التي أخبرني "قوما هيقو" بشأنهما . ولكن قد يكون الأمر ليس مجرد شعوري بالندم والحسرة أكثر من كونه شعوراً بالتباهي لدرجة أنني صرت بعدها لفترة يومين أو ثلاثة أنظر إلى أي امرأة أصادفها في الطريق بنظرة سخرية مما جعلني أشعر في النهاية بالغرابة من تصرفاتي!

ولكن ما كنت أتمناه في نفسي لم يكن هذا الشعور بالتحديد . لقد كنت ما أهدف إليه هو جملة من الإطراء ! جملة من الإطراء لا يحس بوقعها على الآخرين .. جملة من الإطراء أحلم بأن أحصل عليه وأحس بها أنا وحدي ، ولكن جملة الإطراء تلك لاشك إنها كانت بالنسبة لي بمثابة نيشان معلق بخلف أذني أو في ظهري ... وهنا عدت وأنا أسلك الكورس الذي علمه لي "فوجي إن" وأنا أشعر بنوع من عدم الرضا وانكسار النفس !! كنت وأنا أجلس بجانب "كوراتا" في مسرح الإستربتيز" بحي "أساكوسا" في الصف الأول أعيد في رأسي نفس الجملة التي قالها لي من قبل "فوجي إي" لكي أقولها لـ "كوراتا" : هل تريد التلصص إلى هذه الدرجة".

ولكني حين أوشكت على نطق تلك الجملة وجدتني فجأة أشعر وكأنما من يريد التلصص بحق هو أنا نفسي أكثر من "كوراتا". لقد عجزت عن التفوه بتلك الكلمات وأنا أتخيل "فوجي إي" لو كان يجلس مكاني وأسأل نفسي عن التصرف

الذى سيقوم به . لقد أخذت فى تلك اللحظات أسترجع شريط الذكريات وأتخيل لفتات وحركات "فوجى إى" ونظراته وأحاول أن استجمع قدراتى لكى أقلد صوته وهو ينطق تلك الجملة . ولكنى هيهات لى أن أستطيع تقليده مهما تفننت وأتقنت!

وفى النهاية شعرت بالقلق والإحباط ووجدتنى أقول فجأة لـ"كوراتا" أنه عرض ممل .. هيا بنا نخرج من هنا".

لاشك أن "كوراتا" قد شعر بالحنق نحوى لأننى كنت فى البداية متحمساً بشدة حين دعوته إلى مشاهدة العرض ... وها أنا أطلب منه الخروج فجأة قبل أن يدخل العرض أهم فقراته ... وكظم غيظه متحاملاً على نفسه دون أن ينطق قائلاً" أريد أن أشاهد المزيد" .... ونظر مغلوباً على أمره لى وأنا أخرج من صالة العرض .. ولكنى أخذت أطيب خاطر "كوراتا" الذى أغضبه تصرفى وجعله حائراً من أمرى ... واستطعت فى النهاية أن أعيد البسمة إلى وجهه المكفهر! .

الخلاصة إننى ظللت أفكر طيلة الأمر فى شأن "فوجى إى" وأنا أجر خلفى "كوراتا" هنا وهناك . ومع استحالة شكل "كوراتا" فى عينى لمجرد كونه جواد من الجياد إلى كونه إنساناً عادياً أحسست شيئاً فشيئاً أننى أقتربت أكثر من "فوجى إى قوما هيقو" . ولذلك فمنذ ذلك الوقت صرت أحرص ألا أنظر لـ"كوراتا" على كونه مجرد جواد مثل بقية الجياد . ولكنى فى بعض الأحيان كان يطرأ لى خاطراً مثل الحلم ، حيث أتخيل "كوراتا" على معرفة

مسبقة بـ"فوجى إى" الذى كان من المفروض أنـه يبتعد عن هذه الأحاديث بمئات الأميـال ويقيم بمدينـة . "كيوطـو" كـان هذا الخيال حقاً يؤرقنى ويشعرنى بالقلق المسـتمر ... وكنـت أسائل قائلاً : إذا صح خاطرى .. فترى ما قيمة كل ما فعلته حتى الآن بـ"كوراتا" ؟

لقد تحقق الكابوس بالفعل!

ففـى صبـاح أحـد الأيـام أيقظتنـى الخادمـة .. وحيــن نزلـت إلـى الـدور السـفلى عنـد بوابــة البيـت فوجئـت بــه "وكوراتا" يقفان هناك جنباً إلى جنب !

لقد تصـادف أن ركب كلاهما معاً فى نفـس القطـار ، وقد قال لى "فوجى إى" الذى كان يرتدى معطفاً فوق قميصه دون أن يحمـل أى أمتعـة فـى يديـه "لقـد جئـت لتـوى .. فلـم أتحمـل ملـل الإقامـة بــ"كيوطــو" ووجدتنــى أركـب القطـار لأحضر إلى هنا" .

ولكنـى - وللحـق أحسسـت - أن تلـك المفاجـأة علـى العكس لم تسبب لى ضجراً وضيقـاً بقـدر مـا جعلتنـى أشـعر بأنتعـاش ونشـوة لـم أتوقعهـا ، ولـم يلبـث أن صـــار شـــعوراً بالسرور وصرنا نشعر ثلاثتنا وكأننا مجموعة من الأصدقـاء على معرفة ببعضنا البعض منذ زمن طويل ! حقـاً لقد كـان أمراً عجيباً ، فـإن "كوراتـا" الـذى كـان يلـتزم الصمـت أمـام شخص يتعرف عليه للمـرة الأولـى ، وجدتـه يتصـرف أمـام "فوجـى إى" وكأنـه يعـرف منـذ زمـن ، لقـد صـار "كوراتـــا" صورة أخرى من "فوجى إى" الذى يقبع بداخلـى ... وصـار

صديقاً حميماً له :

لقد كان حديثنا ثلاثتنا معاً ضاحكاً مليئاً بالصبور والسعادة ، ولكن ظهور "فوجى إى" بلحمه وشحمه أمام "كوراتا" جعله ينظر إلى وكأننى مجرد ظل صغير خلف "فوجى إى" ولذلك فلقد صار على عبء ثقيل أن أبذل قصارى جهدى لاظل أحتفظ بصورتى وهيبتى قوية" داخل نفس "كوراتا" فى ذات الوقت الذى كنت فيه أحاول النفوذ مرة أخرى إلى داخل "فوجى إى" وكان على أن أجتهد فى أخذ دفة الحديث وإدارة العديد من مواد السمر والفكاهة فى نفس الوقت الذى أحافظ فيه على التوازن فى العلاقة بيننا حتى لا يفقد "فوجى إى" صداقته بنا نحن الاثنين.

وفى يوم من الأيام فجأة وجدتنى أشعر برغبة فى أن أؤكد الإحساس داخل "كوراتا" بتفوقى عليه وإزاحته من مجال المنافسة بيننا نحن الثلاثة ، فاقترحت فجأة "أن نذهب ثلاثتنا إلى ذلك المكان المعهود هنالك عند الجهة الأخرى من النهر " ولكن خطتى تلك التى كان هدفها هز كيان "كوراتا" باءت أخيراً بالفشل فإن "كوراتا" الذى كنت أتوقع أنه سيفاجأ ويشحب وجهه ويضيع لونه تماماً ... وجدته يوافق على الفور بدون أى تردد .

وعندما راجعت نفسى ... اكتشفت إنه ما كان لى أن أبادر بطرح ذلك الاقتراح الغبى ! لقد كان "كوراتا" يشابهني بمن استطاع القفز والهرب من داخل غرفة أضرمت فيها النار بفضل حلاوة الروح التى تجعل المرء تدب فى أوصاله

قوة خارقة لا يتخيل وجودها في حالته العادية . لقد كنت كمن ألقى بورقة غالية فأحرقها دون فائدة في مباراة للمقامرة! فمن لحظتها صار ذهابنا إلى ذلك المكان عديم الطعم بالنسبة لي ، وبعد أن وصلنا إلى دار العاهرات انفصلنا ثلاثتنا كل منا بعيداً عن الآخر في غرفة منفصلة . وبمجرد أن خرجنا من المكان فوجئت بمخبر يبدو من مظهره أنه ينتمي إلى قسم مكافحة الأحداث يقبض علي ، مع أني كنت أجتهد أمام "كوراتا" على الأقل أن أتظاهر بأنني شاب بالغ رابط الجأش!

وبعد مرور ثلاث ساعات من احتجازي في مخفر الشرطة تم إطلاق سراحي ، فخرجت من هناك وأنا أحرص على الاختفاء من عيون الرفيقين ، ولكني فوجئت عندما دخلت إحدى الطرقات الجانبية بمن ينادي علي ، فإذا بي أرى أمامي "كوراتا" "وفوجي إي" ينتظراني هناك ولم تطل فرحتي كثيراً بلم الشمل مع هذين الصديقين ، فلقد علمت منهما ونحن نجلس بجانب بعضنا البعض داخل خيمة منصوبة لمطعم صغير ونحن نتناول الطيور المشوية ... أنهما كانا هناك يتلصصان علي وأنا داخل مخفر الشرطة ويشاهداني وأنا محاط من الخفر وهم يأخذون أقوالي ويعنفونني بينما أضرع إليهم كي لا يضربوني وأعدهم بعدم تكرار ما فعلته وذلك على مدى أكثر من ساعة من الزمن ! كانا يخبراني بذلك بينما كان يبدو منهما القلق علي.

وعاد "فوجي إي" مرة أخرى إلى "كيوطو" ولكنني

بعدها لم أعد قادراً على التعامل مع "كوراتا" على أنه مجـرد جواد من الجياد!

لم يكن "فوجى إى" قد مكث بطوكيو أكثر مـن ليلتيـن ولكنهما مرا على كأنهما حوليـن كـاملين . لقـد كـان "فوجـى إى" خلال هاتين الليلتين كالبطل العداء الذى يطوف بالأماكن عدواً سريعاً على قدميه فينزل بالأماكن التى يحبها ويلهو بها بالسـاعات وهـو يجرنـا خلفـه فقد كنـا نركـب سـوياً سـيارة الأجرة فيتوقف تارة عند حلبة المصارعة "السومووه" وتـارة أخرى عند مقهى معين يفضله ويقضى به وقتاً ممتعاً بينمـا نحن الاثنين نتسابق على تسليته . لم نكن نحتـاج وقتهـا إلـى خمر لكـى ننتشـى ، وكنـا نسـير فـى الشـوارع الخلفيـة لحـى "غينزا" الملـىء بـدور اللهـو علـى هـدى الوهـج الخـافت للقداحات التى كنا نمسكها بأيدينا بينما كان فوجى إى" يسـير دائمـاً وسـطنا نحـن الاثنيـن أنـا و "كوراتـا" لقـد مـرت الأيـام الثلاثة تلك كمولد كبـير صـاخب ، وبعـد انتهـاء ذلـك المولـد وبالرغم من غياب "قوما هيقـو" إلا أن صورتـه التـى تركهـا لدى صارت ذات وجود وحضور أكبر من ذى قبل ، كما أن صورتـى فـى عيـون "كوراتـا" لـم تتعـد أن تكـون ظـلاً باهتـاً لـ"قوما هيقو" .

فى البداية لم أكن أتحمل تلك النظـرة مـن "كوراتـا" ، ولكن مع مرور الأيام كان استرجاعنا أنـا "وكوراتـا" لوجـود تـأثير قومـا هيقـو" القـوى بداخلنـا يمثـل نوعـاً مـن السـرور والابتهاج لقد كنا نسير فى نفس الطرقات التى سرنا بها مع

"قوما هيقو" ودخلنا المقاهى التى ارتدناها ثلاثتنا وصرنا نتبادل تقليد "قوما هيقو" فى حركاته وكلامه وكأنها لعبة التبادل فى القفز على ظهر حصان السيرك! لدرجة إننا قلدنا "قوما هيقو" فى أدق حركاته . حيث كنا نمسك أقداح القهوة بنفس الطريقة التى كان يمسكها بها . إن "قوما هيقو" حين كان يمسك قدح القهوة لا يتناوله قط من أذن القدح ، وإنما كان يقبض على القدح كله براحته ثم يرفعه فى رفق إلى فمه حيث كان يضع طرف القدح على شفته الغليظة ، ثم يرشف القهوة على دفعات قصيرة بينما طرف لسانه يلعق القهوة لعقاً.

لقد كان يبدو "قوما هيقو" بطريقة رشفه تلك وكأنه حقاً يتمتع بتذوق طعم القهوة دون أن يفقد فى أى رشفة من رشفاته تلك المتعة بطعمها .

ودون أن نشعر صرنا نسير كلانا محدبى الظهر، لقد كان "قوما هيقو" على العكس يحرص على أن يفرد ظهره وهو يسير ، ولكنا من كثرة حرصنا على تقليده فى مشيته هذه كنا نتناول تنبيه بعضنا للآخر حين ننسى للحظات تلك الهيئة ونكتشف أننا نسير محدبى الظهر . لقد كنت أنا و"كوراتا" من النوع الذى يدقق فى أنواع الأطعمة التى نتناولها ... فنحب هذا ونكره ذلك ولكننا وجدنا أنفسنا فى نهاية الأمر نتسابق فى تناول الأطعمة التى يفضلها "قوما هيقو" حتى تلك الأطعمة لا تتناسب مع أهوائنا أصلاً ! لقد صارت أمى تتعجب من أمرى حيث أصبحت شرها فى أكل

الطماطم بالرغم من إننا فى فصل الخريف حيث يندر وجودها فى الأسواق . كنت أنا "وكوراتا" نتبادل الشرب والأكل ولكننا على العكس كنا نحرص على تقليد "قوما هيقو" مع إضافة لمسات معينة تعبر عن شخصيتنا نحن الاثنين ، ولم يكن أحدنا يسامح الأخر إذا تعمد تطبيق أذواق "قوما هيقو" – فى ارتداء الأشياء مثلاً حيث كان "قوما هيقو" ينتعل الجوارب ذات رسوم لأسماك مختلفة ، صرنا أنا "وكوراتا" ننتعل جوارب ذات رسوم لطيور أو فراشات .

لقد صارت الرسائل بين طوكيو "وكيوطو "تنهمر مثل السيل ، ولقد صارت تلك الخطابات فى وقت من الأوقات تمثل أهم حدث من أحداث حياتنا اليومية . لقد كان ما نفعله أنا أو "كوراتا" لا يمثل شيئاً من السعادة بقدر سعادتنا من الكتابة عن تلك الأفعال فى الرسائل التى كنا نرسلها إلى "قوما هيقو". لقد كان "قوما هيقو" يقارن بين أية خطابات نرسلها له نحن الاثنين ونتحدث فيها عن حدث بعينه .. فيغطى تقريره لمحتويات تلك الخطابات ويخبرنا فى كل مرة عن فارق المستوى بيننا فى الكتابة حتى صارت نوعاً من المسابقة فى التعبير والإنشاء بينى وبين "كوراتا" وكانت خطابات "قوما هيقو" المرسلة من كيوطو" إلينا معنونة دائماً باسمينا نحن الاثنين ، وتارة كان يرسل خطابات إلى عنوانى وتارة أخرى إلى عنوان "كوراتا" وفى كل مرة كنا نتلو محتويات تلك الخطابات أمام بعضنا البعض ونقارن عدد الأوراق المرسلة ومع مرور الأيام

صار "قوما هيقو" مثلاً أعلى بالنسبة لنا نحن الاثنين . وبالرغم من اشتداد حمى المنافسة بيني وبين "كوراتا" في هذا الأمر ، إلا أن صداقتنا.. مع هذا ازدادت أوصارها شيئاً فشيئاً وكنا في كل موقف معين يحدث لنا ونحن معاً ننظر إلى بعضنا البعض ونقول : لو كان "قوما هيقو" ... وكان هذا يحدث أحياناً يتصادف مثلاً أن يتعطل بنا الباص ونحن نركبه ... أو في أي مواقف ومفارقات أخرى .

لقد كنا نحس بأن "قوماً هيقو" صار مشغولاً لأذنيه وهو في "كيوطو" بكتابة الخطابات إلينا فقد كان يكتب لنا بمعدل خطاب واحد كل يومين ، وكنا نتخيل إنه لم يكن ليكتب بهذه الكثافة لو كانت من يرسل إلينا خليلة له !! لقد كان ماهراً في الكتابة لدرجة أنه كان يكرر ما يقوله مئات المرات . فقد كان هذا في حد ذاته يمثل لنا باستمرار خبراً جديداً ، وكان بذلك ينقل إلينا مشاعره ، ونتفاعل معها ولكن مع مرور الوقت صرت أشعر بأنني لم أعد أتقبل هذا كرجل، مع كثرة الخطابات أحسست في وقت ما بأن وجود "قوما هيقو" في حياتي قد صار يأخذ مكاناً أعلى مني بمراحل ، وصرت أدور بنظري فيما حولي من الأمور والأشياء وأسائل نفسي عما وصلت إليه من حال !! لقد كان أوضح شئ أشعر به في ذلك الوقت هو أنني كما لو كنت أريد دائماً أن أجذب ناحيتي من يسكرونني في نفس الوقت الذي أشعر فيه بالخوف والقلق من ثمالتي التي تصور لي أنني أسير طافياً فوق السحاب .

لقد صار "فوجى إى" فى دوامة صنعها بنفسه دون أن يشعر . لقد بدأ يدرك تماماً مثلى أنا و "كوراتا" أن إحساس الجمال فى حياته ما هو إلا تجربته مع المرأة واكتشافه لعالمها . ومن هناك صار تردده على بيوت الهوى نابعاً من تلك الفكرة . كذلك كانت كتاباته عن تلك الأمور بالذات فى خطاباته حافزاً لى أنا وكوراتا على التسابق لقراءتها . وفى يوم من الأيام حين ذهبت لزيارة "كوراتا" فى بيته الكائن بحى "هاراجوكو" وحين دخلت من باب البيت وجدته هناك يقوم بنقل ذلك الكم من الكؤوس الذى كان مصطفاً على رف بجانب الباب ، وكانت الكؤوس كلها قد حصل عليها والده فى مسابقات رياضة الجوالة ، وقد بادرته متسائلاً ، ماذا حدث؟ ولكنه من فرط انفعاله الواضح لم يرد بأى كلمة بل إنه استمر منهمكاً فى عمله وهو يقذف بتلك الكؤوس قذفاً – وهو منفعل – داخل دولاب اللعب الخاص باخوته! ولقد كدت أنفجر فيه غاضباً وأنا أنظر إلى وجهه العبوس هذا وأنا أسأل نفسى عما يفعله وعما ألم به . ولكننى أحسست بأنه يعانى من أمر ما يشابه ما أعانيه – فلم أضغط عليه أكثر من ذلك بأسئلتى .

لقد كان الحال فى بيتنا نحن الاثنين متشابهاً إلى حد كبير فلقد كان والدى رجلاً عسكرياً موفداً إلى شمال الهند الصينية (حيث المستعمرات اليابانية وقتها) ، وكذلك والد "كوراتا" موفداً إلى بعض أقاليم اليابان للإشراف على سير العمل فى بعض المصانع العسكرية حيث كان يشغل منصباً

كبيراً فى شركة للأشغال العسكرية ، ولذلك فلقد كان كلانا يتصرف بحرية إلى حد كبير فى غياب الوالد . ولكنى فى الفترة الأخيرة صرت أشعر بالضيق والضجر لسبب ما - من الوجود بالبيت.

الحقيقة لم يكن هناك شئ معين قد تغير من أحوال البيت عما سبق ، ولكن ارتباطنا نحن الثلاثة "مع "فوجى إى" فى الفترة الأخيرة وما تبع ذلك من تغير فى التصرفات والغياب الطويل عن المنزل قد أحدث نوعاً من الخلل . لقد كنت لا أشعر بنوع من الحرج ولا الخوف فى العودة إلى البيت فى ساعة متأخرة من الليل ... ولكن هذا الأمر على العكس جعلنى موضعاً للانتقاد من أمى ، وكانت أمى توبخنى من أن أغسل يدى داخل دورة المياه ...

لقد كنت أنا "وكوراتا" قد تعودنا على أمور وتصرفات لا حصر لها ولا عدد نقوم بها تأثراً بـ"فوجى إى" حيث كانت تلك السلوكيات ترجمة لمفهوم وفلسفة "فوجى إى" الجمالية إبان ممارسته للحياة اليومية ، وأعتقد إن هذا كان نتيجة طبيعية لإرتباطنا بـ"فوجى إى" ولذلك لم يكن هناك مناص من أن أتحول إلى إنسان يكسل عن ممارسة الأمور بطريقة منظمة مرتبة داخل البيت لقد كنت مثلاً أحول غرفتى بقدر ما أستطيع إلى مكان منعكش قذر ، لدرجة أننى كنت أتعمد أن أغرق نفسى داخل البيت فى فيضان من الأوراق المتناثرة والأتربة المتراكمة . ولكن المعاناة التى كان يعانيها "كوراتا" بسبب صداقاتنا نحن

الثلاثة تلك كانت تأخذ خطاً آخر ففى حالتى أنا كنت أكتفى بتأمل صور الممثلات التى تنتشر على جدران الغرفة بينما صار يغطيها التراب وأعشاش العنكبوت ، بينما كانت غرفة "كوراتا" مزينة بأدوات التزلج على الجليد ومضارب التنس ونماذج الطائرات الخشبية المكسورة ، كذلك وبعد غياب أبيه صار "كوراتا" ينقل متعلقات أبيه العسكرية وتلك النماذج المعدنية والفضية لقاذفات القنابل التابعة لسلاح البحرية اليابانى - وهى التى كانت موزعة بغرفة الزوار - إلى غرفته أيضاً ويتسلى بالنظر إليها ويتفاخر بها غير أن "كوراتا" صار فجأة "يضج بوجود تلك الأشياء فى غرفته ويسأم من نشرها حوله فى فوضى ... وكأنما صار "كوراتا" مثل شخص ضجر أخيراً من وشم "جانبارجان" الذى رسمه على جميع أنحاء جسمه عن طيب خاطر فى يوم من الأيام ... ولكنه عاد وشعر برغبة جامحة فى إزالتها ومحوها من فوق جلده !!

لقد صارت حالة "كوراتا" النفسية تزداد اكتئاباً شيئاً فشيئاً ، وصار يجد لزاماً عليه أن يعيد نموذج الطائرة الفضى ذلك إلى مكانه الأول فى الخفاء حتى لاتكشفه عيون أصدقائه . لقد ظلت معاناته هذه تتراكم شيئاً فشيئاً حتى تفجر غيظه فى النهاية لكى تمتد يده حتى إلى كؤوس والده تلك المرصوصة بجانب باب البيت.

طالما وصلت الأمور إلى حد أن يشعر الابن بالقنوط والضجر من هوايات أبيه إلى هذه الدرجة فلك أن تتخيل ما

يمكن أن يتطور إليه الحال من غضب ليس له حد . لقد كانت أركان البيت كلها تمتلئ بمتعلقات والد "كوراتا" .

أما أنا فقد صارت تستفزنى أيضاً متعلقات أبى الموجودة هنا وهناك ، وذلك بدءاً من ذلك السيف اليابانى الأصل المعلق فى غرفة الضيوف إلى اللوحات المكتوبة المعلقة والزهور المنسقة على طريقة "الإيكيبانا" ويتطور الأمر أكثر من ذلك ليصل إلى أشياء أخرى مثل الأوراق الملصقة على الحائط وإلى الشقوق بالأعمدة الخشبية للبيت .. صار كل شئ هناك يسبب استفزازاً غريباً من مجرد رؤيته . وحتى وجبات الغذاء ، لم يعد هناك أى صنف من أصناف الأكل يروق لى ، وحتى أصناف الأكل تلك التى كان يحبها "فوجى إى" والتى صارت أمى أحياناً تصنعها إرضاء لى لم تعد هى الأخرى ذات طعم مستساغ ، وصرت أشرع بالقرف حين أشعر فى أكلها!!

على أى حال فقد وصل بنا الأمر أنا و "كوراتا" إلى درجة أننا لم نعد نطيق حتى مجرد التواجد داخل جدران بيوتنا ، وصرنا نقضى معظم وقتنا خارج البيت فى مقاه تشبه الغرز والمخور المتوارية المظلمة . وصرنا نتغلب على قلة حيلتنا فى الإنفاق على الأكل خارج البيت باختراع أكلات جديدة رخيصة مثل البطاطا المشوية المدهونة بالزبد وغيرها ! كانت الأحوال العامة أيضاً فى اليابان فى ذلك الوقت تأخذ مساراً لا يختلف كثيراً عما كانت تعتريه صدورنا نحن من ضيق ورغبة فى التعبير . لقد كانت

المفاهيم والقيم المستحدثة والتي تقوم على أساس من الممارسات التخيلية المختلفة تسبب نوعاً من الأرق والقلق لعامة الشعب ! لقد كانت أحياناً جمهرة من الناس تفاجأ بخراطيم المياه الخاصة بوحدات الإطفاء تصب على رؤوسهم مياهه بينما يقفون خارج دار للسينما فى انتظار الدخول والتمتع برؤية ممثلين سينمائيين معينين وذلك بدعوى إعطاء نوع من إزالة التوتر للجو النفسى العام!!

وكنا أحياناً نشاهد جنود فرق الإرساليات والاتصال اللاسلكى يركضون هنا وهناك فى شوارع المدينة ليس بسبب نقص معسكرات التدريب أكثر مما كان ذلك نوعاً من التدريب على مقاومة المظاهرات ، لقد كان هؤلاء يعيقون حركة المارة بينما كان يبدو عليهم التعب والإعياء بسبب أسلاك النحاس الغليظة تلك التى كانوا يربطونها حول صدورهم!!

كانت هناك مدرسة معينة تتلقى أحياناً تعليمات من القيادة العسكرية ، وفى كل مرة كان يحدث فيها ذلك .. كان يتم تجميع التلاميذ على وجه السرعة فى فناء المدرسة ... وهنا كان يقف ناظر المدرسة يلبس قفازاً باللون الكاكى على المنصة وكأنه تمثال من البرونز فيلقى خطبة عصماء فى جموع التلاميذ قائلاً إن رقصة "القطة" المتبعة فى تلقينكم التدريبات العسكرية تشابه تسيير قطة صغيرة فوق صفيح ساخن فتضطر القطة للقفز وهى تسير فوق ذلك السطح من فرط السخونة فتبدو كما لو كانت ترقص . وهذا فى حد ذاته

نوع من التدريب الذى ستتلقونه" !!

ولكن الأمر كان بالنسبة للتلاميذ نوعاً من الحماقة واللغط ، وكان من الصعب على عقولهم الصغيرة استيعاب ما يصرخ به ذلك الناظر ، وكان الكثير من هؤلاء التلاميذ يحاولون جاهدين كبت ضحكاتهم الساخرة من هذه الخطبة الحمقاء وهم يتهامسون بين بعضهم البعض متسائلين" وهل نحن قطط صغيرة !! ولم يكن أحد منهم - ومن بينهم الناظر نفسه - يعى ماذا يقصد بـ"السطح الساخن" هذا بعد سنوات من هذه الأحداث سقط الكثير من هؤلاء الذين كانوا تلاميذهم جرحى وقتلى ، ولكن الوحيد الذى سقط متأثراً بحروقه كان ذلك الناظر ولا أحد غيره!!

كان قد بدأ زمن يعاقب فيه الذى لا حول له ولا قوة أكثر من أى شخص أخر . كان هناك من الطلبة الذين يتصفون بالجدية والمواظبة على حضور الحصص فى المدرسة من يواجه الأخطار والتنكيل لمجرد تواجده بمحال المقاهى التى لم يكن يوضع فى رفوفها سوى أنواع بريئة من الحلوى ، بينما كنا نرتع نحن - رفاق السوء - فى دور البغاء دون أن يسائلها أحد عما نفعله ! أحياناً كان رجال الشرطة يلقون القبض على بعض الطلبة المغلوبين على أمرهم والذين ليس لهم فى أمور اللهو والعربدة لمجرد وقوفهم أمام ناد من نوادى البلياردو فى عز الظهر ويحتجزونهم فى مخفر الشرطة ، وبعد ساعات يعود هؤلاء الصبية وهم يبكون مثل الأطفال .

لم نكن نستطيع أن نضع تفسيراً لأسباب ما يحدث حولنا فى تلك الأوقات التى كنا نشعر فيها بالملل من تلك الحياة اليومية ... فى تلك الأوقات التى كنا نشعر فيها بأننا قد نسينا شيئاً ما لا نستطيع تذكره ، كنا نشعر فقط بأننا نريد أن نقوم بعمل أهوج ما حين كنا نشعر بذلك الملل الذى كنا نطلق عليه وقتها "حالة الركود".. وهى تلك الحالة التى كانت تنتابنا بين وقت وآخر .

وكانت حالة الركود النفسى هذه تنتابنا بين الحين والآخر ، وكان من الطبيعى أن تزول روح الإثارة من مغامرة ما نقوم بخوضها مرة فلا نعود نشعر بالنشوة من خوضها مرة أخرى ، وإذا خضناها مرة أخرى كنا نشعر بالإحباط .. أو ذلك الشعور نفسه بالركود ! بل إن تلك الحملات البوليسية أحياناً كانت تخرجنا من ذلك الملل والركود ، ولكن تلك الحملات العشوائية أخذت فى الازدياد شيئاً فشيئاً حتى صار رجال الشرطة العسكرية يتولون أخيراً القيام بها حيث كانوا يتصيدون طلبة المدارس . كنا نشعر ونحن نراقب تلك الحملات وكأنما كنا نجلس على مقعد دوار نرقب من فوقه مشهداً مسرحياً فى الهواء الطلق ، ولكن مع ازدياد وتكرار تلك الحملات كنا نشعر بانخفاض روحنا المعنوية وكنا نصاب بالإحباط ! صرت أنا و"كوراتا" فى ذلك الوقت نقلل من ذهابنا إلى المدرسة ، ولكن ذلك على العكس لم يكن يدفعنا إلى الرغبة فى القيام بمغامرات جديدة بل كانت تمر علينا أيام ثقيلة كئيبة بينما أجلس أنا و"كوراتا"

ننظر إلى بعضنا البعض ونحن داخل بعض **المقاهى** المزدحمة ضعيفة الإضاءة بقاع المدينة وكان **قلوبنا أكلها** الصدأ !! وحين كنت أنظر إلى "كوراتا" الذى كان **ينكفئ** مقوساً ظهره كرجل عجوز يتدفأ أمام قصعة مملوءة **بالفحم** المشتعل تفوح منه رائحة عفنة لزجة ، كنت أحس إحساساً عفوياً "بـ "قوما هيقو" وأتذكره وعلى أغلب الظن فقد كانت هيئتى تستحيل إلى نفس الصورة فى عيون "كوراتا" ، كنا ساعتها نحاول جاهدين أن نضع خططاً لمغامرة ما جديدة بينما نكاد نوقن فى قلوبنا إن ذلك الحديث لا يتعدى أن يكون كلاماً فى الهواء ، وبالفعل لا نلبث فى النهاية أن نقطع الكلام فى ذلك الموضوع . وكان يقطع ذلك الكلام أحياناً عبور مجموعة من الجنود وهم يركضون بحثاً عن زملاء لهم هربوا من ثكناتهم ... بينما كانوا يشهرون فى أيديهم البنادق التى تلمع فى أطرافها نصال السونكى ... حيث كنا نراقبهم من خلف نافذة المقهى المعتم!

صارت خطابات "قوما هيقو" المرسلة من "كيوطو" تحمل لهجة عنيفة عن ذى قبل لم نكن نعرف إن ذلك الأسلوب يقصد منه بعث الحماس فى نفسنا حيث كنا قد غرقنا فى جنون المنافسة معاً ، وكان "قوما هيقو" على الطرف الآخر متحمساً رافضاً للخضوع للإحباط . كان أسلوبه فى الكتابة لا يفقد رونقه المعتاد وبلاغته المعهودة ورغم ذلك فقد كانت شطحاته الفكرية ورعونته فى الحكم على الأشياء من منظوره الواثق إلى أبعد الحدود فى نفسه

تجعلنا نشكك فيما يكتبه . حتى جاء يوم من أقسى أيام الشتاء برودة حيث وصلتنا رسالة منه كتب فيها قطعة شعر من تأليفه قال فيها : "ها قد جاء الربيع حيث أعود إلى الوطن .. تماماً بنفس شعور الوحشة الذى جئت به من هناك !!

فى تلك الرسالة أخبرنا "قوما هيقو" بأنه ينوى العودة إلى الوطن – كوريا – وأن أمر الإيقاف عن الدراسة قد وصله .. وبأنه قد أصيب بمرض عضال!

كان الخطاب قد وصل إلى منزل "كوراتا" ، فجاء به "كوراتا" يعدو لاهثاً مثل الفرس الذى أصيب بفيروس معد وزارنى فى بيتى بحى "سيتاغايا" .

حين قرأت الخطاب ، أسقط فى يدى وشعرت بالدهشة والحيرة لدرجة أننى عجزت عن التفكير فى أى شئ. كنت أشعر بالرعب من إكمال قراءة الرسالة ، ولا اشك إن "كوراتا أيضاً" كان يشعر بنفس شعورى بعدها خرجت أنا و"كوراتا" هائمين على وجهينا نسير فى الشوارع. كنا ونحن فى تلك الحالة من الضياع نتوقف أحياناً... ثم نعاود المسير مسرعين ، وأحياناً أخرى كنا نتبادل الحديث بشكل عصبى وصوت عال ولكن فى أمور لم يكن لها معنى محدد وأحسست ساعتها أن كل ما حدث خلال تلك الستة أشهر الفائته كان شريطاً من الأحلام والأوهام ، ولكن الحقيقة أن كل تلك الأحداث التى تخيلتها أحلاماً ... كانت تتوقف عليها حياتى الواقعة كلها.

ولم نشعر كلانا إلا ونحن على العكس – نقفز قفزاً

بسبب نشوة ما !! واعتقدت فى نفسى ساعتها بأن ذلك الإنتشاء قد اعترانا من فرط الانزعاج والقلق . كان ينازعلى بداخلى شعور آخر كنت أتهرب منه - حيث وجدتنى أشعر بالغبطة والسرور بسبب تعاسة صديق !! لقد فطنت إلى مدى المشاعر التى كانت تكمن بداخلى ، ولذلك فقد صحت فى سخرية نابعة من حقيقة شعورى - بينما كنت فى نفس الوقت أوهم نفسى بأننى أقصد عكسها - قائلاً "كوراتا" ماذا إنه يوم سعيد يا صاحبى ... تعال لأعزمك على تناول شئ ما بهذه المناسبة" . وكأنما كان "كوراتا" ينتظر منى هذه الجملة لكى يطلق العنان لما يكبحه داخل صدره ، فرد على قائلاً" نعم ... نعم فلنقم بمغامرة كبرى من مغامرات "فوجى إى"!

ذلك اليوم اخترنا بقدر الإمكان مطعماً كبيراً فاخراً . كنت فى البداية أحسب إننى لن أشغل بالى بالتفكير فى أى أمر منغص لأن كل حواسى ستكون مركزة فى تناول الطعام نفسه حيث يكبل المرء هنا - من فخامة المكان ومهابته - بالالتزام بالمسكة الصحيحة للشوكة والسكين ، ويحرص كل الحرص على إلا تقفز من الطبق قطعة اللحم وهو يقطعها ، ويتحاشى أن تنزلق وتفلت خيوط المكرونة الإسباجتى من بين أسنان الشوكة . ولكن على العكس فقد وجدت أن هذه الطريقة المبالغة فى رسميتها فى الأكل قد قضت على ما كنت أرجوه حين دخلت المطعم وجعلتنى أشعر بالزهق والضيق . ولكى أكسر جو التوتر والسكون والمعاناة النفسية

التى أعانيها وجدتنى أقول متصنعاً البشاشة "على أى حال دعنا ندق برقية للتهنئة " وهنا أجاب "كوراتا" قائلاً "موافق" .

ولكننا بعد أن خرجنا من ذلك المطعم الكبير المبهر الأضواء ، وجدنا أقدامنا تسوقنا إلى ذلك المقهى الكئيب ضعيف الإضاءة الذى نذهب إليه دائماً ، وجلسنا هناك لانفعل شيئاً معيناً سوى انتظار موعد إغلاق المحل ، وحتى افتراقنا عن بعضنا البعض تلك الليلة ، لم يفتح أحدنا سيرة برقية التهنئة تلك مرة أخرى .

إن ما كان يقلقنى لم يكن أمر "فوجى إى" على وجه التحديد ، بل كان ما يقلقنى حقاً هو شعور "كوراتا" الحقيقى الذى كنت أعانى من عدم فهمه . لقد كان واضحاً لى تماماً بأننى لو استمررنا على هذا النمط فى الحياة فسوف نجد أنفسنا – ولو طال الوقت – نتجرع من نفس الكأس التى تجرعها "فوجى إى" ونسلك نفس مصيره ، وهو ذلك المصير الذى أكره إن اذوقه ! ولو سألتمونى "لماذا تكرهه لما وجدت إجابة واضحة وكل ما أستطيع أن أقوله إننى كنت أشعر بقلق ما من المستقبل لا أعرف كنهه .. قلق يتحول داخلى حتى يستحيل رعباً جامحاً وحين كنت أشعر بتلك الهواجس ... كنت أحس بالرغبة فى أن أفضى إلى شخص ما بما يعترى داخلى ... مجرد الرغبة فى الإفصاح دون أن أفكر فيما لو كان ذلك الإفصاح سيعنى التنكر أو عدم التنكر لصديقى "فوجى إى" بالطبع حتى لو كان الشعور بالتفكير له هو الشعور الحقيقى الذى أخفيه داخل نفسى .

لقد كان "كوراتا" كئيباً قاتماً أكثر منى وكنت كلما أتنافس مع "كوراتا" على أمر من الأمور كنت أستغل هذه النقطة فى شخصيته . ولكنى على العكس ففى تلك الليلة كانت كآبه "كوراتا" بالنسبة لى عبئاً كبيراً يصعب على تحمله وناهيك عما إذا كنت أنا الذى حفر تلك الحفرة أو كان "كوراتا" هو الذى قام بحفرها . إلا أن الحقيقة هو أن تلك الحفرة العميقة موجودة .. ولم يكن لى أن أستطيع الفكاك مما أنا فيه بدون القفز من فوقها .

لم يكن أمامى إلا أن أزرع القلق فى قلب "كوراتا" بقدر الإمكان . فمنذ اليوم التالى لتلك الليلة كنت فى الوقت الذى أمجد فيه سلوكيات "كوراتا فوجى إى" فى الحياة اليومية وأعدد فيه من مزايا شخصيته أمام "كوراتا" ، كنت بين الفينة والأخرى أنوه إلى المأساة التى يمكن أن تنتظر "فوجى إى" فى حياته فيما بعد ، وعليها فلو كان "كوراتا" ألمح لى ساعتها برغبته فى الفكاك من هذه الحياة اليومية وأسلوبها لكنت قد تبعته على الفور! فى النهاية نجحت خطتى!! لم تكن كلماتى ذات تأثير سحرى على "كوراتا" بقدر ما كان هو فى الحقيقة ينتظر – فى قرارة نفسه – منى التفوه بتلك الكلمات ، فإننا لم نلبث أن وجدنا أنفسنا نتبادل المشاورة حول استعارة كراسات المحاضرات من الزملاء فى الفصل مع اقتراب موسم الامتحانات واشتعال جو الرهبة من اقترابه.

لقد كانت كلمات الرفاق فى الفصل التى كنا نسخر منها من قبل لها وقع السحر علينا فقد كان الرفاق دائماً

يقولون لنا "يكثر عدد مرات الرسوب حين التقدم للسنة الثانية أكثر منه فى أى سنة أخرى "أو" إذا رسب المرء فى أول سنة سيعتاد على ذلك ولن يستطيع عبورها إلى الأبد".

وفى يوم وجدتنى أقول لـ كوراتا مازحاً "دعنا نذهب إلى قبر المدرس "ف"" فقد كان هناك تقليد يقضى بذهاب جميع الطلبة إلى قبر ذلك المدرس الذى أنشأ المدرسة وذلك فى يوم ذكرى وفاته ، ولقد شاعت شائعة تفيد بأن من يتخلف عن زيارة ذلك القبر فى ذلك اليوم سيجد إسمه فى قائمة الراسبين! وبالرغم من ذلك كنت أنا وكوراتا نتخلف عن الذهاب .

لقد وجدت "كوراتا" يجيبنى فى حماس قائلاً" نعم .. فلنذهب"

كان اليوم مشمساً دافئاً وكانت التمشية بين القبور تعطينا إحساساً بالراحة والانتعاش ، ولكى أجعل الأمر تسلية ومتعة لدى "كوراتا" صرت أمرح وأمزح معه كى أشعره بأننى كما لو كنت فى نزهة خلوية سعيدة. كنت أشعر ساعتها وكأننى طبيب نفسى يقوم بعلاج حالة مستعصية أمامه . ومن فرط شعورى بالانتشاء من تملكى لزمام تلك المبادرة قررت أن أفاجئ اليوم التالى "كوراتا" بأن اسبقه فى حضور أول محاضرة فى الصباح وذلك على غير عادتى .

ولكن "كوراتا" لم يحضر تلك المحاضرة! وحتى بعد أن حل موعد المحاضرة الثانية لم يظهر "لـ كوراتا" أى أثر،

وهنا بدأ القلق يأخذ طريقة إلى قلبى.

أحسست للحظة بهاجس مفاده أن يكون "كوراتا" الآن موجوداً مع "فوجى إى". كنت بينما استمع فى ملل إلى تلك المحاضرة التعسة وأنا أجلس على أحد مقاعد الفصل ذات القوائم الحديدية أشعر بالندم للاستيقاظ مبكراً وتجشؤ عناء الحضور إلى الفصل خصيصاً لحضور تلك المحاضرة ، ولكنى كنت أمنى نفسى بظهور "كوراتا" مع بداية المحاضرة التالية ، ولذلك فقد تحاملت على نفسى وبقيت بالفصل ولكن هاهى محاضرة بعد الظهر تبدأ ولا تبدو أى بادرة لظهوره ! إننى لم أشعر فى يوم ما برغبتى فى انتظار "كوراتا" قدر ما شعرت به ذلك اليوم ولكن ترى هل بقيت فى الفصل فقط من أجل انتظار "كوراتا" لقد كان من الأحرى بى ، إذا كنت أريد مقابلته مثلاً - أن أذهب من البداية إلى ذلك المقهى الذى اعتدنا ارتياده أو أن أذهب إلى بيته مباشرة.

أم ترى أن السبب الحقيقى لتشبثى فى البقاء هنا كان نابعاً من رغبتى فى أن أتقمص دور الطبيب الذى يتلذذ بمعالجة مريضه؟ وعندما عدت إلى بيتى .. فوجئت برسالة تركها لى "فوجى إى" بنفسه هناك "جئت لأقابلك قبل أن أعود إلى كوريا . أنا الآن أقيم بأحد الفنادق الرخيصة بمنطقة "أساكوسا باشى"."

كان هذا هو محتوى الرسالة .

لقد أحسست هنا بقليل من الرضا والثقة بالنفس لأن حدسى كان صحيحاً .. ولكنى على الأطلاق لم أندهش لذلك.

لقد ترك "فوجى إى" فى رسالته – كعهدى به – خريطة كروكية بخط يده للفندق الرخيص الذى ينزل به ، فمررت ببصرى على ذلك الرسم ببرود ساخر ! وهنا وجدت نفسى لا أعبأ بشأن "كوراتا" ووجدتنى أقول فى نفسى "ياله من مسكين".

ولكن هيهات لى أن أنزلق إلى الحسرة عليه أو التعاطف معه .. فقد يجرنى تلك إلى عواقب وخيمة حيث أسلك نفسى مصيره . لقد غالبنى ساعتها شعور على العكس بأن صديقى قد خذلنى بعد أن ظللت مربوطاً بسببه طول اليوم داخل المدرسة . وبسبب هذا الموقف الصغير الذى راعيت فيه صداقتنا أحسست بنوع من الرضا من نفسى بسبب هذه اللفته التى تتسم بالشهامة ! لقد كان ذلك التغير فى مشاعرى وذلك الميل منى إلى محاولة الوصول إلى صورة الفتى الطيب الجاد لم يكن بالأمر السهل على الإطلاق والدليل على ذلك أننى فى صباح اليوم التالى بدأت أشعر بالتخبط مرة أخرى . أى أن رغبتى فى الكسل قد عادت إلى الظهور مثل سابق عهدها . وحين ركبت القطار فى الصباح فى وقت ضغط الزحام بالصباح ووصلت إلى المحطة التى أغير دائماً القطار فيها لكى أتوجه إلى المدرسة وجدتنى أجلس على أحد المقاعد برصيف المحطة ولا أركب أول قطار مر بى وحين شرعت فى إشعال سيجارة والبدء فى تدخينها شعرت ببرودة ذلك المقعد ذى القوائم المعدنية وبرودة أرضية الفصل الإسمنتية تهاجمنى هجوماً شرساً

شعرت بـه بوضـوح ، فوجدتنـى أكسـل عـن ركـوب القطـار الذى تلا القطار السابق . لقد وصلت نسبة غيابى عن الفصل بهذا إلى أسوأ حالاتها وصرت لهذا السبب على قيد خطـوة أو أدنى من الرسوب فى هذا العام الدراسـى . لقد كـان هـذا اليوم الدراسى وحتمية حضورى إياه مسـألة قدر ومصـير ، ولكنى على العكس أحسست بشعور منعش وانتشاء غريـب لأننـى رغـم يقينـى مـن أهميـة ذلـك اليـوم الدراسـى إلا أننـى تجاهلتـه متعمـداً . وبعـد أن شـيعت بشـاخصى آخـر قطـار مزدحم يحمل آخر أمل لى فى اللحاق باليوم المدرسى هـذا ، وجدتنى أقف فجأة وأترك مقعدى على رصيف المحطة وأنـا أتمتم فى نفسى قائلاً . "لا تلق بالا فلن يغير اليوم من الأمـر شيئاً"!!

صرت أتخبط ولا أدرى كنها لقلبى هذا الذى يخـون إرادتى . فمثل الإنسان الذى يعتاد الكذب فيجد نفسـه يصـدق ما يقوله وينسى أنه يكذب .. صرت ها أنا لا أجد تفسيراً لما أفعله! لا بل إنى حتى لم أحاول أن اجتهد لإيجاد تفسير لهـذا بعـد أن أقلعـت عـن الذهـاب إلـى المدرسـة ، وجـدت أقدامـى تقودني إلى المقهى المعتاد حين دخلـت المقهـى فـى الصبـاح حيث لم يكن هناك أحد من الرواد ، كانت رائحة دورة المياه تزكم الأنوف . كانت رأسى تعانى مـن دوخـة كبـيرة بسـبب قلة النوم وأنا أتوجـه إلـى أقصـى ركـن فـى المقهـى وكـأننى أختبئ به ... فـاتخذت لنفسـى مقعـداً هنـاك ، وأخـذت أجـول بعينى الزائغتيـن فـى السـتائر القـذرة والبقـع الموجـودة علـى

ورق الحائط وكأننى أمسحها بعيونى مسحاً . كنت أجلس هناك أقتل الوقت دون أن أفعل شيئاً محدداً . كنت أسائل نفسى عما أنا فيه . قد أكون ما فيه من حال الآن هو على أكثر تقدير هو حالة نفسية ما كما لو كان كلب يعيش بداخل صدرى يلاحق فى وفاء وإخلاص صاحبه ومروضه الذى يهرب منه هنا وهناك وعلى الرغم من ذلك يلح إلحاحاً فى ملاحقته ، بنفسية الكلب هذه الذى يعيش بداخلى .. ها أنا أصر على الحفاظ على نفس النمط من السلوك حتى هذا اليوم بدءاً منذ أسبوع مضى ، ولكنى على هدوئى وعقلانيتى هذه التى اتسم بها لم أكن أنتبه قط لى وجود ذلك الشعور بداخلى .

وحين جاء الظهر تنبهت فجأة إلى أن موعد الغذاء قد حل ، فوقفت فى حيرة وأخذت أفكر فى تناول الطعام بالرغم من أننى لم أكن اشعر بالرغبة فى الأكل . وهنا .. وعلى حين فجأة تبادر إلى أسماعى صوت مألوف يصدر من خارج المقهى شيئاً فشيئاً . نعم لقد كان صاحبا الصوتين هنا "فوجى إى" و "كوراتا" لقد انتفضت واقفاً كمن لدغه عقرب ... ووجدت نفسى أنطلق خارجاً من باب المطبخ الجانبى للمقهى . كان أول ما شعرت به حين انتفضت واقفاً هو شعور بالرعب لا أستطيع وصفه ، ووجدت بعدها شعوراً آخر بالجبن والخزى يعترينى بشدة ويبعث الضجر فى نفسى. وبينما كنت حائراً متردداً تنازعنى الرغبة فى الاستمرار فى الهرب أو العودة إليهما ... وجدت أقدامى

تسوقنى بعيداً شيئاً فشيئاً عن المكان . "ترى ماذا **يجعلنى** مرعوباً هكذا" لقد استطعت رؤية قلبى الذى كنت أدفنه داخلى دائماً فى لحظة وذلك وأنا أحاول إصغاء أذنى لصوتهما ... وكأنما هبت الريح فجأة وأنا أسير مسرعاً فأنفردت ياقة معطفى فجأة إلى أعلى مشرعة جناحها على مصراعيهما إننى إذا عدت إدراجى الآن فسوف الحق بهما ، ولكن قد يكون الاثنان فى نفس هذه اللحظة يلوكان سيرتى بألسنتهم .. بعد أن فطنا لقلبى هذا الذى اكتشفته منذ لحظات وكشفا سره . وحينما روادتنى تلك الهواجس وجدت ذلك الإحساس بالرعب على العكس - يزول عنى شيئاً فشيئاً - صرت أخرج من شارع إلى حارة إلى شارع آخر تقودنى أقدامى على غير هدى بينما تتعثر أقدامى فى الألواح الخشبية المكسورة المبعثرة فى الأرض وتخوض فى تجمعات بقايا مياه الغسيل القذرة .. فى نفس الوقت الذى أحاول فيه جاهداً فض بقايا أصداء صوتيهما عن أذنى ...

وحينما وصلت إلى مسافة معينة بعيدة تبعد كثيراً عن المقهى ويستحيل معها العودة على الأعقاب مرة أخرى - وجدتنى فجأة أتوقف وأنظر خلفى ووجدتنى أحادث نفسى قائلاً إنه لو لم يكونا قد تحدثا بذلك الصوت ولم أنتبه إليهما لكنت الآن مازلت أجلس فى نفس مقعدى هناك ولكنا بلاشك قد عدنا إلى ربط أواصر علاقاتنا نحن الثلاثة ! روادنى ذلك الإحساس لأننى كنت أتوقع حدوث ذلك الأمر دون شعور

منى وذلك فى ركن عميق فى غياهب صدرى.

ولكن خيانتى وتنكرى لم تكن قد أخذت شكلها النهائى المكتمل بعد .

كان ذلك بعد أن عدت إلى بيتى ليلاً ، لأننى لو كنت مازلت هائماً على وجهى فى الشوارع على هذه الحال لكنت قد قابلتهما رأيت امرأة هناك برداء أسود تقف أمام بوابة البيت . لقد كانت أم "كوراتا" خرجت أمى إلى بوابة البيت لاستقبالها وبعد لحظات وجدت أمى تنادينى لقد كان القلق قد اعترى أم "كوراتا" بسبب غيبته ليلتين كاملتين عن البيت وما زاد من قلقها وانزعاجها هو اختفاء دفتر توفير البريد من درج دولابها وكذلك أختفاء حقيبتين كبيرتين للسفر وكذلك قبعة "كوراتا" ودبوساً من الجواهر لربطة عنق ومبلغاً نقدياً كبيراً من المال . لقد قالت لى أم "كوراتا" هى منفعلة أنها قد علمت من خلال تلك المذكرات الخاصة بـ "كوراتا" ومن خلال تلك الخطابات الموجودة فى درج مكتبه بما يدور من أمور حالياً ، فوجدتنى أرد عليها متظاهراً بالحسرة والدهشة قائلاً: "ترى إلى أين ذهب "كوراتا" ؟ ولكن كلماتى هذه لم تخل على المرأة "كوراتا" فأحسست من خلالها بتظاهر بالغباء وعدم المعرفة فقد كانت المرأة تشك فى سلوكى من أعماقها ... فوجدتها تبادرنى قائلة فى حدة "أخبرنى بصراحة ودون مواربة أين تخفى ابنى "شينغو"" ولم يكن أمامى لحظتها بد من أن أجيبها بأننى لا أعرف مكانه . فاسترسلت المرأة بلهجة حادة هجومية تصبغها لكنة جزيرة "كيوشو" تتهمنى

بالمسئولية عما حدث لأبنها لقد كان الزبد الأبيض من لعابها ينساب على جانبى شفتيها الشاحبتين وهى ترغى وتزبد غاضبة ، ولكن هجوم المرأة على العكس لم يزدنى سوى قوة ورباطة جأش ، فنظرت إلى أمى ونظرت أمى هى الأخرى بدورها إلى .

ولقد استشففت من وجه أمى الممتلئ فرحة النصر والفخر بأبنها الذى قارنته "بكوراتا" أبن تلك المرأة التى كانت تقف هناك تنتفض غضباً بوجهها النحيل الملىء بالظلال وهنا أحسست بأنى أستطيع أن انسحب من المكان بإطمئنان وهدوء ، وهنا وجدتنى أقول لها : حسناً سوف أخرج الآن للبحث عنه ومن باب الاحتياط أغلقت درج مكتبى بالمفتاح قبل أن أنطلق خارج البيت.

كان الظلام يحل بالشارع . وكنت بالطبع لا أنوى البحث عن "كوراتا" أو عن "فوجى إى" كما وعدت المرأة . لقد وجدتنى أسير فى شارع آخر غير الشارع الذى يؤدى إلى ذلك المقهى المعهود ، ولم تكن فى رأسى أية فكرةِ ما عن المكان الذى أقصده وأنا أسير على غير هدى .

هبت على ريح رطبة دافئة من السماء الحالكة التى أختفت منها النجوم ووجدتنى بحركة عفوية أوقف سيارة أجرة وأقفز داخلها ثم أطلب من سائقها أن يذهب بى عبر النهر إلى الناحية الأخرى ! وتمتمت فى نفسى قائلاً "قد التقى بهما بالمصادفة هناك" ولكنى فى هذه اللحظة لم أكن أشعر بالرغبة على الإطلاق فى مقابلتهما.

ومع تحرك السيارة وزيادة سرعتها وجدتنى أشعر بإنتشاء غريب وبينما زحزحت نفسى لكى أجلس ملاصقاً لشباك السيارة ... وجدتنى أشخص بنظرى شارداً فى أضواء البيوت وأعمدة الإنارة التى كانت تختفى إلى الخلف مسرعة مع انطلاق السيارة فى نفس الوقت الذى أحسست فيه بعواطفى التى أحبت يوماً هذين الصديقين تنوح محشرجة الصوت من أعماق غياهب قلبى.

ولكن مع زيادة سرعة السيارة شيئاً فشيئاً وجدت نشوة الإنطلاق والتحليق تحتلان كيانى كله حينما كنا نعبر كل جسر من الجسور ، كانت الدعامات العرضية المثبتة تحت بطن الجسر تنعكس ظلالها على ضوء كشافات السيارة الأمامية ثم تظهر كبيرة ولا تلبث أن تختفى مسرعة متتالية وهى تئن تحت جسم السيارة المندفعة .

ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أشب بجسمى إلى الأمام وأنا أجلس على الأريكة الخلفية وأتكئ بعضدى على ظهر مقعد السائق حتى أحسست وكأنى أنا الذى أطير مندفعاً إلى الأمام بدلاً من السيارة .

ومع شتاء ذلك العام ... كانت اليابان تخوض حروباً أخرى جديدة مع بعض الدول .

- انتهت -

THE MOTH
البشارة
- GA -

فى بداية الأمر حين استمع الطبيب المعالج لى بمستشفى جامعة "كانازاوا" وإلى شرحى للأعراض التى أشعر بها ، أجابنى دون تفكير قائلاً :-

-"إنك تعانى يا بنى من درن العظام"!

ولأننى كنت أتوقع تلك الإجابة فلم أشعر بدهشة كبيرة ... وظللت واقفاً أمامه مستمراً دون أن أعقب بكلمة واحدة . ولكن يبدو أن تصرفى هذا لم يعجب الطبيب الذى عقب قائلاً فى حدة :-

-"ألا يعجبك ما أقوله لك؟ حسناً"!

ثم أمرنى بعد ذلك بأن أخلع ملابسى.

وفى لحظات كان ذلك الطبيب قد استدعى سبعة أو ثمانية من طلبة الكلية وجعلهم يتحولقون حولى ثم قال لى فى حدة أيضاً:-

- "هل أنت جاهز"؟

ثم بدأ الطبيب على الفور يدقدق بمطرقة صغيرة فوق ظهرى بينما يشرح للطلبة من حين للآخر قائلاً :-

-"أنظر جيداً .. هذه الفقرة هل هى ترتفع لأعلى أم تنخفض لأسفل"؟

فكان الطلبة يجيبون إجابات مختلفة متضاربة .. فبعضهم كان يقول :-

-"نعم إنها تنخفض لأسفل"

وبعضهم الأخر كان يصيح قائلاً :-

-"لا" إنها ترتفع لأعلى"

بينما قال آخرون:-

-"إنها ترتفع لأعلى .. ولكنها أحياناً أخرى تنخفض لأسفل"!

كانت تلك الإجابات المتضاربة تستحيل بالنسبة لى دون معنى ، ولكن الطبيب من ناحيته أخذ يفسر لهم حالتى على أنها من قريب أو بعيد لا تعدو أن تكون حالة مصاب بدرن العظام فقد انبرى يقول لى فى ثقة :-

-"لقد أدركت منذ الوهلة الأولى لدخولك الغرفة علىّ هنا منذ قليل طبيعة مرضك"

قد يفسر البعض سلوك هذا الطبيب النائب بأنه بارد وشاذ وغير لائق ، ولكن الأمر بالنسبة لى لم يكن يعدو أن يكون سلوكاً مباشراً دون تورية أو مجاملة أو محاباة.

إن أى طبيب أخر كان سيشعر بنفس الإحساس فى قرارة نفسه ناحيتى . وبصرف النظر عن مكسبهم المادى

فإن إحساسهم باللذة فى طبيعة عملهم هنا يتلخص فى جزء كبير منه فى ذلك السلوك الذى يقوم به ذلك الطبيب المباشر لحالتى .

إننى لا أعتقد أن أحداً من الذين أصيبوا بالمرض مثلى وأحسوا به تماماً وذهبوا لعرض أنفسهم على طبيب ما قد واجهوا إجابة تطمئنهم بأنهم لا يعانون من أى شئ أو أنهم واهمون وشعروا بالخزى من هذا الموقف . فى مثل تلك المواقف اعتقد أن المرضى يفاجئون بانكشاف مقدار جبنهم أمام الطبيب . إنهم فى مثل هذه الحالة يشبهون ذلك الجندى الذى يشعر بالخزى والعار أمام قائد فصيلته حين ينكشف أمره من إنه لم يقم بإنجاز مشرف فى ميدان المعركة .

على أى حال فإن سبب عدم حبى للأطباء هو إنهم يستطيعون كشف ما أخبئه مهما حاولت خداعهم! .. نعم .. فسيان كان الأمر بالسلب أو بالإيجاب فإننى كنت أشعر بالضجر والانزعاج من أن يكشف آخرون خبايا جسدى هذا الذى من المفترض أن يكون ملكاً لى.

إن شكواى من ألم أعانى منه هو من أجل أن أخبر الآخرين أن ألماً ما يعترى جسدى، وليس من أجل رغبة منى فى أن يساعدنى الآخرين فى تخفيف ذلك الألم عنى! فإنه قد يحدث أن يتعايش شخص ما مع ألمه ويتخذه صديقاً له!

إن صداع الرأس مثلاً يجعلنى أعيش حالة من الخوض فى حلم ، وهناك نوع من الإثارة والتشويق حين

أضغط على نفسى لأقاوم الرغبة فى إفراز البول أو البراز.. وإننى أحياناً أشعر بالتلذذ من أن اشتم رائحة الغازات التى أخرجها!!

إننى لا أحب الخروج للتمشية والتريض ، وليس هذا من وازع الشعور بالتعب والإرهاق – ولكن السبب كله فى أننى إنسان من النوع الذى يفضل الانعزال والتقوقع . ولأننى أقضى معظم الوقت داخل البيت فأحياناً اشعر بالرغبة فى الخروج واستطلاع الأحوال خارج البيت . إننى فى مثل تلك الأوقات أشعر بأن منظر واجهات محال الفاكهة والبقالة والحلاقة التى تعلوها يافطة "كذا ... غينزا" أو مشهد نافذة عرض متجر بيع الخمور والبقالة المختلفة أو منظر أصابع يد البائعة البيضاء المطلية أظافرها بالمانيكير الأحمر وهى تناول الزبائن الخضروات الطازجة أشعر بأن كل هذه المشاهد والمناظر تثير الحبور والارتياح داخل صدرى.

وبالرغم من هذا فإن السبب الذى لا يجعلنى أفضل التسكع فى شوارع ذلك الحى هو نظرات المارة التى لا تسمح لى بأن أسير هكذا متسكعاً على غير هدى!

على سبيل المثال فإننى أحياناً حين أسير فى طريق ما مستقيم أشعر بالرغبة فى أن أعود أدراجى بعد أن أحس بالملل ، وهنا .. أشعر بأن عيون المارة والتجار والبائعين الواقفين أمام محالهم ترشقنى وتتركز على ! إنهم ينهروننى وينتقدوننى فى صمت وكأن لسان حالهم يوشك على أن يصرخ فى وجهى قائلاً:-

-"ترى .. ما الذى يجعلك تتسكع هكذا بحق السماء"؟
وهنا فأجدنى على وشك أن أصيح بصوت عال قائلاً:-
-"آه" لقد نسيت شيئاً ما"
أو أننى أشعر أنه على أن التفت للخلف وأعود أدراجى فى هدوء وخفه وكأنى تقمصت دور شبح غير مرئى!
ولكن هناك ألم كبير يعتصرنى أحياناً فى تلك المواقف يتجاوز حركة الالتفاف والعودة المخزية تلك وهو الاضطرار إلى الانحناء معذرة.
إننى حين أفكر فى أمر الانحناء هنا أجدنى أشعر بالرغبة دائماً فى أن أتحول إلى كلب!!
آه .. فولا اللوم لأطلقت العنان لأقدامى فى مثل هذه المواقف لكى أركض بكل سرعتى مختفياً عن الأنظار .
إننى أشعر كم هو الوقت طويل وثقيل وممل حين أكون سائراً فى طريقى ويقترب ناحيتى شخص ما من الجهة المقابلة قبل أن يعبر من جانبى ! إن ذلك الشعور بالعناء من تفكيرى فى أن ألفظ بلفظتين أو ثلاثة بصوت خفيض وهو يكاد أن يسمعه أو لا يسمعه ذلك القادم نحوى فى نفس الوقت الذى أحرص فيه على ألا أهدئ من سرعة خطواتى وأنا أميل بنصف جسدى العلوى إلى الأمام . أضف إلى هذا ذلك الإحساس المقزز البغيض بأن وهم التحية المتبادلة - التى لا تحدث بالفعل - تتحول من خلال نظرات

ذلك الشخص الآخر وهى تتشابك مع نظراتى إلى خيوط بيت عنكبوت تتعقد وتجثم فوق أنحاء وجهى بينما تثير فى لحظة تشابكها هذا ريحاً دافئة لزجة مشبعة بالشك والارتياب!!

ومن بين هؤلاء الذين لا أرتاح إلى نظراتهم أهل بيت عائلة الطبيب "أوكاوا" والذين يسكنون بالمنزل المجاور للمنزل الكائن أمام منزلى .. وخاصة رب تلك العائلة وهو الدكتور "أوكاوا هاروكيتشى".

كان من الواضح أن الانحناء المتبادل للتحية بينى وبين الدكتور "أوكاوا" يختلف تماماً فى شكله وإحساسه عن أى انحناء آخر مع أى شخص آخر . لم تكن انحناءتى وانحناءه الدكتور "أوكاوا" من طراز تلك الانحناءات الواهمة التى أتخيل أنها تحدث مع المارة فى الشوارع ، فقد كنت حين أصادفه وأنا أسير أمام البيت وهو يأتى قادماً من الاتجاه المعاكس أشعر أننا نقترب من بعضنا البعض بإدراك واضح قوى كل منا للآخر وكأن هناك ترسين يقتربان من بعضهما ويوشكان على التلاحم معاً ، وفى مثل تلك الحالة يرفع كل منا للآخر يده بالتحية فى توقيت واحد لحظة تلامس الكتف بالكتف وينحنى كل منا برأسه للآخر أيضاً فى نفس التوقيت ، فيبدو للناظر إلينا أننا نقوم بتحية رجولية صافية ذات روح رياضية عالية . ولكن الواقع أن الأمر عكس ذلك!

إننى فى مثل تلك اللحظات لم أكن أنظر إلى وجهه مطلقاً . ولكنى كنت أشعر بوضوح بابتسامته المقبضة الصفراء وهى تعلو وجهه الشاحب ، وما كان يجعلنى أشعر بذلك الوضوح هو ببساطة أننى كنت أبادله نفس الابتسامة الصفراء!

لقد كان الجزء الخفى من منزل الدكتور "أوكاوا" يظهر بوضوح من نافذة غرفتى .

لقد كان منزله ذلك ذو بركة داخل الحديقة ، وكانت تعيش بتلك البركة مجموعة من الضفادع الكبيرة التى يبدو أنها يتم تربيتها خصيصاً لأكل ، وكان البيت نفسه محاطاً بأشجار ضخمة للصنوبر . وقد كنت أحياناً ألمحه من بعيد وهو يقف عند الجانب المعتم المجاور للبئر يتشاور مع والدته التى تعمل ممرضة وزوجته التى تعمل صيدلية وجميعهم يرتدون أروابا بيضاء فوق ملابسهم . وفى مثل ذلك الوقت فقد كانوا بمظهرهم هذا بثيابهم البيضاء وخلفهم ذلك البيت الذى يبدو مثل ثمرة عش الغراب .. كانوا يعطوننى انطباعاً كئيباً مقبضاً وكأنهم ثلاثة من الأقزام الغراب الطباع يعيشون حياة مليئة بالغموض فى ذلك البيت.

لقد كان الدكتور "أوكاوا هاروكيتشى" هذا قد انتقل إلى ذلك البيت الذى يقع عند ساحل منطقة "كوغيه نوما" منذ سنتين ، ومنذ لحظة انتقاله إلى هنا صار جميع الجيران يتناقلون سيرته ويتحدثون عنه.

لقد علـق الدكتـور "أوكـاوا" يافطـة عنـد بوابـة منزلـه مكتوب عليهـا" عيـادة أوكـاوا" ، وكـانت تلـك اليافطـة كبيرة بشكل ملحوظ ، ويقال إنه علق ستة أجراس مختلفة الأحجام بين بوابة الحديقة الخارجية وباب منزلــه ، وكنـت كثيراً مـا أسمع صوت تلـك الأجراس وهـى تدق متعاقبـة دليـلاً علـى مـرور زوار كثيرين يدخلـون إلـى العيـادة ممـا كـان يعطـى انطباعاً بكثرة زبائنه.

ولقد كنت من خلال تلك الطريقة التى يعلن بهـا عـن نفسـه أتخيـل أنـه رجـل قصـير القامـة مستدير الوجـه مـرح الشخصية . ولقـد علمـت إن معظـم الجيـران كـان لهـم نفس التخيل عـن شـخصية وصـورة الدكتـور "أوكـاوا" إلا أننـى - مثل بقية الجيران - أصبت يوماً ما بدهشة شديدة حين رأيت شخصاً ما طويل القامة هزيلاً شاحب الوجه يخرج من بوابة ذلك البيت .. وعلمت فيما بعد أنه هو الدكتور "أوكاوا" بعينه وليس زبوناً من المرضى!!

علـى أى الأحـوال فـإن شــخصاً مــا حيـن يصطـدم باختلاف تخيله عن الواقع بدرجة كبيرة فهو لا شـك يصـاب بنوع من الإحباط فى نفسه . أضف إلى ذلك نقطة أخرى فى غير صالحـه وهـو أن الصـورة الحقيقيـة لـه تدل علـى أنــه أصغر بعشـر سنوات علـى الأقل مـن الصـورة التـى كــان يتخيلها الناس .. فقد كان يبدو أنه لا يزيد عن أثنين أو ثلاث أعوام من عمره.

ناهيك عن ذلـك .. فـإن الأمـر الـذى لـم يعـد يختلـف

عليه أحد هو أن عيادة ذلك الطبيب لم تكن ذائعة الصيت عالية الشعبية كما كان الناس يتخيلون.

وقد حدث أن قابلته في طريقي للمرة الأولى حين كنت أتمشى بالقرب من بيتي ورأيته يمشي متعجلاً وهو يحمل صندوقاً كبيراً للأدوية مع والدته ومساعدته ، وقد ترك شكله انطباعاً لدى بأن سنه صغير بفضل وجود تلك المساعدة العجوز بجانبه!

لقد كان يأتي إلى بيتنا أحياناً ذلك الرجل العجوز وزوجته ، وكانا دائماً حين يحضران يتبادلان حديثاً ما مع أمي ، ثم يقترب الدكتور "أوكاوا" بعد ذلك مني وأنا أستلقي في الشرفة فوق كرسي الاسترخاء الطويل ثم يقول لي منوهاً بشيء ما:-

"أيها الصبي (لقد كنت وقتها قد تجاوزت الثالثة والثلاثين من عمري ورغم ذلك فما يزال يناديني بذلك اللقب) إن لون وجهك شاحب للغاية .. فماذا حدث لك"؟

وأحياناً أخرى كان يصيح في وجهي قائلاً :-

"ها أنت ازددت هزالاً عن ذي قبل"

وكان وهو يردد كلماته تلك يتفحص وجهي بنظرات يشوبها الوهن تماماً مثل نظرات الكلب الذي يحدق في واجهة عرض متجر للحوم!

ولما كنت لا أجيبه مهما كرر نفس الأسئلة فقد كان يغير تعبيرات وجهه فجأة ويقول في حدة :-

"سلامتك"!

ثم كان بعد ذلك يعاود أدراجه إلى داخل الغرفة بخطى ثابتة متأنية وكعب حذائه يطرقع فوق الأرضية وكأنه يدق بذلك الكعب مساميراً لكى يثبتها فى الأرض!

لقد صارت هناك شائعة جديدة مريبة تدور حول الدكتور "أوكاوا" فى الفترة الأخيرة.

لقد كان مفاد هذه الشائعة أنه كان أثناء الحرب يعمل طبيباً بالقوات البحرية وأنه كان يمارس كل أنواع الطب من باطنى إلى جراحة إلى أطفال إلى غيره ، ومع ذلك فقد صار فى فترة الثلاثة أو الأربعة أشهر الأخيرة يرفض استقبال أى حالة كما يرفض الانتقال إلى المنازل للكشف على المرضى.

لقد سمعت هذه الشائعة من أمى التى قالت لى أنها على أساس تجارب فعلية مر بها ثلاثة من جيرانها . على سبيل المثال فقد ذكرت السيدة "س" من جيراننا إنها حين فوجئت بطفلها الذى يبلغ من العمر أربع سنوات يعانى ذات ليلة من ضيق فى التنفس ، فهرعت إلى عيادة الدكتور "أوكاوا" وفسر الحالة بها بأنه التهاب فى اللوز بناءاً على شرحها لحالة الطفل وأخذ يصف لها الأعراض وطريق العلاج ، إلا أنه رفض تماماً الانتقال معها لإجراء الكشف الفعلى على الطفل بالرغم من توسلاتها المتكررة له ، وفى النهاية ترك السيدة وحدها تقف عند بوابة البيت وهى ترغى وتزبد بعد أن قال لها فى برود :-

- "معذرة .. سوف أتركك وأدخل لكى أنام"

وبالفعل تركها واختفى داخل غرفته!

أما القصتين اللتين قصهما الجاران الآخران فقد كانتا متشابهتين فى مجملهما إلا أن العبارات التى أعتذر وتحجج بها فى كل مرة كانت تختلف قليلاً عن بعضها . فمثلاً قال مرة إنه مجهد ومرة أخرى اكتفى بأن يقول إنه يكسل عن التحرك وليس أكثر.

إننى لم أكن أدرك على وجه الدقة مدى درجة عناد وصلابة رأس الدكتور "أوكاوا" الذى رفض القيام بالكشف فى كل تلك الحالات ، ولكن على حد علمى فالدكتور "أوكاوا" لم يكن له دخل يرتزق منه سوى ممارسة مهنة الطب ، كما أنه لم يكن لأمه أو زوجته سبيل إلى القيام بعمل آخر للتكسب طالما لم يقم هو بأداء مهمته المهنية.

لقد استحال سلوكه هذا فى نظرى ضرباً من ضروب المغامرة بالحياة ولقمة العيش ، ولذلك فقد كنت أشعر بغرابة الأمر إذا تصور الناس أن سلوكه هذا ينبع من مجرد الكسل عدم الاكتراث .

ولذلك فبعد سماعى لتلك الشائعات فقد صرت أشعر أن ابتسامته تلك التى يبادلها معى حين التقى به صدفة فى الطريق يشوبها استفزاز كبير.

فى ليلة من ليالى الصيف الحارة المشبعة بالرطوبة اللزجة .. كنت أفتح النافذة على مصراعيها واستغرق فى القراءة .

لقد كانت المنطقة المحيطة بالبيت تعج بالحشرات ، فحين كان ينتصف الليل وتنطفئ الأنوار هنا وهناك كانت

تمـلأ المكـان علـى وجـه الخصـوص حشـرات مثـل الفـراش والدبـابير وقارضـات الـورق وتطـير فـى مجموعـات كبـيرة فتلتصـق التصـاقـاً بـالحوائط والأسـقف وكأنـهـا ترسـم نقوشـاً فارسية سوداء ، ولأننى كنت اشعر بأننى لـن أسـتطيع قتلهـا جميعاً مهما حاولت فقد كنت استسـلم للأمـر الواقـع وأتركهـا لحالها.

وفجأة حين أمسكت بمصباح المكتب وقربته نـاحيتى لكى أستوضح حروفاً باهته مكتوبة على صفحة من صفحات الكتاب سمعت صوت رفرفة جناح حشرة تقترب من أذنـى ، وإذا بـى أشـعر بتلـك الحشـرة تقفـز لتدخـل مـن فتحـة أذنـى اليمنى!

لقد حاولت التقاط الحشرة وإخراجهـا بـدس إصبعـى داخل إذنى ولكن مع تلك الحركة انسد طريق الخـروج علـى الحشرة فاندفعت تغوص فى عمق أذنـى!

ومع ذلك فلم أكـن أصـدق أن حشـرة مـا تدخـل إلـى أذنى حتى ذلك العمق ولا تخرج ، ولذلك فقد حاولت نسـيان الأمر وكففت عن العبث بـأذنى وحـاولت العـودة للاسـتغراق فى القراءة.

ولكـن فـى اللحظـة التـى شـرعت فيهـا فـى اسـتكمال القراءة فوجئت بتلك الحشرة ترفـرف بجناحيهـا مـرة أخـرى داخل أذنى وكأنها تعلن فى صراحة عن وجودها هناك!

لقد كنت وكأننى أعيش كابوساً مزعجاً . كنت بينمـا أحاول الإمسـاك بهـا والتقاطهـا أنظـر حولـى وخلفـى بعيـون

حائرة – وكأن عيونى هى التى كانت تفكر وليس عقلى – لعلى أجد ذبابة ما أو فراشة ما أو دبوراً ما يطير هناك فأقنع نفسى أن تلك هى الحشرة التى دخلت أذنى منذ قليل وأننى لا أستطيع التقاطها لأنها خرجت بالفعل من أذنى.

وهكذا فقد صرت أقطع الغرفة ذهاباً وإياباً فارداً ذراعاى وأنا أتمتم قائلاً:-

"على رسلك ... على رسلك "وكأننى أتعقب طائراً فى الظلام وذلك طوال الليل ، حتى أن والدى لاحظ سلوكى الغريب هذا فصاح ينادينى قائلاً :-

-"ما خطبك يا ولدى"؟

لقد أفقت على صوت والدى وأنا أقطع ردهات المنزل وأخبط الأرضية بقدماي ، فرددت على أبى قائلاً :-

-"هناك حشرة داخل أذنى"!

-"ماذا ؟ حشرة"؟

-"يبدو إنها حشرة فراش البشار .. نعم اعتقد أنها بشارة ... ألا تنظر يا أبى داخل أذنى لكى تستطلع الأمر" ؟

-"أرنى أذنك"

نهض أبى من مكانه ووضع نظارة القراءة على عينيه ، ثم أمسك بالطرف السفلى لأذنى . فى هذه اللحظة بالذات شعرت بتوتر كبير ، وبعد ذلك وجدت نفسى أصيح متأوهاً . وبعد أن صحت متأوهاً وسمعت بنفسى صوت ذلك التأوه .. أحسست أننى فقدت سيطرتى على أعصابى.

- "لا يوجد شئ هناك يا بنى"!

ولكن قبل أن يكمل أبى جملته تلك ، وجدت نفسى أنهض واقفاً فى عصبية وأضرب رأسى بقوة بقبضة يدى وأصيح متأوهاً مرة أخرى.

لقد فزعت أمي واستيقظت من سباتها العميق على صرختى تلك . أن أمى فى بداية الأمر لم تكن تدرك ما حدث وهى تنظر إلى فى دهشة . وحين شاهدت أمام عينى منظر والداى العجوزين وهما يقفان فاغرين فاههما يحدقان فى وجهى وأنا أقفز كالمجنون ... أدركت بأننى فقدت بالفعل صوابى وازداد جنونى والتياعى!

فى الحقيقة فإننى مع كل رفرفة شعرت بها لجناح تلك الحسرة داخل أذنى ... كنت أحس كما لو كانت هناك رافعة ثقيلة تشد جسدى كله شداً وترفعنى فى الهواء ، وكدت أن أسقط على الأرض لولا أننى تداركت الأمر واستندت بساقى اليسرى بقوة على الأرض .

وهكذا فقد ظللت أئن كالمجنون حتى الصباح ، ومع شعورى بضعف حركة الحشرة تدريجياً داخل أذنى أحسست بأن قواى قد خارت تماماً فسقطت فوق الفراش كالمغشى عليه وغرقت فى النوم .

لا أعلم كم ساعة مرت بى وأنا غارق فى النوم ، ولكننى كلما كنت أفيق للحظات من نومى كنت أفكر بشأن تلك الحشرة وكأنها تقبع فى مجال اللاوعى المظلم بداخلى ، وكانت إفاقتى هذه تجعلنى أشعر بمدى ثقل رأسى فأعود وأسند رأسى بكلتا يدى وأهزها وأنا أحاول أن أقنع نفسى بأن

تلك الحشرة اللعينة لم تعد هناك.

الحقيقة أننى حين هززت رأسى بشدة وشعرت أننى أعيش مع إيقاع موسيقى "الرومبا" أحسست بأنه لم يعد هناك صوت لرفرفة جناحى تلك الحشرة التى دخلت الليلة الماضية داخل أذنى .

لقد أطمأنيت بعض الشيء وخرجت إلى الشرفة وفردت جسدى فوق المقعد الهزاز الطويل ، وحينما شرعت فى أن أنفث دخان سيجارة أشعلتها لتوى .. فوجئت بأن وهمى قد تحطم فى لحظة .. نعم فحين شرع الدخان فى المرور داخل حلقى .. فوجئت بنفس حركة تلك الأجنحة تعاود الظهور.

لقد قذفت بالسيجارة .. ثم صرت أقفز كالمجنون مرة أخرى مثل الليلة الماضية.

كان أبى وأمى فى هذه اللحظة يتناولان طعام الغداء، ومن شدة هياجى وقفزى هنا وهناك فقد أخذ الغبار يتناثر فى أرجاء البيت ، فوجدت أبى يصيح بى من مكانه قائلاً :-

-"توقف عن صياحك هذا .. عليك اللعنة"

-"إننى مهما صحت فى الحشرة كى تتوقف عن هياجها فهل ستتوقف"؟

-"فلتذهب إلى عيادة الطبيب بدلاً من ذلك".

-"حسناً ... اتركنى يا أبى فى حالى"

لقد أدركت فى لحظة ما أن ردى يجب أن يكون بهذا الشكل على أبى . نعم لقد أدركت فى هذه اللحظة أن أثبت

رجولتى أمامه ، ولكننى فى نفس الوقت قد أكون غير كامل الرجولة لعدم تحملى عذاب تلك الحشرة . لقد قررت الذهاب إلى عيادة طبيب متخصص فى الأنف والأذن والحنجرة.

دعانى الطبيب إلى أن أجلس إلى مقعد مزود بأحزمة يشبه مقعد التعذيب المشهور والذى كان معروفاً فى القرون الوسطى ، وقد أصبت برعشة شديدة حين لمحت ذلك المقعد الموجود بركن غرفة الكشف .

إننى كنت أتساءل فى قرارة نفسى عن كيفية قيام ذلك الطبيب بتشخيص حالتى .. وهو الذى كان واقفاً أمامى وهو يربط على جبهته تلك المرآة المستديرة الخاصة بالكشف.

إن مجرد تفكيرى فى هذا الخاطر جعلنى أشعر بالخجل من حالتى الشاذة هذه.

على أى حال فقد قررت أن أسيطر على أعصابى والتزم بالهدوء . نعم .. أليس الأمر لا يتعدى وجود مجرد حشرة داخل جسمى؟

لقد قررت أن أخرج إلى ساحل البحر القريب من البيت . نعم ... فلأستلق عل رمال الشاطئ ولأشغل نفسى بتأمل ذلك البحر الذى يشبه الحرية فى حد ذاته ، ولأجعل قلبى يذوب ذوباً فى مشهد ذلك البحر !

بالفعل غادرت متوجهاً إلى الساحل . ولكنى فوجئت بأقدامى تقودنى إلى اتجاه آخر.

لقد وجدت نفسى أسير وسط حى "غينزا" بالعاصمة طوكيو ، ووصلت أخيراً إلى إحدى الصيدليات . وكأنما كان الصيدلى هناك قد أدرك ما ألم بى .. فقد وجدته ينبرى قائلاً:-

-"ها هى خمس أعواد لتسليك الأذن"!!

حينما نظرت إلى تلك الخمسة أعواد المصنوعة من الغاب والتى أعطاها لى ... أدركت للمرة الأولى أن راسى الآن ليست فى حالتها الطبيعية .

وبينما كنت أفكر فى كيفية تهدئة رأسى ... وجدت نفسى أدخل إلى مطعم للسمك وبعض الوجبات الأخرى واشترى قطعتين من الآيس كريم وأقوم بازدرادهما.

وبعد ذلك وجدتنى أقوم بارتكاب حماقة أخرى تفوق السابقة . نعم فيبدو أن رأسى لم يعد بها سوى مجموعة من الخواطر الماكرة الحمقاء . لقد قادتنى تلك الخواطر الحمقاء إلى تصرف أخرق آخر .. نعم فقد وجدتنى أدخل إلى دكان للحلاقة .

لقد كان دكان الحلاقة الذى أعتاد الذهاب إليه به حلاق غريب الأطوار ، فقد كان يقوم بتصوير رؤوس الزبائن الذين أنهى الحلاقة لهم ويقوم بتعليق تلك الصور على حائط الدكان ويكتب تحت كل منها "العمل الفنى رقم كذا "لقد خطر لى أن أطلب منه القيام بإخراج تلك الحشرة - بطريقة سرية بدلاً من طبيب الأنف والأذن!

بعد أن جلست إلى مقعد الحلاقة قلت له بنبرة هادئة.

-"حسناً" هل تتفضل بتنظيف أذنى"!!

ووقتها كان الدكان خالياً من أى زبـائن .... ولـم يكـن هناك سوى أنا وذلك الحلاق.

-"هل تريد مجرد تنظيف أذنك"؟

-"نعم .. ولكن أحـرص علـى تنظيفها بكـل حـرص وتؤدة ، هناك سبب ما للجوئى إليك .. فإننى لا ائتمـن أحـداً من الهواة على القيام بهذه المهمة الحساسة .

يبـدو أن خطتـى قد حالفها النجـاح ، فقـد أخـبرنى استعداده للقيام بهذه المهمة .

لقـد أخـذ الحـلاق يغـالب ضحكاتـه وهـو يـأخذ منـى سلاكات الأذن ويخرج من أحد الأدراج بعض محابس الشـعر والأدوات الأخرى.

ولكن بمجرد أن شرع الحـلاق فـى إدخـال فـرع مـن السلك الملفوف على طرفه قطعة قطنية مبللـة بـالكحول حتـى أحسست بتلك الفراشة الكامنة تصاب بالهياج وتتخبط فى كـل الاتجاهات داخل أذنى . لم أشعر هذه المرة بصـوت رفرفـة أجنحتها فقط .. وإنمـا فـاقت ثورتهـا هـذه المـرة كـل الحـدود حين صـار صدى صوتها وهى تصطدم بطبلـة أذنـى محاولـة الخـروج قويـاً مدويـاً مثـل دقـات النواقيـس .. وصـار ذلـك الصدى يرج رأسى رجاً .

ومن فرط خوفى وذعرى وجـدت نفسـى أدفـع بيـدى ذراع الحلاق بعيداً ، ثم صحـت بصـوت عـال قـائلاً وكـأننى أصبت بمس من الجنون:-

-"شكراً لك .. لا أريد شيئاً"!

لقد استطعت بالكاد أن أنطق تلك العبارة ثم أطلقت ساقاى للريح مغادراً دكان الحلاقة!

-"إذا كان الأمر كذلك فما بالك لا تذهب من البداية إلى طبيب الأذن"؟

لم أكن لحظتها أعبأ بما يقوله ذلك الحلاق أو بما يحدث من حولى ، فقد كنت اهتم فقط بوضع كفى بقوة فوق أذنى وأركض بكل قوة فى الطرقات متجهاً إلى بيتى.

وبالقرب من البيت ... وبالتحديد حين كنت أوشك على الالتفاف عند ناصية أحد الشوارع الخلفية فوجئت بوجود زوجة الدكتور "أوكاوا" العجوز أمامى وهى تمسك بمظلة قديمة ترفعها فوق رأسها بيد وباليد الأخرى تمسك سلة مجدولة بأعواد الخوص مليئة بالخضراوات والمشتريات المختلفة .

لقد تعمدت التوقف فجأة وحاولت أن أتصنع رباطة الجأش وأن أسير بخطوات هادئة ، ثم بادرتها قائلاً :-

-"آه" إن الجو حقاً فى شدة الحرارة هذا اليوم"

ولكن المرأة العجوز أخذت تحدق فى وجهى بنظراتها المعهودة المتفحصة تلك ثم قالت:-

-ما خطبك اليوم؟ هل تشعر أيضاً بتعب ما"؟

لقد حدث أن تبادلت حالتى النفسية منذ هذه الليلة عما كانت عليه منذ أن استقرت الحشرة داخل أذنى ... باختصار ... فقد صرت مؤمناً بان تلك الحشرة تقبع هناك وسلمت بهذا الأمر الواقع . أننى كلما تحركت الحشرة داخل أذنى

واهتاجت كعادتها وقمت على إثر ذلك القفز والصياح والتأوه وذرع أركان البيت ذهاباً وإياباً كلما راودنى شعور ما بالتسليم لهذا الأمر الواقع ، أى أن الصراخ والقفز فى هستيريا صارا وظيفة لى يحكمها الروتينية ، وطالما كنت أقوم بذلك السلوك كلما ازداد إدراكى بوجودى ... أى إننى أصبحت مزوداً - على العكس - بشعور بالسكينة والاستقرار!

أضف إلى ذلك إننى صرت أشعر بإحساس يشبه الألفة مع تلك الحشرة التى تعيش معى داخل أذنى!!

مثلاً حين كنت انفث سيجارة فى الصباح ، كانت الحشرة تبدأ فجأة فى التحرك بجسدها ومن هنا كنت أشعر بأنها تتجاوب بتلك الحركة مع سلوك يبدر من ناحيتى . ومنذ أن بدأ يراودنى هذا الشعور صرت أدرك أن تلك الحشرة بالرغم من ضعفها وضآلتها إلا إنها تصر على إثبات وجودها فى ذلك المكان العميق من أذنى والذى لا تصل إليه يدى وأن نفس تلك الحشرة التى تحاول السيطرة على تصاب بالغضب أحياناً من بعض حركاتى المفاجئة فتركل بكل قوتها الجانب الداخلى من صدغى وتنكش بأرجلها وتنبش فى الجزء الممتد من حلمة أذنى حتى منتصف صدغى.

مع اقتراب انتصاف الليل أخذت الحشرات الطائرة مرة أخرى تقفز نحو مصباح الغرفة وتتجمع حوله . إن نظرتى نحو تلك الحشرات صارت مختلفة كثيراً عما قبل .

وخاصة حشرة فراشة البشارة تلك حين تختبئ خلف ظل مظلم لصندوق أو لمكتب وتبدأ فى تحريك ساقيها الأماميتين وهى تحك فى الخشب .. نعم لقد صرت أصدر زفرة عميقة من صدرى وأنا أشاهد سلوكها هذا وهى تستريح هناك بجسمها.

لقد صرت أشعر بإحساس غريب حامض لزج بأن تلك الحشرة رغم عجزى عن التخلص منها إلا أنها قد فرضت على فرضاً أن أكون صديقاً لها!!

أغلب الظن أن تلك الحشرة قد صارت تعتاد على وجودها بمسكنها الجديد هذا داخل أذنى وأنها أصبحت تشعر بالاستقرار هناك فصارت تحرك سيقانها لتحك جدار التجويف الداخلى لأذنى أحياناً بغرض المداعبة وليس العنف والتمرد والغضب.

نعم صارت الحشرة كلما تتحرك بساقيها وجسمها داخل أذنى تجعلنى أشعر بإحساس مختلط بين الألم وبين الدغدغة . بل إننى لهذا السبب صرت أعيش أحياناً فى خيال أننى بدأت شيئاً فشيئاً أقدم لتلك الحشرة مخى هذا (الذى صار فى أغلب الأمر مكسياً بالبياض من قشور جسدها بسبب حركتها المستمرة) طعاماً لها!

نعم .. لقد صارت تراودنى تلك الأحاسيس الغريبة وتسيطر علىّ .. وهى الأحاسيس التى اعجز تماماً عن تفسير كنهها .

وبعد ذلك فقد صرت منذ لحظة استيقاظى فى الصباح وحتى محاولتى للخلود إلى النوم فى الليل .. لا بل وحتى أثناء استغراقى فى النوم .. صرت أشعر بإحساس من الانتشاء لمجرد تصورى أن هذه الحشرة تراقب حركاتى كلها عن كثب؟

وفجأة إنتابنى خاطر غريب مفاجئ آخر .. نعم كان الأمر كذلك فلم لا أفاجئها بتصرفات أكثر بذاءة وأكثر سفالة لكى أضايقها وأثبت لها وجودى؟

فى الوقت الذى كانت فيه الفراشة تقطع مشاويرها فوق طبلة أذنى اليمنى روحة وجيئة وتحجز الطريق تماماً هناك ، فقد تذكرت فجأة أمر الدكتور "أوكاوا" لقد أحسست أننى أدرك تماماً شعور ذلك الرجل حين يتلذذ بمضاعفة مرضاه الذى يكشف على أجسامهم متعمداً .. نعم .. لقد صرت الآن فى نفس وضع ذلك الطبيب .

لاشك إن الدكتور "أوكاوا" قد وعد زوجته (المضغوطة الأنف قليلاً والقليلة الحجم فى نفس الوقت والتى تتمتع بجمال وجاذبية) بأنه سوف يفتح عكا وتعاظم وأغتر أمام أمه بأنه سوف يصول ويجول ، ولكنه بعد افتتاحه العيادة بقليل لم يزره أحد من المرضى وخذله الجيران من حوله . لاشك أن الدكتور "أوكاوا" قد شعر بالحرج أمام أهل بيته وأمام جيرانه بسبب هذا الحال وأنه صار لا يستطيع تحمل شعوره بشك من حوله فى قدراته المهنية وأنه من فرط معاناته تلك التى سببت له التوتر والأرق فى نهاره

وليله قد أضطر أخيراً إلى ممارسة هوايته الشاذة تلك التى لا يضاهيها أى سرور وانتشاء فى التلذذ بمضايقة من يقع تحت يديه من مرضى والاستخفاف بهم ومن هنا فقد قررت اقتحام عيادته ودق أجراسه الستة تلك الكبيرة والصغيرة المعلقة على بابه فى جرأة وتبجح لكى أتحداه وأطلب منه التخلص من حشرتى هذه ! نعم .. قررت أن اتحدى حتى النهاية حتى ولو أدى الأمر به فى النهاية أن يلقينى خارج عيادته لكى أسقط فى تلك البركة التى تعيش بها الضفادع الكبيرة ! فلأدفعة لكى يقوم بقتل هذه الحشرة بيديه هو وهو مملوء بمشاعر الذل والمهانة والغضب !

فى صباح اليوم التالى ذهبت لزيارة عيادة الدكتور "أوكاوا" (ولكن النتيجة كانت حقاً انتهاء الألم بشكل ممسوخ ممل) .

كانت البوابة المعلق فوقها يافطة العيادة مفتوحة نصف فتحة ، ولكن لأن ذلك الباب كان ملتوياً بعض الشيء فإنه لم ينفتح أكثر من ذلك مهما حاولت دفعه بقوة . ولذلك فلم أجد مناصاً من أن أحاول الإنزلاق بجسمى شيئاً فشيئاً من خلال الفتحة للباب الموارب حتى استطعت الدخول .

ولكن لأن معظم الأجراس والنواقيس الصغيرة والكبيرة المعلقة على البوابة كانت مفككة أو مكسورة فلم تصدر أصوات الرنين منها لكى تعلن عن دخولى ، ولذلك فقد قمت بالطرق على زجاج البوابة بيدى بينما كنت أصيح بصوت عال للاستئذان فى الدخول .

لقد فوجئت بأن من خرج ليفتح باب البيت هو الدكتور "أوكاوا" بنفسه.

لقد كنت أنوى التظاهر برباطة الجأش وأن أتلو عليه قصتى ، ولكن لأننى كنت قد صحت بصوت عال عند البوابة (ربما كان هذا هو السبب الحقيقى) فقد كان صوتى وأنا أتحدث إليه ممزوجاً بالانفعال بشكل ظاهر وكأننى مثل جندى يقوم بتقديم تقرير إلى قائده العسكرى .

وحين انتهيت من كلامى .. لم يكن يبدو على الدكتور "أوكاوا" أى رد فعل عن انزعاجه مما أخبرته به عن حالتى وقال فى هدوء :-

-"آه" حقاً ؟ لقد أدهشتنى"

ثم استطرد قائلاً وهو يشير إلى ناحية غرفة الكشف:-

-"على أى حال .. تفضل هنا"

فى هذه اللحظة طرأ لى خاطر أن أعود أدراجى وأنسحب ، ولكنى تبعته وتوجهت ناحية غرفة الكشف .

وحين دخلت تلك الغرفة وجدتها أيضاً حسب عهدى بغرف الكشف الأخرى ... قليلة الأثاث تبعث شعوراً بالانقباض وبالبرودة فى الأوصال وتفوح تلك الرائحة التى تميز العيادات الطبية. بادرنى الطبيب يسألنى :-

-"أتقول أن حشرة دخلت أذنك ؟ ... متى كان ذلك"؟

-"أول أمس ... حوالى الحادية عشرة ليلاً"

-"ماذا؟ ... هل تركت الأمر هكذا طوال تلك الفترة؟

أراك طويل البال أيها الفتى"!

-"أبداً ... كنت أود أن أعجل بمعالجة الأمر أسرع من هذا .. ولكن ما جعلني أتردد هو أن هذا الأمر قد لا يرقى إلى درجة عرض نفسى على الطبيب".

-"حقاً حقاً .. ولكنك لم تحسن تقدير الموقف"

لقد أدركت هنا أن هذا الموقف ليس معقداً إلى هذه الدرجة ، فأنا ببساطة حالة مرضية والسيد "أوكاوا" لا يتعدى أن يكون طبيباً .

- "هيا هيا أرنى أذنك ... نعم أعطنى صدغك الأيمن . آه ... ليس هناك ورم ظاهر .. إذا كان الأمر كذلك فلا تجزع".

وبمجرد أن أنهى الدكتور "أوكاوا" جملته هذه حتى صاح منادياً زوجته بصوت عال:-

-ساتشيقووو"!!

وبعد لحظات دخلت إلى الغرفة زوجته وهى تحمل ماسورة قصيرة من الورق المقوى وكشافاً يدوياً أما ما حدث بعد ذلك فهو أمر غاية فى السذاجة والتفاهة.

لقد وضع الدكتور "أوكاوا" طرف الماسورة الورقية فوق أذنى واخذ ينظر من طرفها الآخر الخارجى على هدى الكشاف اليدوى. لقد فوجئت أن الأمر قد انتهى ببساطة متناهية . نعم فقد انطلقت من خلال الماسورة الورقية حشرة من "فراشة البشارة" لا يزيد طولها عن سنتيمترين إلى الخارج.

لقـد تمنيـت أن تنطلـق هـذه الفراشـة مـن النـافذة المفتوحة وتخرج إلى الفضاء وهى ترفرف بجناحيها ولكنها ما لبثت أن خرجت إلى الضوء وحاولت الطيران حتى سقطت على أرضية الغرفة!

لم يكن هناك رد فعل واضح لدى سوى شعورى بأننى على وشك أن أصاب برعشة برد حين نظرت إلى الحوائط الرمادية المحيطة بى.

لقد انبرى الدكتور "أوكاوا" يقول لى :-

- إن مثل هذا الأمر كثيراً ما يحدث فى المناطق الريفية ففى فرنسا مثلاً وفى مناطق بساتين الفواكه فأحياناً يتحجج الفلاحون هناك أمام صاحب المزرعة بأنهم قاموا بصب نبيذ العنب فى الآذان لكى يقتلوا حشرة ما دلفت إلى هناك لكى يبرروا نقص كمية من النبيذ المخزون"!

لقد كنت أستمع فى ملل إلى حديث الدكتور "أوكاوا" بينما كنت أحدق فى الأرض تحت أقدامى حيث كانت الفراشة تلم جناحيها الرماديين على جانبيها فى تثاقل بينما كانت أقدامها بين حين وآخر ترتعش وترتجف!

- انتهت -

GARASU NO KUTSU
"الحذاء الزجاجى"

من وقت لآخر يشق ذلك السكون صدى ضجيج سيارة تقطع الطريق فى سرعة كبيرة.

– "ماذا حدث"؟

هكذا رددت على مكالمة "إيتسوقو" التى تلفنت لى وهى راقدة فى فراشها بينما كنت أقبض على السماعة بكفى المبلل بالعرق وأضطجع إلى الخلف بظهرى على ذلك المقعد الطويل وأفرد ساقاى فوق المكتب !

– "أنى أريد أن أقابل دباً !! هل سبق أن رأيت دباً يسير وهو يحمل على كتفه سمكة كبيرة"؟

– " لا بالطبع".

– "لا تجبنى بتلك النبرة التى توحى بالملل ، إن الدب حيوان بحق خفيف الدم . إنهم يقولون إنه يستطيع أن يتحدث مع البشر ... ترى هل هذا صحيح"؟

– "لا علم لى بذلك"

- "ماذا تقول ؟ ألم تخبرنى بأن بلدتك توجد بجزيرة " هوكايدو "بالشمال؟ ... ومع ذلك أتدعى عدم المعرفة"؟

لقد كنت أتأمل صفاً من بنادق الصيد هناك بهياكلها البترولية اللون من خلال الباب الزجاجي للدولاب بينما كنت استمع إلى صوت "إيتسوقو" الرنان الذى كان يدوى عبر الصفحة المعدنية الرقيقة لسماعة الهاتف.

إن جسد "إيتسوقو" هذا الذى يشبه جسد الأطفال بصدرها الممسوح ويديها وساقيها الرفيعتين الطويلتين بشكل غير عادى حين كنت أضمه إلىّ .. كنت أشعر بأنه سوف ينكسر وبأننى لا أستطيع السيطرة عليها وكأنما قد تحول جسدها إلى مجموعة متكاتفة من أعشاب أعماق البحر اللزجة تلتف التفافاً حول جسدى وأطرافى فأشعر فى النهاية بالضجر وعدم الارتياح .

ما الذى تقوله الآن بحق السماء بشأن تلك الدببة ؟ لقد أخذت أصب اللعنات داخل نفسى وأنا استمع إليها . نعم أعتقد أنه كان على أن أقوم برد فعل معين . ألم يكن هذا هو ما تتمناه "إيتسوقو" ؟ إنها تقول إنها تريد أن تلتقى بالدب ... نعم اعتقد أن هذه كلمة سر تعنى بها شيئاً .

لقد بادرتها قائلاً :-

- "ها هى إجازة الصيف على وشك الانتهاء ... ترى كم بقى من الأيام عليها" ؟

- "لا تذكر هذا ... لا" !

لقد تعمدت أن أتطرق لذكر هذا الموضوع الذى كنا

نتجنب الحديث عنه ونعتبره من المحظورات التي لا نقترب منها.

نعم ... لقد كانت مهنتى هى "الانتظار" !

لقد كانت مهنتى أنا الذى كنت أعمل فى ذلك الوقت حارساً ليلياً لمتجر بنادق الصيد "ن" هى حماية المتجر أثناء الليل من اللصوص ومن اشتعال الحريق . ولكن ترى هل كنت حقاً أقوم بذلك العمل على ما يرام؟

إن ميزان قياس الرطوبة وميزان قياس الحرارة المعلقين على باب مخزن طلقات البارود كانا يشبهانى تماماً !

لم يكن لى أن أمنع الحريق من الاشتعال أو أتوقعه من خلال قراءة الحرارة ، كذلك لم تكن لدى الشجاعة إطلاقاً لكى أقاوم لصاً إذا اقتحم هذا المكان . نعم ... لم أكن أتعدى أن أكون منتظراً لنشوب حريق أو قدوم لص !! ولأن هذين الضيفين لم يشرفانى حتى هذه اللحظة فبفضل هذا ما زلت هنا فى عملى أقبض أجرى دون أن يقطعوا رقبتى.

وهكذا فقد كانت مواصفات هذا العمل مناسبة جداً بالنسبة لى حيث لم أكن أملك مسكناً معيناً مستقراً .. نعم فأهم شيء فى هذا المكان أننى أجد مساحة للجلوس والنوم فى الليل وأستطيع الحصول على وجبتى الإفطار والعشاء ، أما بالنسبة لمكان راحتى وقت النهار فقد كنت أدبره فى المدرسة حيث كنت أنام فوق مقعدى داخل الفصل ... أو

بمعنى أخر كـان الهدف الرئيسى لذهابى إلى المدرسـة هو النوم فوق ذلك المقعد!.

لقد كانت حركتها تبدو لى ضعيفة وهنه . وعندما كانت تحاول إشعال عود الثقاب لى أمسكت بطرف ذلك العود بيد مرتعشة وكأنها تخشى اشتعال اللهب وكان وجهها حقاً مشوباً بالخوف والرهبة وهى ترقب عود الثقاب .

لقد طرأ لى خاطر بأن تلك الفتاة من بيت أرستقراطى وعرق طيب من خلال سلوكها هذا . يومها قضيت وقتاً طويلاً معها دون أن اشعر . وحينما نهضت لكى أشرع فى مغادرة المكان عادت وابتسمت تلك الابتسامة الخجولة وهى تطلب منى أن أقوم بزيارتها بين وقت وآخر .

لقد وجدت نفسى أنفذ ما طلبته منى ... نعم فقد كان ذهابى إلى ذلك البيت وقضاء النهار معها وأكثر من لجوئى إلى الذهاب للمدرسة مرغماً لكى أنام فوق ذلك المقعد الصلب الموجود بحجرة الدراسة .

وهكذا فقد توطدت علاقتى بالخادمة "إيتسوقو" وكأن لم يكن فى حسبانى أبداً أن أجد نفسى فيما بعد منجذباً لها ومغرماً بها إلى تلك الدرجة ، فقد كانت تلك الفتاة تفتقر إلى الإمكانيات والمواصفات الأنثوية التى تجذب الرجال.

وبعد مرور أسبوع من يوم لقائى بها لأول مرة حدث أن ذهبت لزيارتها فوجدتها ترتدى ثوب الكيمونو الصيفى الخفيف والذى كان منقوشاً عليه رسوماً لمضارب التنس وأخبرتنى أنها ترتدى ثوب النوم هذا لشعورها بوعكة.

ولما داعبتها قائلاً بأن ذلك الثوب بنقوشه تلك يجعلها تظهر أمامى كطفلة صغيرة وجدتها تبدأ حديثاً معى حول ذكرياتها عندما كانت تلميذة بالمرحلة الابتدائية.

لقد قالت عن نفسها إنها كانت تلميذة متفوقة ، ولقد كنت أستشعر من بشرتها البيضاء الصافية التى تظهر من تحتها عروقها الدقيقة الزرقاء ومن خلال تصرفاتها التى تدل على رقيها أنها ليست مثل أى خادمة عادية بل وكأنها كبيرة مديرات قصر ما . وقد استطعت أن أجد نقطة مشتركة بينى وبينها وهى كراهية اليوم الأول للدراسة واكتشفت أنها كانت الأخيرة على فصلها مثلى!

نعم ... نتشابه فى كآبتنا التى تتزايد مع كل يوم تقترب فيه إجازة الدراسة من الانتهاء وفى تسرعنا وانفعالاتنا التى كنا نشعر بها فى قلوبنا الصغيرة حين يجد كل منا نفسه وحيداً فجأة بعد أن يختفى كل من حولنا فى يوم من أيام الصيف القائظ . لقد كانت تعود تلك الذكريات لكى تدغدغ قلوبنا ، ولم نكن نشعر بالشوق إليها لابتعادها عنا بقدر ما كنا نشعر بها قريبة منا نتلامسها معاً .

وفجأة بادرتنى قائلة بعد تفكير :-

- "هل سبق أن رأيت طائر الـ "هيغوراشى"؟

لقد أدهشنى سؤالها هذا .

إن "إيتسوقو" فى العشرين من عمرها . لقد رسمت على وجهها ضحكة غامضة وأنا أسألها عما تعنيه بسؤالها هذا ، ولذلك فقد أخذت أشرح لها قائلاً :-

- "إن الـ "هيغوراشى" هذه ليست طائراً ... إنها حشرة" ... لقد فتحت عينيها عن آخرهما من فرط الدهشة . لقد كانت عيونها صافية جميلة .

لقد فردت "إيتسوقو" ذراعيها عن آخرها وهى تقول:-

-كنت أظن أن الـ "هيغوراشى" هو طائر كبير بهذا الحجم"!

نعم ... لقد كانت تفرد ذراعيها لكى تعبر عن حجم ذلك الطائر الذى تتوهم وجوده وكأنما كان ذلك الطائر فى حجم البطيخة البيضاوية الكبيرة المشهورة بها إقليم "كوروبيه"(١)

لقد شعرت لحظتها وكأننى واقع تحت تأثير سحر ما. لقد أحسست بمئات الخيالات تحتشد أمام عينى لأرى أمامى فراشات فى حجم الحمير وخنفساء فى حجم الكلب!!.

لم اشعر إلا بجسدى وهو يهتز بشدة من فرط الضحك وأنا أشعر بانتشاء شديد ، وهنا فوجئت بها تنخرط فى البكاء وترتمى برأسها إلى كتفى وهى تقول :-

- "إن كل ما تقوله لى كذب ! ... نعم فلقد رأيت ذلك الطائر بالفعل فى منطقة "كاروى زاوا"!

كانت دموعها الغزيرة تنحدر فوق خديها . ولذلك فقد

---

(١) بطيخ الـ "كوروبية" هو نوع من البطيخ البيضاوى الشكل الذى ينتجه إقليم يحمل نفس الاسم فى محافظة "طوياما" الواقعة على بحر اليابان على عد حوالى ٤٠٠ كم من طوكيو.

شعرت بارتباك شديد وحيرة فيم يجب على أن أفعله .

لقد ضممتها من كتفيها بشدة إلى صدرى ، وظللنا على هذا الحال بضع دقائق . لقد ظهرت عيونها أكبر فى نظرى من حجمها العادى مع تلألوء الدموع فيهما . لقد تعمدت أن أشتم رائحة جسدها وأنا أراقب وجهها الذى تنبت فوقه الشعيرات البيضاء الدقيقة التى تدل على نضارتها وطفولتها . قد تكون هذه الرائحة رائحة طفلة وليست رائحة فتاة بالغة . ولكن فى لحظة من اللحظات هاجمت أنفى رائحة اللبن الطازج جعلتنى أشعر بالأنثى فيها . ولذلك فقد وجدت نفسى دون وعى أرفع بيدى خصلات شعرها المنسدلة على صدغها وقبلتها فى طرف أذنها ! وبالرغم من ذلك فلم تبد "إيتسوقو" أى بادرة للتأفف أو المقاومة .

ولكن بعد ذلك بلحظات بدأت أشعر بالقلق ، فقد أحسست بأن ذلك التصرف الذى أقدمت عليه وضيع ومبتذل. كذلك فإننى لم أستطع أن أدرك حقيقة مشاعرها واحساساتها . فترى هل هى فعلاً فتاة بكر لا تفقه شيئاً من أمور البالغات ؟ لقد ارتبكت وشعرت بالحرج حين طرأ لى خاطر بأن رد فعلها لم يكن يتعدى شعورها بابتلال طرف أذنها بلعابى الذى سال عليه! وفى لحظة كدت أصدق بالفعل أن هناك نوع من فراشات الصيف الطنانة التى تبلغ فى حجمها البطيخة هناك فى إقليم "كاروى زاوا"!!.

ولكنى عدت لأدرك أن الكاذب هو "إيتسوقو" وليس أنا.

- "ماذا بك ... هل تشعر بوعكة ما؟"

لقد سألتنى ذلك السؤال حين سعلت فجأة وأنا أمسك بسماعة الهاتف بينما كنت أتخيل أن الحمى التى أصبت بها ظهر هذا اليوم كانت بسبب لعنة ما نزلت بى.

لقد فأجاتنى بعد ذلك بسؤال غريب وقالت :-

- "هناك عدد كبير من الضفادع تقفز حولى ولا أستطيع النوم . نعم هناك أشياء غريبة لزجة باردة تلامس وجهى . أننى حين أضأت النور لكى استطلع الأمر وجدت هناك ضفادعا من ضفادع البرك لا أعلم من أين تسللت ودخلت إلى غرفتى ... إن عدداً كبيراً منها يتقافز فوق فراشى ... إنها ضفادع صغيرة لا يتعدى حجم الواحدة منها طول عقله إصبع"!!.

لقد أقنعت نفسى بأن ما تقوله "إيتسوكو" هو أمر من المستحيل تصديقه . فحتى إذا ما كانت تذكره عن الضفادع حقيقياً فقد كانت الساعة الثانية منتصف الليل والوقت متأخر تماماً بالنسبة لمكالمة بهذا المضمون الغريب . لقد أدركت أنها تتعمد اختلاق تلك الأكاذيب بخصوص تلك الضفادع لمجرد رغبتها فى إثارة قلقى ، وإذا كان الأمر هكذا فلا شك أن ما ذكرته أيضاً ظهر اليوم عن فراشة الـ "ميغوراشى" هو أمر من صنع خيالها ، وها هى تعاود استخدام حيلتها هذه أكثر من مرة لكى تستطلع رد فعلى وتستمتع بوقوعى فى الحيرة على سبيل المثال فقد كانت أكثر من مرة تلح فى سؤالى عن أسماء كثيرة ومتعددة لنباتات وأشجار وحيوانات

مختلفة . وكنت حين أجيبها عن أسئلتها فى جدية وضيق كانت تضحك بصوت عال وهى منتشية وتقول :-

- "إنك تتظاهر بمعرفتك لكل شيء وتحاول رسم الجدية على وجهك".

لقد كانت "إيتسوقو" تزين معصمها بطوق بلاستيكى يشبه لعبة الأطفال .

كان يبدو أيضاً أن تكرار قول أو فعل شيء ما مرات ومرات دون كلل هو خصلة من خصالها . على سبيل المثال فإن لعبة بسيطة من ألعاب الورق مثل لعبة الصبر كانت تقوم بأدائها مراراً وتكراراً فى نهار بطوله .

حدث يوماً أن تحطمت كسارة البندق .نعم ففى يوم ما علمتها طريقة كسر البندق عن طريق حشره فى مفصلة ضلفة الباب وإغلاق الباب بشدة عليه ، وهى الطريقة التى تعلمتها من زملائى فى معسكر الكشافة أيام أن كنت تلميذاً فى المرحلة الابتدائية .

لقد أعجبت "إيتسوقو" بتلك اللعبة وانغمست فيها ، ففى البداية أخبرتنى أنها ستقوم بكسر بعض المكسرات لاستخدامها فى صنع الحلوى ، ولذلك فقد كنت أظن أن الأمر سينقضى بكسر ثلاث أو أربع قطع من النقل ،ولكنى وجدتها تضع البندقه تلو الأخرى فى مفصلة ضلفة باب المطبخ ثم تفتح الباب عن آخره وتعود فتغلقه بسرعة وهى تركض فى نصف دائرة وهى تلهث وتصيح:-

"هيا ... هذه واحدة أخرى"!

حتى صارت فى النهاية تستطيع كسر البندق بمهارة كبيرة .

وكنت حين أضطر أحياناً إلى تشجيعها وامتدح مهارتها فى كسر البندق لكى أرضيها كنت أفاجأ بأنها تفشل فتفتت الثمرة نفسها مع القشرة ، فتعود وتصيح بحماس قائلة:-

-"حسناً ... سأنجح المرة القادمة "

كان الأمر يصل بها أحياناً إلى أن يتصبب العرق من جبهتها بينما كانت من قبل تتفاخر بأنها لا تصبالعرق مهما قامت بأى مجهود ، وكانت تواصل اندفاعها وركضها وهى تفتح وتغلق ضلفة ذلك الباب السميك الضخم المصنوع من خشب السرو بكل قوتها وطاقتها ، وكنت فى آخر الأمر أسائل نفسى عن نهاية هذا العرض الصاخب المتعب المرهق للأعصاب الذى كانت تقوم به أمامى ، فقد كان يبدو أن نهايته لا تلوح فى الأفق.

كان الكلب "سيبكس" يعود باستمرار وهو يرقب منزعجاً ذلك العرض ، وقد شعرت فى نهاية ذلك اليوم أننى أصبت بمس من الجنون من كثرة البندق الذى أجبرتنى هى على تناوله!

لقد أكثرت فى النهاية من ارتيادى ذلك البيت دون أن أشعر بحرج . لقد كنت أغادر متجر الأسلحة فى الصباح الباكر فور انتهاء نوبة حراستى متوجهاً إلى مكان "إيتسوقو". وبعد أن كنت أستحم ، كنت أفرد جسدى فوق المقعد الطويل

الموجود داخل غرفة الاستقبال حتى صار ذلك التصرف اليومى عادة لا أقطعها .

كنت أحياناً أفاجأ بشعور غريب يراودنى حينما أفتح باب ذلك البيت وأدخل منه وهو أننى تحولت منذ تلك اللحظة من حارس ليلى إلى مجرد لص ، وفى يوم من الأيام حين أفقت من نومتى المعتادة فوق الكرسى وجدت أن "إيتسوقو" قد قامت بالفعل بصب القهوة وهى تقول :-

"آه ... إن هذه القهوة خفيفة".

أستطيع أن أقول إننى كنت أحياناً أشعر أيضاً بشعور غريب ناحية "إيتسوقو".

ففى مرة من المرات كانت تضطجع "إيتسوقو" فوق ذلك البساط الوثير فى نصف نومه وهى تتكئ بكوعها على طنفسة مكسوة بالجلد ، وكانت تنكفئ على كتاب تقرأه فى استغراق شديد . لقد شعرت فى هذه اللحظة وأنا اتأملها بوضعها ذلك وكأنها تسكن بهذا البيت منذ طفولتها وأنها نشأت وتربت به .

لقد كان هناك ركن عند جدار من جدران غرفة الاستقبال الواسعة هذه مصمم فى شكل ديوان من دواوين الدرجة الأولى بعربات القطار فقد كان ذلك المقعد الجلدى الطويل الكبير يوحى بهذا ، وكان ذلك المقعد بارزاً للخارج بمقدار نصف متر تقريباً ، وكان يوجد بذلك الركن مدفأة محفورة بالحائط ، وكانت "إيتسوقو" مغرمة بتلك المدفأة . وقد كانت هناك كومة كبيرة من شرائح الزجاج المطلى

باللون الأسود توضع فى صدر المدفأة كديكور يوحى بأنها قطع من الحطب والفحم ، وكانت هناك مصابيح كهربائية مطلية بألوان متعددة مختفية خلف تلك الكومة تصدر انعكاسات مختلفة بالأضواء الملونة من خلال تلك الزجاج ... وكان يغلب اللون الأحمر على تلك الألوان بحيث يوحى إليك المنظر كما لو كان هناك حطب مشتعل بالفعل داخل الموقد إذا وضعت إصبعك على مفتاح الكهرباء ، وكان يتخلل ذلك اللون الأحمر ألوان خضراء وصفراء تساعد على زيادة ذلك الإيحاء ، ومع ذلك فلم يكن الديكور يصدر أى شعور بالدفء ... نعم لم يكن يتعدى أن يكون ديكوراً .

لقد كنا كثيراً ما نتضاحك قائلين :-

"فلنذهب لنستقل القطار" !

ونتوجه بالفعل لذلك المقعد لكى نجلس عليه وكانت أحياناً فى ذلك المواقف تقول متفكهة وهى تحمل فى يدها صندوقاً من الحلوى :-

"يجب أن نأخذ معنا وجبة الغذاء".

ثم تبدأ فى التهام الحلوى وهى تنظر إلى اللوحة المعلقة فوق المقعد والمرسوم بها جبل ما وتصيح قائلة وهى تشير إليها:-

- "ها هو جبل "فوجى" يبدو واضحاً هناك".

ولكن لأن المسافة بين المقعدين المتواجهين اللذين نجلس عليهما وجهاً لوجه كانت بعيدة بعض الشيء فقد فضلنا النزول والجلوس على الأرض .

ولأن ديكور ديوان القطار هذا كان محفوراً داخل الحائط ، فقد كان الركن هو أكثر الأماكن ظلاماً الغرفة ، وكانت بالغرفة بمقاعدها ومنضدتها وأثاثها من حولنا تبدو من ركننا هذا وكأنها واد مظلم سحيق ، وكان ذلك الضوء الأحمر المنبعث من ديكور المدفأة فقط هو الذى ينعكس على وجهها فيغطى نصف ذلك الوجه . عندما تمرغت على الأرض فوق ذلك البساط الوثير شعرت برطوبة لزجة تنتقل إلى من خلال شعيرات البساط الصوفية وتغطى جسدى كله ، وبعد ذلك بلحظات وحين وقفت عيناى على وجهها الذى انعكست عليه الظلال وهو محمر من ضوء المدفأة تذكرت من خلال شفتاي إحساس أرنبة أذنها التى لامستها بهما ... فاشتعل جسدى واندفع الدم إلى عروق رأسى .

لقد شعرت برغبة جارفة فى أن أمد يدى إليها ، وبالرغم من ذلك فقد كنت أشعر لسبب ما أننى لا أستطيع أن أحرك يدى رغم أن "إيتسوقو" هنا بجانبى على بعد سنتيمترات منى ، ولذلك فإننى فى نهاية الأمر وبعد طول تردد أقنعت نفسي بالعدول عن تلك الفكرة . لقد تساءلت فى نفسى عما إذا كنت أستطيع ترجمة هذه المشاعر على أنها إحساس الحب !

لقد بدأت أشعر فى تلك اللحظات أن انطباعى عن "إيتسوقو" فى بدايات تعارفى بها قد تغير مقارنة بالآن وأن ملامحها صارت تبدو جميلة جذابة ، كذلك وجدت نفسى قد صرت آخذ دوراً فى حواديت الأطفال التى كانت تتلوها

على، بل إننى صرت أشعر بالمتعة والانتشاء من اشتراكى معها بهذا الدور .

إننى كنت أشعر بأن قيامى بدور المستمع إلى حكاياتها كان يجعلنى على العكس أحس بأنها صارت ملكاً لى!

لقد وافقت على اقتراح "إيتسوقو" حين عرضت على أن ألعب معها لعبة الاختفاء . لقد أصبحت أتصرف هنا وكأن هذا البيت بكل أثاثه ومتاعه قد صار ملكاً لى أنا وهى!! كانت هناك الكثير من الأماكن التى يمكن الاختباء بها ، تحت السرير ، خلف الستائر داخل الدواليب ... وحتى فى الحمام المليء بالأحجام والأشكال المختلفة من المرايا لقد ارتقيت درجات السلم وقطعت الردهة الموجودة بالدور الثانى حتى نهايتها حيث توجد غرفة صغيرة تستخدم لتخزين الأشياء واخترت جراباً جلدياً كبيراً يستخدم كقربة للماء فى ساحات المعارك لكى أختبئ به.

كان ذلك الجراب الجلدى معلقاً ومدلى من السقف ، وكنت اعتبر اختبائى بداخله حيلة مبتكرة قد يستعصى على "إيتسوقو" تخيلها.

لقد تسلقت ذلك الجراب المعلق وحينما شرعت فى رفع قدمى لأدخل بها أولاً من فتحة الجراب أخذ ذلك الجراب يتأرجح كالبندول فلم أستطيع الاستقرار أولاً ، ولكنى بعد أن نجحت فى إدخال جسدى بداخله تماماً شعرت براحة تامة فى الجلوس بداخله!

حينما دببت إصبعى لكى أصنع فتحة **فى الجراب من** ناحية سحابة الإغلاق كى أستطلع الأمر وجدت - **كما توقعت** - "إيتسوقو" تذرع الردهة ذهاباً وإياباً وهى متحيرة ولا **يبدو** عليها إطلاقاً أنها قد طرأ لها خاطر إن أكون مختبأ هنا ، **لقد** دخلت غرفة النوم عدة مرات ثم عادت وفتحت باب الحمام بقوة وسرعة وقفزت داخل الحمام صارخة وهى تتخيل أننى مختبئ هناك لكى تفزعنى . وفى نهاية الأمر غلب عليها أمرها فسمعتها وهى تنادى على بأسمى وهى تنزل السلم متوجهة إلى الدور الأرضى حتى صار صوتها بعيداً أكاد لا أسمعه . لقد كنت فى بداية الأمر أقاوم الرغبة فى الانفجار فى الضحك حتى لا تكتشف مكانى ، ولكن بعد فترة من الوقت بدأت أشعر بالملل فغالبنى النعاس دون أن أشعر ..

كانت طبيعة عملى هى الاستيقاظ ليلاً وحتى الفجر ، ولذلك فعل العكس صارت عندى عادة النوم أثناء النهار .

لا أدرى كم مر من الوقت حتى أفقت من نعاسى لأشعر أن سكوناً غريباً يلف أرجاء البيت . لقد نزلت على السلم إلى الدور الأرضى وبدأت أسير فى تلك الردهة الطويلة التى يعلوها سقف عال مرتفع فى نفس الوقت الذى كنت أشعر فيه برائحة الغبار تفوح من ياقة قميصى .

وحين فتحت باب المطبخ وجدت "إيتسوقو" تجلس هناك مكسورة الإرادة أمام المائدة التى وضعت عليها فطيرة ضخمة من الجيلى ، فصرخت حين رأتنى قائلة:-

"آه ... وجدتك وجدتك"!

ثم نهضت من مكانها وأخذت تقفز كطفلة صغيرة فى حيوية وصخب ومرح ثم أخذت تقول لى إن هذه الفطيرة قد تعلمت سر صنعها من سيدتها الأمريكية وأنها فطيرة فى غاية اللذة ولكنها لن تسمح لى أبداً بأن أذوقها عقاباً وتأديباً لى ! ثم عقبت قائلة :-

- "إنك شقى مستفز ... ولذلك سوف أصير أنا الأخرى شقية مستفزة معك من الآن فصاعداً إن هذه الفطيرة قمت بتسويتها هذا الصباح".

فرددت عليها أنا الآخر مداعباً وقلت لها:-

- "لا تكونى قاسية هكذا وأرجو أن تسمحى لى بأن آخذ قطعة منها".

وبينما كنا نتبادل المشاكسة هكذا بدأت أشعر بالفعل بجوع شديد ... وقد يكون هذا بسبب تلك الإغفاءة القصيرة التى غلبتنى منذ قليل .

لقد أخذت "إيتسوقو" تصر فى تدلل على التمسك بموقفها قائلة:-

- أبداً ... لا تحاول ... سوف ألتهم الكعكة وحدى".

- "أرجوك" تكفينى ولو قضمة واحدة"!

وبينما لم أكد أنهى جملتى هذه حتى وجدتها ترفع تلك الكعكة الكبيرة التى يصل قطرها إلى حوالى ثمانى بوصات بكلتى يديها ثم تقربها من فمها وتخرج لسانها ، وتلعق طبقة الجيلى التى تغطى الكعكة والتى كانت توشك

على السقوط ، فخرجت زفرة منى شعرت من خلالها بعض الشيء بأننى حانق ومحبط . وحين لاحظت "إيتسوقو" رد فعلى هذا تعمدت إغاظتى فضحكت فى استفزاز بينما كان جزء من فقاعات الكريم يلتصق بطرفى فمها من الجانب . ثم فاجأتنى قائلة:-

- "ما رأيك" هل تتناول قضمة من هذا الجزء"؟

كانت تقول هذا بينما كانت تشير إلى الطرف الخارجى لقطعة كبيرة من الكعك تقبض بشفتيها على الطرف الأخر منه .

إننى لم أضيع أى وقت فى التفكير فصرنا نتبادل القبلات ووجهنا كله ملطخ بالجيلى والكريم!

حدث ذلك فى أول يوم من رابع أسبوع بعد غياب العقيد "كريغو" عن البيت .

لقد أحسست أننى لا أستطيع أن أقضى يوماً و"إيتسوقو" غائبة عنى لقد صار أى شيء ليست له علاقة بها يبدو فى ناظرى مملاً سقيماً . إن صاحب المتجر إذا حدث وصادف أن جاء لاستطلاع المتجر أثناء نوبتى الليلية لأصابته الدهشة الشديدة حتماً . إننى لم أكن أجلس مستقراً فى أى مكان لفترة طويلة داخل المتجر فقد كنت دائم التوتر والحركة .

إننى قبل هذه المرحلة كنت أدفس جسدى فى أكثر المقاعد الهزازة فخامة أثناء الليل حيث لا يوجد أحد هناك ، ثم أشغل نفسى بقراءة كتاب ما أو أسلم عينى للنوم . أما الآن

فإننى لا أستقر فى مكان معين أكثر من خمس دقائق بالعدد .

كنت أتحرك باستمرار فى زوايا المكان .. أتلمس بأصابعى تارة ظهور البنادق المعلقة وتارة أخرى أتأكد من إحكام إغلاق الأبواب والنوافذ ثم أعود فأقرأ بيان ميزان الحرارة المعلق أمام مخزن البارود والطلقات . وبالرغم من ذلك فقد كنت ربما لا أستطيع الانتباه لتسلل لص ما إلى داخل المتجر ... نعم فإن ما كنت أنتظره فقط هو مكالمة هاتفية من "إيتسوقو" وليس أى شيء ولا أحد آخر!

كنت أحياناً أشعر بشدة الرهبة والإثارة وأشعر كذلك بقوة قلبى الذى يكاد يقفز قفزا وأنا أراقب جهاز الهاتف الجاثم فوق المكتب بينما أجلس أمامه على المقعد الهزاز . كذلك كان ينتابنى نفس الشعور حتى وأنا أدخل المرحاض حيث كنت أتشكك فى أن يكون جرس الهاتف قد دق دون أن أنتبه. نعم ... كنت فى ذلك الموقف أعيش لحظات فى غاية التوتر. ومع ذلك فلم يكن هناك ما يثير حفيظتى ويصيبنى بالحنق أكثر من مضمون مكالمتها الهاتفية!

كانت المكالمة معها تطول عادة لتستمر ساعة زمنية كاملة ، وأحياناً أخرى كانت تقترب من ساعتين نتبادل خلالها حديثاً فى موضوعات غريبة تشعرنى فى النهاية بالضجر والتوتر وتجعلنى أكاد أفقد أعصابى ... تماماً مثل الجائع الذى تدغدغ أنفه رائحة طهى لذيذ دون أن يستطيع تذوقه!.

كانت كلماتى أثناء المكالمة معها تضيع وتذوب فى غياهب ظلام الليل المحيط بى ، بينما كانت كلماتى تنتقل إلى

وكأنها ظلال وخيالات بدون جسد محسوس . لقد كنا بطريقتنا هذه نبدو كأننا نتجاذب عصا واحدة فى لعبة مملة لا تنتهى . لم أكن أستوعب موضوعاً واحداً من الموضوعات التى تفاجئنى بها وتطيل الحديث عنها ، كذلك كان يبدو أنها لا تعى أمراً واحداً مما أقوله لها!.

وفى بعض الأحيان كانت تنهى المكالمة فجأة بتقليد صوت صياح حيوان ما! وفى مثل تلك المواقف كنت أشعر بأننى أريد التهام سماعة الهاتف الذى مازالت تتردد بين صفائحه المعدنية أصداء صوتها التهاماً وكأنما كنت أريد التهام رغيف طازج ساخن فى فمى دفعة واحدة.

لقد كنا نعدو خلف بعضنا البعض فى دائرة مفرغة .

كان واضحاً أن تلك القبلة الأولى التى تبادلناها بتلك الطريقة الغريبة مسألة خاطئة . قد يحدث أن يقدم المرء على تصرف غريب مثل هذا إذا كان قد سئم من الأسلوب العادى المتبع ، ومع ذلك فإن شكل تلك القبلة كان أغرب من أى شيء .

ومن ساعتها صار إحساسى بشعرها الأملس الطرى الذى يغلب عليه اللون الأرجوانى وبشرتها البيضاء الشفافة التى تبدو من تحتها عروقها الدقيقة الزرقاء التى تشبه سائلاً ما ... صار إحساسى بهما مختلطاً بإيحاء مذاق الحليب وسكر الحلوى ... وتحول الإحساس باللمس والرائحة لكى يلفنى لفاً ويحتوينى إحتواءاً.

والغريب فى الأمر أن ذلك الإحساس كان يتلاشى بمجرد أن ألمس جسدها ! وكأنما كانت طفولتها البريئة هذه هى مصدر جاذبيتها الوحيد . ومع ذلك فقد كنت أشعر بأن جاذبيتها الطفولية تلك عائق فى طريقى إليها .

نعم فقد كانت تشابهنى جاذبيتها تلك بصاروخ ناري من تلك الألعاب النارية التى تطلق إلى السماء يسبب انفجاره الواسع فى شكل مظلة مترامية الأطراف من الضوء دهشة كبيرة لى تسبب عجزى عن الحركة والكلام . أم أن هناك سراً ما فى إصرارها على تكرار إظهار جاذبيتها الطفولية تلك فى كل حركة تقوم بها؟

كانت أحياناً تنحى جسدها قليلاً بعيداً عن يدى وهى ترمقنى فى دلال وتقول:-

"مرة واحدة فقط ... نعم مرة واحدة".

ولكنها حين كانت تقول ذلك كنت أشعر على العكس بخمود رغبتى المتأججة . كنت أشعر فى تلك اللحظات بأن قواى تخور أمام مقاومتها التى يشوبها التدلل ... حتى يغلب على أمرى وأشعر فى النهاية بالإحباط . كنت فى النهاية أجدنى أغادر المنزل متوجهاً إلى متجر الأسلحة دون أن أجد متنفساً لطاقتى المكبوتة . ترى ... كيف كانت تفكر بأمرى ؟ ربما كانت ستفاجئنى اليوم التالى حيث أزورها بأن تطلب منى أن نلعب لعبة الاختفاء الحمقاء هذه بعد أن تربط عصابة قماشية حمراء على عينيها.

نعم كنت حين أزورها فى اليوم **التالى ألوم على** الفور بمطاردتها داخل غرف وردهات **البيت ، ثم تجبرلى** على أن ألعب معها لعبة أمثل فيها أننى آكلها من رأسها **حتى** أخمص قدميها!

كنت أجلس شارداً فى اللاشىء . كنت قد فقدت معظم فرص النوم أثناء النهار . وحتى فى الليل لم أستطع أن أنام رغم أنى أحياناً كنت على وشك نسيان واجبى الوظيفى الذى يحتم على سهر الليل . إننى حينما كنت أبتعد عن "إيتسوقو" كنت أصاب باضطراب شديد ولا أفتأ أذرع أرجاء المتجر ذهاباً وإياباً ، وفى الأوقات التى لم أتحرك فيها كنت أجلس أمام المكتب أسند رأسى بكلتى ذراعى وأفاجأ بأننى – لسبب ما – أغرق فى خيالات غريبة وكأننى أرى سيلاً من قذائف المدفعية تمرق فوق رأسى .

كان الوقت يمر سريعاً بإحساس مثير للقلق ، وكنت غالباً لا ألحظ مرور الأيام . نعم لم أعد أستطيع التفريق بين يوم ويوم آخر فقد صار الليل يختلط بالنهار والنهار يختلط بالليل ، وقد يكون هذا بسبب عدم استطاعتى النوم . كان اليوم أحياناً أخرى يمر طويلاً بالنسبة لى حيث كان رأسى فى مثل ذلك اليوم يشتعل بالترقب واللهفة.

فى يوم من الأيام أصبت بالدهشة . لقد رأيت "إيتسوقو" فى ذلك اليوم تأكل بقايا المكسرات المفتتة بعد أن خلطتها بالحليب . كان هذا يعنى أن ذلك الكم الهائل من المأكولات والمشهيات التى كانت مخزنة بالبيت قد صار

على وشك الانتهاء !

كان الباقى من تلك المأكولات فى دولاب المطبخ عبارة عن بعض الزيتون المنقوع فى الخل وبعض الأنشوجة وبضعة رؤوس من الثوم وبعض قطع جوز الهند المقطعة إلى شرائح تشبه شرائح الفجل ... أى أشياء لم تكن تصلح أبداً لكى نعتمد عليها كغذاء أساسى . أما الكلب "سيبكس" فقد أدرك أيضاً بوادر الأزمة فأخذ يتجول بين مطابخ المنازل المجاورة كى يبحث عن غذائه!

نعم ... كانت إجازتنا الصيفية على وشك الانتهاء !

كان هناك شاب اسمه "كاكوياما" من بين الرفاق الذين يعملون بالحراسة مثلى فى العقارات الموضوعة تحت الحراسة تبع إدارة الاحتلال الأمريكية . كان من لا يعرفه عن قرب يظن أنه قد زحف خارجاً لتوه من فتحة من فتحات المجارى حين يراه ... وذلك حتى لو كان قد استحم لتوه! نعم ... كان رجلاً يبدو عليه أنه ولد من بطن أمه ببقع وبثور توحى بأنه رمز للقذارة بكل معانيها وحروفها.

ومع ذلك فقد كان يحرص يومياً على حلاقة ذقنه وكان يحرص على ألا يرتدى قميصاً به بقعة واحدة . وليس ذلك فقط ، بل إنه كان يحمل من بين متعلقاته المحدودة مرآة كبيرة وبالرغم من فقره إلا أنه كان يحرص أيضاً على اقتناء أنواع متعددة من كولونيا الوجه وأشكال مختلفة من علب الكريم وكان شعر رأسه الذى يدهنه دائماً بكريم الشعر ملتوياً على بعضه مثل شعر العانة!

كان "كاكوياما" هذا يرتدى سروالاً داخلياً مخططاً خطوطاً مواربة متوازية باللون الوردى وكان يتفاخر دائماً بأنه "صناعة أمريكية" ، ولذلك فحينما يرد في الحديث ذكر البضائع ذات الصناعة الأمريكية ، كان يفك حزام منطاله ويشد المنطال إلى أسفل لكى يشير بإصبعه إلى ذلك السروال الداخلى ثم يصف ما هو عليه من حاله بأنه الأناقة بعينها!

لقد كان "كاكوياما" دائم الانتقال من مكان للحراسة إلى مكان آخر حيث كان فى كل مرة يقع فى حب امرأة توجد بذلك المكان ، ولكنه فى النهاية كان يقابل بالرفض والكراهية فيضطر إلى البحث عن مكان آخر ليكرر نفس الشيء.

وكان فى كل مرة يقع فيها فى حب امرأة جديدة يأتى لكى يزورنى فى المتجر لكى يقص على حكاية حبه الجديد ! وكان يسترسل فى حكاياته تلك التى لا يبدو منها أنها حكايات عن مغامرات عاطفية أكثر منها شكوى وغيبة ... ذلك رغم أننى كنت أشعر بالملل من حديثه ذلك.

لقد كان حين يندفع فى رواية قصة حب جديدة له ينفعل انفعالاً شديداً بوجهه الشاحب المنتفخ هذا بينما يتطاير رذاذ لعابه من بين شفتيه المحمرتين التى كانتا تبدوان كما لو دهنتا بأحمر الشفاه ! وكان منظره ذلك ينعكس فى ناظرى كوميدياً مثيراً للضحك ... وإن كان فى نفس الوقت يوحى بقمة المأساة !

ولكن "كاكوياما" هذا استحال فى نظرى لكى يصير

رمزاً للخبير فى الشئون النسائية لقد صرت أحكى له كـل مـا دار بينى وبين "إيتسوقو" .

إن ذاكرتـى المشوشـة تلـك كـان يحجبهـا بيـن وقـت وآخر وأنا أتحدث مع "كاكوياما" صورة "إيتسوقو" التى كـانت تظهر وتتلاشى ، وفـى الوقـت الـذى يقـترب فيـه خيالهـا من التفتت والتبعثر داخل الذاكرة وأحاول فيه بكل قوتى أن أحول دون هذا - كنت أحملق فى وجه "كاكوياما" بنظـرات متوسـلة وأنا أقول له:-

- "ترى .. ماذا على أن أفعل بحق السماء"؟

ولكـن إجابـة "كاكويامـا" كـانت فـى منتهـى البسـاطة والوضـوح ... فقد قال :-

- "لا بـأس ... لا تقلـق فسـوف تصـير لـك .. بـاق على الأمر خطوة واحدة ... أليس كذلك" فرددت عليه متعجبـاً وأنا أردد عبارته قائلاً :-

- "سوف تصير لك ؟ ...ماذا تعنى"؟.

لقـد كنـت أحـاول أن أقنـع نفسـى بـأننى أفهـم قصـد "كاكوياما"، إلا أننى فى واقع الأمر لم أكن أفهمـه علـى وجـه الدقة!

حينئذ وجدت "كاكوياما" ينظر إلى وجهى متفحصـاً ، ثـم اعتـدل فـى جلسـته واقـترب بوجهـه من وجهـى وصـاح قائلاً:-

- "ما باليد حيلة"!

ثم انفجر ضاحكاً فى هيستيريا دون **توقف . ولماذا** توقف عن ضحكه هذا وقال لى فى لهجة ساخرة :-

- "لكن ... عليك أن تنتبه إن كذبة المرأة مهما كانت ساذجة بسيطة ... فطالما كانت كذبة فسوف يعنى ذلك أنك فى أغلب الأمر قد خدعت".

بعد أن تركت "كاكوياما" خرجت إلى طرقات المدينة. لقد ذهبت إلى متجر لكى أبتاع بعض الأغراض والأطعمة لكى أحملها إلى "إيتسوقو" . كنت قبل ذلك قد استدنت ما استطعت استدانته من نقود من بعض المعارف ، كما أننى اضطررت لرهن بعض كتبى وقواميسى واستبدلتها ببعض النقود .

أحسست وكأن فترة طويلة مضت منذ أن تجولت أخر مرة فى شوارع هذا الحى . كان الجو حقاً شديد الحرارة، نعم فيبدو أن الصيف الحقيقى سوف يبدأ من الآن .

صار مشهد رفوف المأكولات بذلك البيت الكائن بحى "هاراجوكو" والذى أخذ يصير خاوياً شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم يثير التوتر برأسى ... مثلى فى ذلك النتيجة الورقية المعلقة على الحائط والتى كانت تتناقص أوراقها ورقة ورقة فى اتجاه موعد انتهاء الإجازة الصيفية .

فبعد انتهاء الإجازة الصيفية لن يتبقى لنا ... أنا وهى ... أى شىء!!

كان واضحاً إن كل شىء سوف يزول ويختفى ... تماماً مثل ملابس "سندريللا" بعد تجاوز عقارب الساعة

الثانية عشرة بعد منتصف الليل.
وهكذا أصبحت الآن أشعر أكثر من أى وقت مضى أن الزمن أمر هكذا فى غاية الأهمية .
أدركت الآن أيضاً حين أكون وحدى فى متجر الأسلحة أثناء الليل وحتى أجدنى متورطاً فى لعبة "إيتسوقو" هذه التى تكررها كل ليلة مثل طقس من الطقوس الروتينية أن هذا الوقت الذى صرت أشعر بثقل مروره على وبأننى أريد أن أصب لعناتى أكثر من شعورى بالرغبة فى أضاعته معها لطوله وخوائه قد صار على وشك أن يتلاشى بين يدى.
لقد خطر لى خاطر فجأة أننى أستطيع أن أشترى أى شيء طالما أخرجت النقود من حافظتي . لقد أصابنى التجهم والشرود لمجرد أن ذلك الخاطر البسيط الساذج قد لاح أمام عينى وكأن سهماً من السماء قد أصابنى . أحسست بعد ذلك أن وهماً ما داهمنى من فرط شعورى بالسعادة والانتشاء.
نعم ... لقد كان وهماً فى غاية الغرابة والحماقة مفاده إنه إذا عادت تلك الأرفف واكتظت بالأطعمة والمواد التموينية فسوف تعود إجازة الصيف لتبدأ مرة أخرى!!
شعرت بتلك الأوهام المفاجئة وأنا أقف داخل متجر البقالة .
لقد حاصرتنى الجدران الأربعة المكتظة بالمأكولات بأنواعها المختلفة بالإضافة إلى المظلة المائلة الخارجية لواجهة المتجر والتى كانت تتدلى منها أعواد السجق والسمك الكبير المملح وجعلتنى أشعر بالعجز عن الحركة تماماً . نعم

... وفوق ذلك فقد أحسست وأنا أتأمل تلك الأطعمة واللحوم الطازجة النيئة المدلاة والمكشوفة وسط زحام الزبائن والمارة وكأن صحناً به حذاء مرشوش عليه الصلصة والتوابل قد وضع أمام عينى ... فأصبت بالذهول والحيرة !

إننى لم اشعر بتلك الأحاسيس قبل أن أتعرف بـ"إيتسوقو". صرت أشعر بالخجل والحرج أمام البائع داخل البقالة كلما سألته عن ثمن سلعة ما أو أخرجت له مبلغاً ممن النقود لشراء بعض الأطعمة . وفى لحظة من اللحظات حينما كانت تلك البائعة ذات الوجه السداسى الأضلاع تعطينى باقى مبلغ دفعته لشراء سلعة ما .. شعرت بأننى لست بذلك المستوى الوضيع الذى يقدم على شراء مثل هذه السلعة . ولكننى لم أكن أشعر حتى بقيمة هذه السلعة . ولكننى لم أكن أشعر حتى هذه اللحظة أننى أنا نفسه الذى صار يقع تحت هذا التأثير القوى لـ"إيتسوقو" ! بل أننى على العكس صرت أتصرف بهذا الشكل بسبب وجود "إيتسوقو" فى حياتى لقد وجدتنى أندفع بحماس وقوة مغادراً بوابة متجر البقالة وأنا أفرد كلتى ذراعى عن أخرهما وأنا أحمل تلا من المأكولات والمواد الغذائية ووكأننى جندى مشتعل بالحماس بعد أن أخذ شحنة معنوية مبالغة من جنرال يرأس وحدته العسكرية .

كان بيت العقيد "كريغو" يقع فى نهاية طريق جانبى صاعد شديد الإنحدار متفرع من طريق واسع تحده من الجانبين أشجار الـ "كياكى" الضخمة . كان البيت يقع فى نهاية ذلك الطريق الجانبى ، وهو الطريق الذى كان مسدوداً

من الجهة الخلفية للبيت وليست له منافذ إلى شوارع أخرى من ذلك الاتجاه.

كنت ألهث وأنا أصعد ذلك الطريق متجهاً إلى البيت الموجود أعلاه ، وكانت أشعة الشمس الصفراء القائظة تلفحنى وكان العرق يتصبب منى ، وكلما كنت أتقدم فى المسير كلما كان الجزء العلوى من المنزل يبدو أكثر وضوحاً وتتضح شيئاً فشيئاً أجزاءوه السفلية بالتدريج من جدران ونوافذ وكأننى أرتقى درجات تفضى إلى خشبة مسرح فتظهر أجزاء الديكور المبنى فوقه أمام عينى شيئاً فشيئاً . كنت أشجع نفسى كى أغالب الإرهاق والتعب كلما شعرت أننى اقتربت أكثر من موقع البيت ، وكنت أثناء ذلك أشعر بتسلية كبيرة وأنا أراقب بعينى أجزاء البيت التى تظهر أمامى هناك بالتدريج.

ولكننى حين وصلت إلى نهاية الطريق الصاعد وجدت أمامى هناك على بعد عدة أمتار ناقلة عسكرية ومظللة من الخلف بذلك الغطاء الكبير الأخضر الزراعى ، وكانت هناك سيارة جيب عسكرية من نوع "ستيشين واغون" تقف بجوارها وتبدو مائلة قليلاً على المنحدر أمام بوابة البيت !

نعم ... إنها سيارة العقيد "كريغو" لقد عاد من إجازة.

لم يكن يجدى إذا تمتمت فى حنق قائلاً :-

- "اللعنة ... لقد عاد مبكراً عن موعده بأسبوع كامل".

إننى ... ولدهشتى أنا نفسى - لم يصدر عنى رد فعل معين فى تلك اللحظة ... فلم اشعر حتى بالإحباط ، وقد يكون هذا لأن قواى قد خارت وغالبنى التعب . لقد شرعت فى أن أعود أدراجى ، ولكننى أحسست إننى لن أشعر بالراحة إلا بعد أن أقوم بتوصيل تلك اللفائف الكبيرة التى تجشأت عناء حملها هنا وبعد أن أقوم بإلقاء ولو نظرة واحدة على "إيتسوقو" ، ولذلك فقد شعرت بروح المغامرة تشعل صدرى إشعالاً .

لقد كان العقيد "كريغو" يقف داخل السيارة الجيب بملابسه العسكرية وكان يتولى الإشراف على عملية إنزال صناديق من جميع الأحجام من الناقلة العسكرية بينما كان يطبق بشفتيه على الغليون .

لقد أقدمت على الدخول من البوابة الخارجية لحديقة البيت وأنا أغالب شعورى المتردد المضطرب الخائف . لقد استجمعت شجاعتى وصحت بصوت عال باللغة الإنجليزية:-

"GOOD MORNING"

وكنت لحظتها وأنا أحرك ساقاى الثقيلتين قد لمحت اليافطة الخشبية البيضاء التى تحمل الحرفين اللاتينيين U . S وبجوارهما الرقم المسلسل الذى يدل على هوية هذا البيت الموضوع تحت حراسة الإدارة العسكرية الأمريكية لليابان .

لكن العقيد "كريغو" لم يرد على تحيتى بكلمة بل أنه نظر إلى شزراً قاطباً جبينه وعاقداً حاجبيه الكثيفى الشعر

بوجه جامد مقتضب . لقد شعرت لحظتها ... ومن مجرد رد فعله الصامت هذا بأننى قد ذقت طعم الهزيمة أمامه .

لقد وجدت نفسى أتمتم بصوت غير مسموع قائلاً :-

- "أخ ... لقد أخطأت ... أنها الساعة الثانية بعد الظهر !

تمتمت بتلك الكلمات وصورة العقارب السميكة للساعة الكهربائية التى رأيتها منذ لحظات فى محطة القطار فى ذاكرتى . لقد أحسست فى تلك اللحظة بحرج شديد ، وفى نفس الوقت شعرت برعب أجتاح جسدى كله فى لحظة واحدة وبقوة كبيرة ، ودون تفكير لم أشعر بنفسى إلا وأنا أعود أدراجى وأنا أركض بكل سرعة هارباً إلى أسفل المنحدر وأنا أكاد أن أتعثر وأسقط على وجهى !!

كان مؤشر مقياس الحرارة بمتجر الأسلحة يشير إلى درجة ٣٤ درجة مئوية ، وكانت الحروف المكتوبة بالطلاء الأحمر "خطر" على باب مخزن الذخيرة الحية تبدو وكأنها ساخنة وعلى وشك الذوبان .

إننى بعد أن قطعت حى "هاراجوكو" عدواً ووصلت إلى نهايته شعرت بكراهية نفسى وبإحساس بالذل والمهانة لا أستطيع وصفه ، ويومها نسيت تماماً كل ما يتعلق بأمر "إيتسوقو".

وبعد ذلك بيوم كامل وحين بدأت أستعيد السيطرة على أعصابى أحسست بوضوح أن تلك الحياة التى عشتها مع "إيتسوقو" حتى أول البارحة لن أستطيع أبداً استعادتها مهما استنفذت الحيل ، وهنا بدأت أحس بذكريات "إيتسوقو"

تلح على إلحاحاً شديداً وتجعلني أشعر بالتوتر والحسرة . ولكني أدركت إنني مهما حزنت ومهما شعرت بفداحة الإحباط فلن أستطيع تحقيق أملي في إعادة تلك الأيام والذكريات . لقد أدركت في لحظة ما بأن تلك اليافطة الخشبية الصغيرة التي حفر فوقها رقم ذلك البيت الموضوع تحت الحراسة وكأنها وقعت في يد الأعداء لا محالة بعد موقعة عسكرية عنيفة!!

لم تكن لي حيلة سوى أن أذرع أرجاء متجر الأسلحة ذهاباً وإياباً على غير هدى . نعم لقد أدركت أنني مهما انتظرت فسوف اكتشف أنه لن يكون هناك زائر واحد .. وأنه سيكون انتظارا دون معنى .

لقد صرت أمسح بعيني الزائغتين هاتين تلال أظرف الطلقات المفزعة من بارودها وكرات الألعاب النارية والمفرقعات التي تستخدم في المهرجانات الرياضية وخيالات المآتة الخشبية المصممة على أشكال طيور النهر والتي تستخدم كفخاخ في الصيد !

حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً أفزعني صوت جرس الهاتف المزعج والذي دق دون سابق إنذار وشعرت أن صداه يرتج في أرجاء المكان وداخل رأسي . ولسبب ما فقد ابتسمت متهكماً وأنا أسرع الخطو نحو جهاز الهاتف لكي التقط السماعة . نعم ... يبدو أنني لم أبرأ تماماً من العادة التي تمكنت مني حتى الليلة قبل البارحة ، فصرت أشعر بقلبي ينتفض انتفاضا داخل صدري.

ولكن الأمر اختلف تماماً فى اللحظة التالية!

نعم .. إنه لم يكن صوت جرس الهاتف ، لقد كان جرس باب المتجر !

من خلال زجاج الباب ومن خلال أعواد المظلة الحصيرية التى كانت مكورة إلى أعلى خارج الباب لحظت ظل إنسان ينعكس عليه ضوء مصباح الشارع .

نعم ... لقد كانت "إيتسوقو" !!

لقد ارتبكت وأنا أحاول الإسراع بفتح الباب بالمفتاح ... فقد كانت يدى الممسكة بالمفتاح ترتعش ولا تجد سبيلها إلى فوهة المفتاح !

وحين أدركت "إيتسوقو" تواجدى عبر زجاج الباب ابتسمت لى ... ورغم أن مصابيح الشارع كانت تعكس أضواءها البرتقالية عليها .. إلا أن وجهها كان يبدو لى من خلال الزجاج باهتاً شاحباً .

لقد فتحت الباب لها ودعوتها للدخول ، ورغم أنها كانت تقف أمامى هكذا بشحمها ولحمها إلا أننى ظللت مشدوهاً وعيناى تكذبانى.

كانت أضواء مصابيح الطريق الخارجية المتسللة من خلال زجاج الباب تعكس ظل البنادق المعلقة فى صف طويل على الحائط بشكل منكسر ملتو ، وكان ذلك الظل المنكسر لخطوط رأسية ينعكس على وجه "إيتسوقو" أيضاً . وبعد لحظات من الصمت خرجت كلماتها من ثنايا تلك الظلال لتقول لى :-

- "وكأنني لم التق بك منذ ثلاث سنوات"!

لقد تهيأ لي أن تلك الكلمات وأن صوتها هذا لا يأتيني من فمها هذا وهي واقفة أمامي وإنما شعرت بتلك الأشياء تأتيني بصدى من عالم آخر!

لقد عاد العقيد "كريغو" وزوجته بالأمس ، ولكنهما خرجا صباح اليوم مرة أخرى في إجازة أخرى . لقد قالت لي "إيتسوقو" إنهما ذهبا للاستجمام في مكان بعيد ذو طقس لطيف منعش للاستجمام وللاستمتاع بحمام شمس دافئ.

- "هل أصابتك الدهشة"؟

ثم استطردت قائلة :-

- "قال إنه سيعود بعد غد ... نعم ... أن الإجازة امتدت يومين آخرين".

لقد اكتفيت بالاستماع إليها ولم أستطع الإجابة . لقد فاجأتني بسؤالها عما إذا كنت قد اندهشت أم لا . ، ولم أستطع أن أوضح لها كيف كانت دهشتي . كانت كلماتها تعني أنني سأستطيع العودة إلى حياة كنت قد أيقنت أنني طردت منها شر طردة .

أحسست لحظتها أنني استعدت في يدي الحذاء الزجاجي بعد أن فقدته لبعض الوقت نعم ... أحسست أن هذين اليومين اللذين حصلت عليهما فجأة بمثابة الحذاء الزجاجي الذي خلعته وفقدته متعجلاً خلال الإجازة السابقة ! نعم ... كان يعني ذلك أن هذين اليومين سيعيدان لي كل الأشياء التي فقدتها .

أفقت من تخيلاتى على صوت "إيتسوقو" وهى تقول:-

- "لقد رحلا هذا الصباح ، وبعدها مباشرة حاولت الاتصال بك هاتفياً أكثر من مرة ... إلا أننى فشلت تماماً فى العثور عليك" .

بالطبع لم يكن من الممكن أن تجدنى "إيتسوقو"هنا فى هذا المتجر أثناء فترة النهار، وحين شرعت فى أن أنقل إليها أفكارى هذه ... عاجلتنى قائلة:-

- "نعم نعم ... لقد نسيت أن أخبرك شيئاً".

صاحت فجأة بتلك العبارة بصوتها الطفولى ذو النبرة العالية وعيناها تتسعان عن آخرها وتلمعان فى هذه اللحظة تذكرت بعد غيبة طويلة وجهها الذى اعتدت عليه.

استرسلت "إيتسوقو" قائلة:-

- "إنك لم تخبرنى بالتفصيل عن عنوان هذا المتجر ...ولذلك فقد تعبت كثيراً حتى اهتديت إليه : تذكرت هنا أننى بالفعل لم أخبرها بعنوان هذا المكان ، لكن يبدو أنها استدلت على المتجر من خلال العنوان الذى كان مطبوعاً على الكيس الورقى الذى كان يحوى طلقات الخرطوش والذى قمت بتوصيله إليها فى البداية .

رددت عليها قائلاً :

- كأن يمكنك الاستدلال على هذا المتجر بسهولة إذا سألت عنه أى شخص بالقرب من محطة القطار".

- " ربما ... ولكننى كنت أشعر بالخجل من أن اسأل

شخصاً ما" .

قالت "إيتسوقو" تلك العبارة وهى تحملق فى ويكاد كتفها يلامس صدرى . وهنا وجدتنى أطوقها بذراعى . أحسست فى هذه اللحظة بدقات قلبها السريعة وبأن صدرها ينتفض انتفاضاً . وفى اللحظة التالية فوجئت بها تطلب منى أن أنزع الغليون الذى كنت أضعه فى جيب القميص على الجانب الأيسر .

نزعت الغليون على الفور وأنا أشعر بالحنق والاضطراب وألقيته بعيداً . وهنا تدحرج الغليون على الأرضية الحجرية محدثاً صدى مزعجاً تردد بين جدران الغرفة .

اصطحبتها بعد ذلك إلى ذلك الكرسى الهزاز الجلدى الطويل الموجود بنهاية الغرفة . وأثناء ذلك شعرت أكثر من مرة بأننى أتعثر فى السير وأكاد انكفئ على وجهى وأنا أمر فى ذلك الممر الضيق بين الأرفف حيث كانت تتشبث بى بقوة وتلتصق بى التصاقاً .

لم نعد كلانا قادرين على الوقوف على أقدامنا من شدة التوتر .

لقد تأكدت تماماً فى تلك اللحظة من أننى لا أستطيع الابتعاد عن هذه المرآة ، وأيقنت أنه جاء الوقت الذى يجب على كلينا فيه أن نذوب معاً ونصير كياناً واحداً . لقد آمنت وأيقنت بذلك وأنا لا أعى أن هذا مجرد خطأ فى الحسابات نتج من شدة فورانى واشتعالى ... وكنت اغرق فى هذه

الخيالات وأنا أدفس وجهى الساخن فى شعرها الطرى.

لقد أفقت فجأة من هيامى وإشتعالى حين دفعت "إيتسوقو" بقوة وعلى حين فجأة يدى التى كانت تحوم حول تنورتها . نعم لقد كانت دهشتى كبيرة ... لدرجة أننى اعتقدت فى البداية أن حركتها لم تكن مقصودة ، ولكننى حين كررت محاولتى فوجئت بها تعاود نفس السلوك وتقول لى بحدة :-

- "لا ... لا يصح أن نفعل هذا" !

كان أول رد فعل هاجمنى فى تلك اللحظة هو الشعور بالخزى والحرج . ولكى أقاوم ذلك الشعور وأتظاهر باللامبالاة فقد ابتسمت للحظات ووجهى تكسوه الحمرة من الخجل ، ولكن ذلك لم يلبث إلى أن يتحول إلى شعور بالغضب العارم .

لقد وجدت نفسى أحاول القبض على يديها لكبح مقاومتها وأنا أصيح غاضباً :-

- "أى حماقة تلك"

ثم استطردت قائلاً :-

- "إذن ... لماذا جئت إلى هنا بحق السماء"؟

الحقيقة إننى فى هذه اللحظة كنت أريد أن أطبق بيدى على رقبتها حتى تلفظ أنفاسها ! ولكن هذه الثورة العارمة لم تستمر طويلاً ... فالبرغم من أننى كنت ثائراً لهذه الدرجة إلا أننى أحسست بقواى تخور فجأة .

إننى لم أستطع الاستمرار فى المقاومة رغم إنها لم

تقم بدفع يدى سوى مرتين فقط . بل إن ما جعل الأمر يبدو أكثر سوءاً فى نظرى أننى وجدتها تستلقى هناك على أرضية الغرفة تفرد جسدها فى استسلام بينما كانت تفتح عينيها عن آخرهما فى دهشة وذعر وكأنها دمية مكسورة ! كانت قصبتا ساقيها النحيلتين تبرزان من طرف تنورتها وكأنهما مكسورتين ... وكانتا ممتدتان فى خور وضعف .

حين وقعت عيناى على ذلك المشهد أصبت بالارتباك الشديد وكأننى قائد لأسطول بحرى وجد نفسه مجبراً فجأة على تغيير تشكيله القتالى أثناء معركة ما !

لقد عادت تساؤلاتى إلى الوراء زمن بداية "الإجازة الصيفية" حين قالت لى أن الـ "هيغوارشى" طائر وليست حشرة ! وهنا أدركت بوضوح أننى كنت أعيش سوء فهم وأن "إيتسوقو" لا تتعدى أن تكون صبية عذراء بريئة !.

شعرت لحظة إدراكى لسوء الفهم بجسدها الذى كنت أحيطه من الوراء بذراعى ثقيلاً مثل الصخرة وشعرت بأننى لا أحس بالراحة فوق هذا الكرسى الهزاز الطويل .

لقد أخذت أحاول تبريد وجنتى الملتهبة هذه بأن ألصقتها بظهر المقعد الجلدى وأنا أحملق فى سقف الغرفة الذى كان يبدو لى بأنه حفرة سحيقة مظلمة . كنت أشعر بلذة من ملمس جلد المقعد على صدغى .

بعد لحظات اعتدلت "إيتسوقو" من رقدتها وجلست ، ثم أخذت تهذب خصلات شعرها أمام زجاج ضلفة الدولاب . وهنا بادرتها قائلاً وأنا أستلقى فوق المقعد "وإذا أردت مرآة

فها هى مرآة كبيرة هنالك"–

ولكنى بعد أن أنهيت هذه الجملة شعرت للحظة بالوجوم والارتعاش . نعم ... ألم تكن تعنى جملتى هذه أننى أحثها على الإسراع بالرحيل ؟

إننى الآن بحق على وشك أن أفقد كل شىء .

لقد نهضت واقفاً على قدمى وأرشدتها إلى مكان المرآة ثم أضأت مصباحاً كهربائياً باهر الضوء لكى تستطيع الرؤية .

ها هو سلوكى العطوف الذى اعتقدت إنه نابع من رد فعل لرغبتها فى تهذيب زينتها ينقلب على العكس لكى يتسبب فى إبعادى عنها .

لقد شعرت بشفقة وحزن لم استطع مغالبتهما وأنا أنظر إلى ثنيات ثوبها التى نشأت لكى تتماشى مع عظام كتفيها الناتئين وهى تعطى لى ظهرها النحيل بينما كانت تقف أمام المرآة تحت ضوء المصباح .

لقد كنت على وشك أن أنطق بشئ ... ولكن الكلمات لم تسعفنى . كنت أرغب فى أن أقول أى شىء كى أكسر رهبة الصمت والسكون ... لكنى لم أفلح فى العثور على أى مفرد من المفردات . لقد أدركت إننى مهما قلت من كلمات فإن ذلك على العكس سوف يفضح كذبتى .

وفى نفس الوقت فقد أحسست أننى لو تركتها هكذا دون أن أقول لها أى شىء فسوف تبتعد عنى وتصير فى مكان قاص لا تطوله يداى ، إلا أننى أحسست أيضاً أن أول

كلمة ستخرج من فمى سوف تقطع على الفور واللحظة ذلك الخيط الواه الذى ما زال يربطنا معاً!!

فجأة تركت "إيتسوقو" المرآة والتفتت ناحيتى ، ثم قالت بوجه مبتسم وهى لا تدرك ما يراود خاطرى :-

- " ألا توصلنى إلى المحطة"؟

وهنا لم أستطع مواصلة الضغط على انفعالاتى فصحت قائلاً :-

- " أبداً ... أبداً لن يكون ذلك"!

لم يكن هناك شىء قد تغير فى متجر بنادق الصيد "ن" هذا . نعم ... لقد كان هذا شىء يثير الدهشة والعجب داخلى .

لقد صرت الآن أقضى معظم الوقت بالمتجر وأنا نائم فوق مقعدى ، ولم تعد لى الرغبة فى أن أفعل أى شىء

أحياناً كنت أفتح عينى المثقلتين بالنعاس وأمسح بهما جهاز الهاتف المسجى فوق المكتب ، وأحياناً أخرى كنت أفيق مفزوعاً كى أختطف سماعة الهاتف وأضعها فوق أذنى!

لكنى لم أكن أسمع شيئاً . ومع ذلك فقد كنت أطيل الانتظار . أنا ألصق السماعة بأذنى وحينئذ كنت أشعر بأن صدى معدنى عال يدغدغ قاع أذنى ... صوت يشبه صدى تلامس الأسلاك الكهربائية حين تهزها الريح . بالطبع لم يكن ذلك الصدى لكلمات ولكن مع تزايد صدى ذلك الصوت كان يتخيل إلى أنه يتحول إلى كلمات ... فترى ماذا كانت تبغى

هذه الكلمات أن تهمس لى به؟

وفى إحدى المرات ظللت ألصق سماعة الهاتف بأذنى طويلاً طويلاً دون أن أنزلها ، فى الوقت الذى كنت أستمتع فيه بلذة خداعها لى !



تجليات أدبية

安岡章太郎

البشارة

«إن عملي هو الانتظار» !

هذه الجملة التي أوردها الروائي الياباني المعاصر «ياسو أوكا شو وطارووه» في قصته «الحذاء الزجاجي» من أكثر الجمل التي تحمل معنى عميقاً ورمزاً قد يكون مفتاحاً يقودنا إلى واحدة من المعاني الجوهرية لهذه الرواية.

نعم .. عمله هو الانتظار ولا شيء غيره .. فقد كان يعمل حارساً لمتجر لبيع بنادق الصيد وذلك في فترة الليل، ولكنه كان يعلم تماماً إنه ليست لديه القدرة على أن يفعل شيئاً .. فلو هاجم لص فلن يستطيع رده .. ولو شب حريق فلن يستطيع إطفاءه، فكان يكتفي بمراقبة الباب الزجاجي للمتجر ومراقبة قراءة عداد درجة الحرارة المعلق على الجدار هناك.

كان أيضاً لا يملك سوى الانتظار حتى تنتهي عطلة الصيف .. ولكن في أي يوم بالتحديد .. لم يكن يعرف، حيث تنتهي قصة حبه الحالمة الغريبة مع «إيتسوقو» الخادمة البريئة براءة الأطفال داخل جدران ذلك البيت الفاخر الذي كان يسكن به ضابط أمريكي وكان يغيب عنه في رحلة أثناء الصيد نعم فحين يعود الضابط الأمريكي فجأة يوماً ما .. كان سينتهي الحلم وكانت ستختفي سندريللا .. «إيتسوقو»، ولكنه هذه المرة لم يكن له أن يجدها بعد أن تترك فردة حذائها الزجاجي أو أن يحول الحلم إلى حقيقة فيصل إليها ويتزوجها .. فلم يكن قادراً إلا على الانتظار فقط .. انتظار أن ينتهي الحلم !

تصميم الغلاف: أحمد اللباد



ميريت للنشر والمعلومات